

مجلة

مجمع اللغة العربية بمصر

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز (يوليو) سنة ١٩٦٦ م

ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هـ

دعوى الصعوبة في تعلم العربية

في الثالث . الأخير من الشهر الثالث من هذا العام أُلِّف التِّلْفَاز (١) اللبناني العربي ندوة أدبية من ثلاثة أعضاء ، ودار البحث فيها عن صعوبة تعلم العربية ، وأن الطالب الأجنبي والمستشرقين يجدون في تعلمها من الشاق ما لا يجدون مثله في تعلم لغة أجنبية ، وكان من الأعضاء اثنان ذهبا إلى أن تلك الصعوبة من طبيعة اللغة العربية ، وأكد الثالث لرفيقه أن مرد تلك الصعوبة إلى سوء أساليب التأليف والتعليم ، ولو أن العربية كانت تُتَلَّم للمبتدئين كما تعلم اللغة الأجنبية بالأساليب المنطقية الحديثة لما صعبت حين خفيت عليهم مطالبها ، واستعجمت مذاهبها ، وذكرت في هذه الندوة كثرة الأسماء في العربية للمسمى الواحد ، وأنها بما يتحير له البادئ فلا يدري بأياها يأخذ ، ولا أيها هو بالاستعمال أجدر وأولى .

(١) التِّلْفَاز استعمالها جمع اللغة العربية يستحق للتلفزيون وهي على وزن تيان وجلواز ، وتشتق منها التلفزة مصدراً .

ونحن رأينا بعض تلك المصاعب أيام الطلب ، ومنها كثرة الوجود في الإعراب ، والتعليل التحوي والصرفي ، ثم عرفنا بعد ذلك أن أمثال تلك الصعاب إنما نشأت من سوء تأليف تلك الكتب للأحداث والمبتدئين ، ومن قد حكاه المعلمين المحكمين لصناعة التعليم والتفهم ، فمن سوء تأليف تلك الكتب المدرسية أنها مؤلفة على الطريقة التقريرية بقواعد يكثر فيها التجريد وتقل عليها الأمثلة والشواهد ، فهي بذلك فوق مستوى عقول المبتدئين الذين يجب أن يتدرجوا في دروس القواعد ، من المحسوس الواضح إلى المجرد الغامض ، ومن السهل إلى الصعب ، والمعلم البارع يبدأ بتعليم المفردات الفصيحة التي يحتاج إليها في الكلام ، ثم بتعليم تركيبها مع الأفعال تركيباً صحيحاً ، ثم يطالب تلاميذه باستعمال هذه التراكيب في محاوراتهم ومحادثاتهم ، ويعلمهم تصريف الأفعال الضرورية للمحادثة مجتنباً إيّام إعراب الجمل الصعبة وحفظ عباراته الطويلة التي يلوكونها ولا يدركون لها معنى ،

الشواهد والغوامض في اللغات الأجنبية . — وقتلها خلت لغة أجنبية من الشواهد ، وفي اللغة الفرنسية كثير من تلك الشواهد في النحو والصرف معاً ، وهي من طبيعة هذه اللغة التي اعتوروها بالإصلاح كثيراً ، ولم تتعرض لها كتب النحو عندهم ، ولا يذكر المعلم الفرنسي علل التحول في تصريف فعل الـ *être* (verbe être) لكيلا يتحير عقل التلميذ في إدراك السر من تحول الفعل *je suis* في الحاضر إلى *je serai* في المستقبل ، أو في تحول فعل الذهاب *aller* ، لم يقول المتكلم *je vais* ولتتكمون *nous allons* وفي المستقبل *j'irai* ؟ وفي جموعهم كثير من الشواهد ، وليست المفردات تنتهي بحرف *s* في جموعها كلها ، فإن الطالب لا يدري لم كان اسم الشغل *le travail* يجمع *les travaux* ، ولم يجمع على *maux* و *chacal* ابن آوى لا يجمع مثلها

ويجمع على des chacals بحرف و لا بـ aux ؟ ولو سأل الطالب معلمه عن سر هذه الشواذ لقال له : هكذا يتكلم الفرنسيون جواباً على السؤال ، وكفى الله المتعلمين شرور العبل والجدال .

ومن صعوبة الرسم في الفرنسية أن من الأحرف ما يكتب ولا يُلفظ كعلامة الجمع ent في جميع التصاريف ، ولا يدري الطالب لم يكتب اسم البنت la fille بلامين يلفظها ياءً ، ولا يكتب كذلك اسم الحياة la vie ؟ ولو أردنا استقراء هذه الشواذ والمشاكل في اللغة الفرنسية ، ولا يعرف الطالب العربي لتفسيرها وتعليلها وجهاً منيراً ، نخرجنا من موضوعنا إلى غيره .

طريقة التهجي القديمة . — لقد كان تعلم القراءة قديماً آلياً يصيغ يلوكتها المبتدىء في التهجي ، ولا يفقه لها معنى ، أيام كان شيوخ الكتاتيب لا يفكرون في تيسير القراءة على الصبيان ، فكانوا يرقصون أمام شيخهم وهم يقرؤون ألواحهم ، وأنا ممن تعلم على هذه الطريقة المنهكة المضحكة ، ثم أخذ رجال التربية والتعليم إبان النهضة الفيزلية ، وعلى رأسهم العربي الكبير الأستاذ ساطع الحصري الذي عالج على عهد الملك فيصل الأول مشكلة القراءة العربية فوضع (مبادئ القراءة الخلدونية) وهي أول رسالة عربية في القراءة الصوتية ، ثم جرى المعلمون بدمشق وغيرها على طريقته هذه المثلى . وبذلك عولجت القراءة العربية وأصبحت بفضل الطريقة الصوتية سهلة على المبتدىء العربي سهولة الفرنسية على المبتدىء الفرنسي ، وبقيت قضية الكتابة العربية والإملاء ، وبالطريقة الصوتية أيضاً ذلت صعابها يرسم مقاطع الكلمات بحسب أصواتها المسموعة فيكتب التلميذ كما يسمع والضحا ، والليل إذا سجا (١) بالألف مطلقاً فلا يشغل صدره الضيق وعقله المحدود بالحالة التي

(١) هذا رأي في التمييز للمبيان . -

يكتب فيها الاسم أو الفعل بالآلف في آخرها ، ولا بالحالة التي يكتب آخرها بالآلف المقصورة كالفتى والمصا ؛ وقد أجاز الإمام الفراء مثل هذه الكتابة تيسيراً لها ، كما أجاز الإمام مالك كتابة المصاحف بغير الرسم العثماني تيسيراً على الصبيان الذين يقرءون القرآن .

تيسير الكتابة بالطريقة الصوتية . — وكنت قد وضعت لوزارة المعارف

السورية رسالة في الكتابة الصوتية نشرتها في مجلتها التربوية وطبعها رسالة على حدة ، ويذهب اليوم كثير من المعلمين هذا المذهب في تعليم الكتابة ؛ على أن في الفرنسية كما يتناه وفي الانكليزية والألمانية كثيراً من هذه المشكلات الكتابية والحروف التي تكتب ولا تقرأ ، ولم يقل المشرفون على تعليم هذه اللغات غيراً عليها وحرمة لسلفهم بوجوب حذف زوائدها وتبديل قواعدها .

هذا وقد تحسنت أصول تعليم القراءة والكتابة في أيامنا هذه كثيراً ، كما صلحت كتب النحو والصرف المدرسية التي حذا مؤلفوها حذو كتب المعلمين للغات الأجنبية ، فلا نرى فيها تلك الفلسفة الإصرائية ولا التحاويل الصرفية التي لا يرجع الطالب منها إلى محصول ، ولا تسفر له عن معنى معقول ، وليس في هذه الكتب ما يتعب المتدبى حفظه من المفردات الفصيحة المختارة ، ولا من كثرة الأسماء المسمى الواحد كما زعمت الندوة التلفازية ، فهو لا يتعلم إلا اسم السيف ويركب عليه جملة الكلامية ؛ وأما بقية أسمائه ، وهي في الواقع من صفاته ، فوضعها بطون المعاجم اللغوية ، والأدباء من الدارسين للأدب العربي في حاجة ماسة إلى البحث عنها لفهم هذا الأدب ، شعراً ونثراً ، وبما ذكرناه يتضح لنا أن تلك الصعوبة التي يعيرون بها اللغة العربية ترجع إلى سوء التأليف وضعف صناعة التعليم .

لجنة تيسير القواعد العربية . — وهذه لجنة تيسير قواعد اللغة العربية التي ألفتها وزارة المعارف المصرية (١) ، ترى من تيسير تعليم العربية حذف ذلك الإعراب الفلسفي التقديري والمحلي معاً ، بل ذهبت إلى حذف كل إعراب غامض كإعراب صيغ التعجب والتحذير والإغراء والتدبة والاستغاثة والمدح والذم ، بل ترى أن تحذف من علم الصرف ما هو من أبحاث فقه اللغة ، وأن لا تبقى منه إلا ما يحتاج المبتدئ إليه من تصريف الأفعال ، وما لا يستغني عنه في البيان .

ونحن من الإصلاح اللغوي لا نريد إصلاح اللغة بل إصلاح أساليب تعليمها وطرق تأليف كتبها ، فيبقى جوهر اللغة سليماً . وأذكر أنني — أيام كنت مفتشاً للغة العربية — شاهدت معلماً في حلب كتب على اللوح الأسود صيغتي التعجب ؟ « ما أسهل » وأسهل به ، وعجز عن إفهام تلاميذه إعراب الصيغتين كما عجز طلابه عن فهم كلامه ، وكان أحد الأذكياء منهم يقول لأستاذه : أنا لا أفهم كيف يكون فعل الأمر فعلاً ماضياً في إعراب (أسهل به) حين تقول (أسهل) فعل ماض جاء على صورة الأمر ، ولم يدرك في إعراب (به) من هذه الصيغة كيف تكون الهاء المكسورة فاعلاً ، والفاعل لا يكون إلا مرفوعاً !

ولذلك أحسنت لجنة تيسير القواعد المصرية باقتراحها أن يقال في إعراب جملة التعجب (ما أسهل النحو) : إنها صيغة تعجب والاسم المتعجب منه بعدها منصوب ، وكذلك في إعراب (أسهل به) يقال (أسهل) صيغة

(١) بمساعي وزيرها النور محمد الدين بركات ، ومن أعضائها طه حسين وأحمد أمين وإبراهيم مصطفى وعلي الجارم .

تعجب والاسم بعدها مكسور مع حرف الجر؛ واقترحت في إعراب عبارات التحذير والإغراء مثل إياك والنار، أو (النار النار) أن يقال في كل من هاتين الجملتين أنها صيغة تحذير والاسمان بعدها منصوبان ليس غير، ولا حاجة إلى تقدير العامل.

من أسباب الصعوبة كثرة وجوه الإعراب - - وحسبنا منها أن نذكر كثرة تلك الوجود في إعراب مثل (ان هذان لساحران) فقد ذكر النحاة قديماً أن لإعرابها وجوهاً ستة، كما ذكروا في إعراب البسطة تسعة أوجه سبعة منها جائزة الإعراب، ووجهان لا يجوزان وهما:

إن ينصب الرحمن أو يرتقعا فالجر في الرحيم قطعاً منعاً ومثل هذا الإعراب الكثير الوجوه والإعنات، مما يقصد ببعضه الامتحان والمعاينة، وكان كثير من الطلاب يكرهون لأجله درس النحو بالأزهر، وفرّ بعض الأئمة من الأزهر كله راجعاً إلى قريته، ولولا أن تداركه بعض أقربائه الذي أدرك سر فراره، وأخذ يلقيه مبادئ النحو متدرجاً به المحسوس إلى العقول. ومن السهل إلى الصعب، ففهم بذلك من معلمه القريب اللبيب ما لم يستطع فهمه في الأزهر، والتذّ بالنحو ودروسه فرجع إلى الأزهر، وهو أفهم وأعلم من رفقائه الذين لم يظفروا بتل معلمه البارِع في أصول التعليم، ولولاه لما أصبح من علماء الأزهر وأئمة المسلمين المصلحين، وذلك مما يثبت أن صعوبة اللغة العربية هي من سوء التعليم وفساد طريقة التلقين والتفيم، وإن هنالك من اللغات ما هي أصعب من العربية ويتعلمها الطالب لحسن أساليب التعليم بأسرع وقت وأيسر سبيل، والمبتدي العربي والأجنبي في ذلك سواء.

كثرة التجريد في قواعد النحو . — وقد انتبه لما في قواعد النحو من التجريد الذي لا يلائم مدارك الصبيان الأستاذ ساطع الحصري في كتابه (دروس في أصول التدريس) (١) كتعريف الفعل الماضي في بعض الكتب على الوجه التالي : « الفعل الماضي ما يدل على معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه » ، فيقول الأستاذ : لا شك ان هذا التعريف مجرد جداً فلا يلائم مدارك الأطفال ، وزد على ذلك انه غير جامع ولا مانع ، لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي لها معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه ، كما جاء في التعريف مع أنها لم تعتبر من الأفعال باتفاق جميع علماء اللغة مثل قديم ، سريع ، ماضٍ ، آتٍ ، متأخر ومستمر وهلم جراً ، فيجب علينا أن لا نعتمد على هذا التعريف ، وأن نرجع عليه التعريف الذي يستند إلى مفهوم الحديث : « الفعل ما يدل على حدث مقترن بزمن » .

كذلك التعريفات المبنية على الإعراب لا على المعنى مثل تعريف الفعل اللازم على الصورة التالية : « الفعل اللازم ما لا ينصب المفعول به » ، والفعل متعدي ما ينصب المفعول به » فلا حاجة بنا إلى ذكر أن هذا التعريف بمثابة تعريف الشيء بما هو أغمض منه ، وبما يحتاج إلى تعريف أكبر منه ، إذ ليس من الممكن أن يعرف التلميذ ما إذا كان للفعل مفعول به أم لا ، فلا يجوز أن يقال ذلك بل يجب أن يقال : « إن المفعول به يلفظ منصوباً » ، وإن الأفعال اللازمة لا يكون لها مفعول به » .

ثم نرى هذا المؤلف الحاذق ينتقل إلى بحث علامات الكلمات وإلى تعريفها وتوضيحها فيقول ما نصه : واعتادت الكتب المدرسية أيضاً أن تذكر تلك

العلامات فتقول : علامة الماضي أن يقبل تاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة ، وعلامة المضارع أن يصح وقوعه بعد (لم) وأن يتدىء بحرف من حروف أنيت ، وعلامة الأمر أن يقبل نون التوكيد (١) .

لذلك نرى معظم المعلمين (قديماً وحديثاً) يهتمون بتعليم هذه العلامات وباستجواب الطلاب فيها ، وكثيراً ما يسألونهم عندما يحییهم أحد التلاميذ بأنه ماض أو مضارع : كيف عرفت ذلك ؟ هل يقبل تاء الفاعل ، هل يصح وقوعه بعد لم ؟ هل يتدىء بأحد حروف أنيت ؟ وهلم جرا ...

ومن المعلوم أن علامة الشيء منطقياً يجب أن تكون أوضح وأظهر من الشيء نفسه ، فتعليم علامة ما لا يكون مفيداً إلا إذا كان فهمها وتمييزها من غيرها أسهل بكثير من فهم الشيء نفسه وتمييزه من غيره ، أما العلامات المذكورة فلم تكن من هذا القبيل .

ومن البديهيات أن تميز فعل الأمر بحسب معناه أسهل بكثير من معرفة ما إذا كان يقبل نون التوكيد أو لا ، بل أسهل من معرفة نون التوكيد نفسها إذا كانت متصلة بالكلمة ولاحقة بها حقيقة ، وكذلك تعريف الفعل الماضي بالنظر إلى معناه أسهل من معرفة ما إذا كان يقبل تاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة .

(١) ويقول ابن هشام في كتابه (شذور الذهب في كلام العرب) ما نصه : « والفعل إما ماض وهو ما يقبل تاء التأنيث الساكنة كفعلت وقعدت ؛ أو مضارع وهو ما يقبل (لم) كلم يعم . وافتاحه بحرف من تأيت مضموم إن كان الماضي رباعياً كأدعرج وأجيب ، مفتوح في غيره كأضرب وأستخرج ؛ أو أمر وهو ما دل على الطلب مع قبول ياء المخاطة كدومي . أقول : ونرى ابن هشام يميز فعل الأمر بحسب معناه قبل العلامات كما يريد الأستاذ المصري .

ذلك لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي تبدى بالتاء أو تنهي بها ، وليست مضارعاً ولا ماضياً ولا فعلاً ، فكلمات (قابوت ، حانوت ، بنات ، نبات) هي من هذا القبيل ؛ أما القول بأن التاء في هذه الكلمات هي من المادة الأصلية فإنها لا تبطل الملاحظات الآتية ، لأن معرفة المادة الأصلية وتمييزها من مزيداتها أصعب من معرفة الأفعال ومن تمييز بعضها من بعض ، زد على ذلك أن كثيراً من الكلمات تبدى بتاء مزيدة على المادة الأصلية وهي ليست فعلاً مضارعاً مثل تورط ، تبارك ، تكرر وهم جرا .

كذلك نرى الأستاذ يذلل كثيراً من صواب تعليم القواعد بطرق صحيحة معقولة ، وهو عما يدل على أن مرد أكثر تلك الصعوبة إلى سوء التأليف والتعليم لا إلى طبيعة اللغة العربية ، فإن في اللغات الإغريقية واللاتينية والألمانية من المشاكل ما هو أعضل من مشاكل العربية التي يقول في منطقتها رئيس القسم العربي لطلابه في مدرسة الدراسات الشرقية بلندن (١) :

« إن اللغة العربية إنما يسلس لكم قيادها إذا استعتم عليها بالمنطق السليم » .

طريقة التعليم بالنصوص . - وذلك باختيار كتب للقراءة مؤلفة من نصوص عربية مختلفة ، يتمرن الطالب الإعدادي حين القراءة في الدرس على أن ينطق المفردات والمركبات نطقاً صحيحاً ، ويستعين بفهم النص على معرفة مواقع الكلمات وحركات حروفها الأخيرة ، فإذا لفظ كلمة مرفوعة سأله المعلم عن سبب الرفع ، وعن سبب نصبها أو جرها إن نطق بالكلمة منصوبة أو مجرورة ، كما يسأله عن العوامل وعمل كل منها ، وبذلك

(١) ورئيس القسم العربي هذا هو البر طوملس آرنولد كما جاء في رسالة الأستاذ اسحق موسى الحسني : (رأي في تعليم اللغة العربية) .

ترسخ القواعد التي درسها في ذهنه ، وتقوى فيه ملكة القراءة الصحيحة ، وبذلك تتوحد لهجات أبناء الصف إن كانوا من مناطق مختلفة ، ويتعلمون كثيراً من الألفاظ والجلل القوية التركيب ، ويحسن بالمعلم البارح اتخاذ هذه الطريقة في الصفوف الإعدادية والثانوية ولا يكلمهم فيها إلا بجمل صحيحة وألفاظ فصيحة ، وأفضل طريقة لتعليم العربية للمبتدئين هي طريقة المحادثة التي سنين مزاياها ، وبما ذكرناه يتضح لنا جلياً أن تلك الصعوبة البالغ فيها مردّها إلى جهل المعلم بأساليب التدريس ، وإلى سوء تأليف كتب المبادئ التي يتعاور قواعدها النحوية كثير من التجريد والتعقيد ، فليست تلك الصعوبة إذن من طبيعة اللسان العربي المبين .

أسباب سهولة الإعراب . — فمن أسباب صعوبة الإعراب في لغتنا أن لا يوجب المعلم على طلابه حيناً يتعرّضون لإعراب آية من الكتاب أو بيت من الشعر أو قول من النثر ، أن يهتموا بادي الرأي بفهم معنى ما يعربونه فيها صحيحاً ، ولا يسرعوا في الإعراب قبل ذلك بالعبارات التي اعتادوا أن يعضفوها ولا يفهموها ، فكثيراً ما تزل قدم المرب بهذا الاسراع ، وقد نبّه لذلك الامام ابن هشام في مغنيّه حين ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض بها على المرب ، فأكد أن الجهة الأولى أن يراعي المرب ما يقتضيه ظاهر صناعة الإعراب ، ولا يراعي المعنى ، قال : وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك ، وذكر لذلك أمثلة جمة منها ما حكاه بعضهم أنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه (قيتاً) من قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ، قِيَتاً ﴾ (١)

(١) من الآية الأولى والثانية من سورة الكهف وهما : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيتاً لينفر بأساً شديداً من لدنه ويبقر للؤمنين الذين يصلون الصالحات أن لهم أجراً حسناً » .

فجعل (قيماً) صفةً لـ (عوجاً) ، قال ابن هشام فقلت له : يا هذا ، كيف يكون العوج قيماً ! وترشحت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجاً) وقفة لطيفة . دفعاً لهذا التوهم ، وإنما (قيماً) حال من اسم محذوف هو وعامله أي : أنزله قيماً .

اعجاب المستشرقين بالإعراب . — ومن شيوخ المستشرقين من جعل الإعراب من مزايا اللغة العربية ، وهو الأستاذ ماسينيون الذي قال في بحث له بمجلة مجمع مصر اللغوي (١) مانصه : « إن اختراع الإعراب ليس كما يزعم أكثر المستشرقين اختراعاً باطلاً ، وإنما هو توحيد صحيح وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التي لها محل من الإعراب ، وهذا اللغة العربية فضل عظيم لا يمكن إيقاؤه إلا بالاستمساك بالكتابة العربية ، إلى أن يقول : وقد ذكرت كيف آمنت بعقيدة النحو ، ورفضت مذهب تغيير الكتابة العربية بحروف لاتينية . »

اعتراف نمر الخطاب عن لغة الكتاب . — على أن من الأسباب الأساسية لصعوبة تعليم العربية اختلاف اللغة العامية عن اللغة الفصحى ، والعلون البارعون يذلون 'جهادهم' للتغلب على هذه العقبة بتمرين التلاميذ على التكلم بجمل صحيحة وألفاظ فصيحة بطريقة المحادثة والاستجواب ، ولا يكلمهم المعلم ولا يلقي عليهم الدرس إلا باللغة الفصحى ، لأن التلميذ الذي لا يسمع من معلمه إلا التراكيب الصحيحة والمفردات العربية يسهل عليه التخاطب بمثل ما اعتاد سماعه ، كما كان الصبي العربي في صدر الإسلام

لا يتكلم إلا بالفصحى التي يسميها في منزله من والديه ، ومن أقربائه وأترابه في بيته ومرباه ، فهو يعرب بالسليقة العربية فيرفع بطبعه الفاعل الذي يفعل الفعل ، وينصب المفعول ويحجر الأسماء بعد حروف الجر وعند الإضافة ، ذلك أن الصبيان يتعلمون بآذانهم قبل ألسنتهم ، وانطباعهم على لغة الأسماع سهل عليهم تركيب الجمل العربية القويمة ، وييسر عليهم فهم قواعد اللغة المستنبطة من الكلام العربي القويم ، وهو ما يسرعون معه في فهم القواعد لمشايتها لأصول كلامهم الذي به يتخاطبون .

وذلك مما يوجب علينا أن نعتمد أبناءنا التكلم بالفصحى ، وأن لا نكلمهم في منازلنا ، إن استطعنا ، إلا بالفصحى ، ويكثر المعلم من استجوابهم بالفصحى ، وهو مما يوجب علينا أن لا نشرع في تعليمهم لقواعد لغتهم إلا بعد بضع سنين من التمرين الشفهي والمحادثة بلغة صحيحة ، والطلاب الأجنبي والمستشرق يجب أن يتعلم في كتب مؤلفة على نمط الكتب التي تعلم بها لغته ، وأن لا يشرع في تعلم قواعد النحو والصرف إلا بعد أن تقوى لغته العربية بطريقة المحادثة ويستطيع الإجابة بالجمل العربية الصحيحة ، وطريقة المحادثة هذه هي لتعلم اللغات الطريقة الطبيعية والسليقة المثلى .

وبهذه الطريقة نرى أن الصبي العربي الذي اكتسب ملكة الإفصاح عما في قلبه ، يستطيع الانتباه إلى الجمل غير القويمة ، شأن ذلك الأعرابي الذي كان إذا كلموه في القرى بلغة غير صحيحة يحثها فوه ، ورددها بسليقته العربية ، ولسان حاله يقول للنحوي الذي لا يبين :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

الترقي



الأسلوب هو الرجل

من الأقوال التي انتقلت إلينا من الأدب الفرنسي قول «بوفون» :
الأسلوب هو الرجل ، وقد مُتِّبِر هذا القول على غير وجهه ، سواء أكان
هذا التفسير صادراً عن بعض أدباء فرنسة أم كان صادراً عن بعض أدباء
العرب في هذا العصر ، ولا بأس بتوضيح فكرة «بوفون» بعد يسير
من المقدمة .

ظهر «بوفون» في القرن الثامن عشر ، واشتهر بكتابه «التاريخ الطبيعي»
وبخطابه في المجمع العلمي الفرنسي وموضوعه «الأسلوب» ، أمّا تاريخه الطبيعي
فلا أتعرض له في هذا المقام ، فهو يدخل في باب العلم ، وحسي الإشارة
إلى أن السبيل القويم إلى تقدّم العلم في نظر «بوفون» إنما هو الوصف ،
فالعلم يلزمه أن يرى كثيراً وأن يصف بعد الرؤية ماظهر من الخصائص
وما بطن ، وأن يعمل على هذا النحو تاريخ النوع .

غرضي في هذا المقال الإلماع إلى خطاب «بوفون» : الأسلوب ، وعلى
وجهٍ أصح إلى جملة من هذا الخطاب ، وأرى أن نعلم تعريف «بوفون»
للأسلوب ، فقد عرفه على هذا الشكل : الأسلوب إنما هو الترتيب الذي
يدخله المرء على أفكاره ، والحركة التي يجعلها في هذه الأفكار ، وهو
يعني بالحركة السرعة الناشئة عن تسلسل الأفكار المنظم .

ولكن ما هي جملة «بوفون» التي يدور عليها هذا المقال ؟ قال «بوفون» :
الأسلوب هو الرجل ، وقد ظنّ بعض الأدباء أن «بوفون» أراد بهذا القول

أن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، فهو المرآة التي ترينا باطن الإنسان ، فلا غرّ بأسلوب كاتب من الكتاب إلاّ مررنا خلال هذا الأسلوب بكل دقيق وجليل من طبائع الكاتب وشيمه وما شاكل ذلك .

قد يكون في هذا التفسير وجه من الصواب في بعض الحالات ، فمن أقوال «موروا» في هذا المعنى : كل أثر من آثار الفن يكشف الفطاء في وجه من الوجوه عن بواطن روح صاحبه ... أجل ، قد يكون الأسلوب مرآة الرجل ، فالكاتب الرقيق القلب قد تظهر رفته على بعض كتابته ، والشاعر الغليظ الروح قد تين غلظته في شعره ، إلاّ أن «بوفون» لما قذف بعبارة المشهورة لم تكن غايته أن يقول إن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، وإنما الذي أراد أن يوضّحه إنّما هو هذا الأمر : في كل أثر من الآثار الفنية ، الصيغة والتأليف هما وحدهما من صنع الرجل ، من داخله ، أمّا الأفكار فقد تأتيه من الخارج ، وقد عبّر عن الأفكار بلفظة الأشياء فقال : هذه الأشياء إنّما هي من خارج الإنسان ، الأسلوب هو الرجل ذاته ، معنى هذا أن المؤلف تأتيه أفكاره من خارج نفسه ، ولكنه هو الذي يصوغها ويؤلفها ، فالصيغة والتأليف من عنده ، ودفعاً لهذا اللبس المستفيض اقترح بعض نقّاد فرنسة أن تقرأ عبارة «بوفون» على هذا الوجه : الأسلوب إنّما هو من الرجل نفسه ، بدلاً من القول : الأسلوب هو الرجل ، وأي بأس بعد هذا كله بأن تقول : الرجل هو الأسلوب ؟

وقبل النظر في قول «بوفون» لا أرى محذوراً في إمضاء القول في الأسلوب ، فإذا قلنا : الأسلوب ، فالتأني بذلك المذهب الذي ينهيه كل واحد منا في التأليف بين ألفاظه ، فالأسلوب لا يراد به اللفظ وحده ،

وإنما يراد به التأليف بين الألفاظ ، يراد به تنسيق هذه الألفاظ وترتيبها ، إذ أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ ، فقد يجوز أن يستعمل مؤلف من المؤلفين ألفاظاً صحيحة وأن يدخل الضيم على أسلوبه ، فيكون هذا الأسلوب جافاً ، غير مطبوع ، وعلى هذا فإن الذين يجالون للأسلوب المقام الأول يفرقون بين الأسلوب واللفظ ، فالأسلوب شيء واللفظ شيء آخر .

وكما أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ فقد يختلف عن العلم ، فقد نجد علماء ملاء العلم أذهانهم ولكنهم في ميدان الكتابة نجدهم كتاباً غير مجودين ، فقد غت فيهم ملكات العقل وصحة التمييز والذاكرة ، ولم ينم فيهم الحس والخيال ، فنشأ عن ذلك أن أسلوبهم غير جذاب ، لا لطف فيه ولا حرارة . وقد تختلف الأساليب على اختلاف الرجال والأمم ، فالرجل صاحب الفهم الثاقب أسلوبه سريع ، وجيز ، ملم ، والرجل الذي يغلب عليه الخيال له تعابير برّاقة ، مصوّرة ، والرجل الذي يعوزه التمييز لا تربط جملة وأجزاء تأليفه صلة من الصلات .

وهذا الاختلاف شهد في الأمم نفسها ، فأهل الشرق ، وهم أصحاب خيال ، قد حملوا أساليبهم في كل زمن من الأزمان صوراً قويّة تظهر عليها آثار النلو ، وأهل أثينة ، وهم شعب مصقول ، لين ، قد جعلوا لأنفسهم أسلوباً واضحاً ، صافياً ، أمّا اليونانيون في آسية ، وهم أصحاب خفخة وبهرجة ، فقد كان لهم أسلوب فيه ثرثرة وانتفاخ .

فلندخل الآن في موضوعنا ، ولنتظر في الذي ذهب إليه « بوفون » ، من أن المعاني تأتي من خارج الإنسان ، وأن الصيغة والتأليف إنما هما وحدهما من صميمه .

إنما نجد في الأدب الفرنسي أن «فولتير» لم يكن مبدعاً من المبدعين ، أي لم يأت بشيء جديد من الأفكار والمعاني ، فقد كان لا يستطيع أن يسلك مسلكاً إلا إذا كان هذا المسلك مهيئاً له ، فقد اغتصب أفكار غيره وجعلها أفكاره الخاصة ، جعلها ملكه الخاص ، فقد قالوا إنه لم يكتب بالفرنسية كاتب أحسن من «فولتير» ، إن جملة قصيرة ، سريعة ، وعبارته واضحة ، وأوضح صفات أسلوبه البساطة ، إنه يستخدم لغة كل الناس في أسلوب لا يفوقه أسلوب من حيث الطبع والسهولة .

إنما نجد في هذا الوصف الذي تشتمل عليه بعض كتب الأدب الفرنسي ما يؤيد قول «بوفون» من أن الأفكار تأتي من الخارج ، أمّا صيغتها وتأليفها فأنها من صنع الرجل نفسه ، فقد نهب «فولتير» أفكار غيره ، ولكنه استطاع أن يجعلها ملكه الخاص بفضل أسلوبه وبفضل مزايا هذا الأسلوب التي قدّمت الإشارة إليها .

ولقد قال بعض نقّاد الانكليز في كتابهم العظيم «برنارد شو» ما يقرب من قول الفرنسيين في كتابهم «فولتير» ، فقد كان «شو» يمرض أفكاره على شكل بديع ، وإن لم يكن مبدعاً لهذه الأفكار على الرغم من عبقريته وقوة حجته .

يستبطن من كل ما تقدم أن الشأن كل الشأن إنما هو للأسلوب ، أي لصيغة الأفكار وتأليف المعاني ؛ وقد ذهب هذا المذهب كبار الكتاب في فرنسا ، أمثال فولتير ، و «فرانس» و «فاكه» و «موروا» وغيرهم ، فمن كلام «فولتير» أن الأشياء تؤثر فينا في الأغلب من نواحي أساليبها ، أي من نواحي القوالب التي تصب فيها ، لأن للناس أفكاراً واحدة بوجه التقريب ، ولكن الأسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب .

ومن كلام «فرانس» : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه ، وإنما هو ملك الذي يثبت في الأذهان .

ومن كلام «فاكه» ، أن الذي يخلّد الكاتب إنما هو حسن الأسلوب .
وقريب من هذا الرأي قول «موروا» : الصيغة في أي أثر من آثار الفن إنما هي سرٌّ من أسرار البقاء .

أمّا كتاب العرب الذين هم على هذا الرأي فيأتي على رأسهم إمام البلاغة ، وأعني به الجاحظ الذي قال :

«المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي ،
وإنما الشأن في إقامة الوزن وتحجير اللفظ وسهولته وسهولة الخرج وفي صحة
الطبع ، وجودة السبك» .

وقد تصدّى أستاذ فاضل من أساتذة جامعة القاهرة لقول الجاحظ ،
وآخذه بهذا القول ، ولامه على استخفافه بمقادير المعاني وتفضيل الألفاظ
عليها ، ورأى أن الذي حمل الجاحظ على أن ينزع هذه النزعة إنما هو
أمر ديني ، فقد كان يرى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه ، وهذا ما حمله
على تعظيم الألفاظ والتهاون بالمعاني . إني لا أريد أن يتشعب الموضوع حتى
لا يتعقّد ، فلا أرى مناظرة الأستاذ الفاضل في هذا المعنى ، فإني أعتقد
أنهم خرجوا بكلام الجاحظ عن طبيعته ، إنه لما قال : المعاني مطروحة في
الطريق ، لم يختلف في قوله عن قول «بوفون» : الأفكار تأتي من الخارج ،
فالجاحظ لم يستخف بالمعاني وإنما عبّر عن سهولة الحصول عليها ، فكأنها
مائلة لكل عين ، فإذا مرّ أحداً في الطريق بفقير رث الثياب ، يكاد
ينسلخ لحمه عن عظمه من الجوع ، أفلا نجد في هذا الشاهد معنى من المعاني
الدالة على اليأس ؟ إلا أن تتميل هذا المعنى للأذهان إنما هو من عمل

الأسلوب ، أي من عمل الصيغة والتأليف ، من عمل السبك وحسن النظم ؛ وكتب الجاحظ تدلّ على محاسن هذه الصيغة والسبك والنظم وما ماثلها ، إنها تدلّ على براعة الأسلوب ، ومماذ الله أن تهمة بالإقلال من مقادير المعاني والأفكار وتآليفه كتبها قد غصّت بالمعاني والأفكار على اختلاف وجوهها ، في كل باب من أبواب الفلسفة والأخلاق والتربية والاجتماع والعلم وما شابه ذلك ؛ فإذا كان الجاحظ لم يتهاون بالأسلوب فهو لم يتهاون بالمعاني ، إلا أنه كان ماهراً كلّ الماهر ، يعرف كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه ، فهو كالتحيّط الحاذق الذي يفصّل الأثواب على مقادير الأجسام ، ولست في حاجة إلى المجيء بالبرهانات الصادقة على اهتمامه بالمعاني والألفاظ معاً ، وفي كتابه : البيان والتبيين كثير من الشواهد على هذا الأمر ، إلا أن المقام لا يتسع للإفاضة في هذا الموضوع ، فلماذا نأخذ كلام الجاحظ على ظواهره ولا نتعمق قليلاً في بواطنه ؟

لقد تباينت نظرات نقّاد العرب في شأن المعاني وصيغتها أمثال ابن قتيبة والعسكري وابن رشيق وابن الأثير ، إلا أن لهذا الموضوع مقاماً يختلف عن موضوعنا ، أصل الموضوع توضيح فكرة «بوفون» : المعاني. تأتي من الخارج ، أمّا نحن فنملك صيغتها وتأليفها ؛ فالأسلوب هو من عندنا ، والمعاني من خارجنا ، فليس موضوعنا تفضيل المعنى على اللفظ أو تفضيل اللفظ على المعنى حتى ندخل في هذه التفاصيل .

لقد دفعت إغارة الشاعر أو الكاتب على أفكار غيره بعض نقّادنا في القديم إلى نسبة الرقة إلى هذا الشاعر أو هذا الكاتب ، على أن العرب قد تشرك في طائفة من الألفاظ والمعاني ؛ وقد عمل الآمدي كتاباً في هذا الموضوع ، فقد جاء في معجم الأدباء أن له كتاب الخالص والمشارك ، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشرك فيها العرب ولا ينسب

مستملها إلى السرة وإن كان قد سبق إليها ، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفرّدوا به ، وما قصّر الآمدي في إيضاح ذلك وتحقيقه ؛ وقد فطن ياقوت إلى هذه المسألة فقال : أكثر ما ينسب إلى الشعراء من الرقات إنما هو من باب توارد الخواطر .

ولا ريب في أن الذي لا يدخل في باب توارد الخواطر إنما هو أن يغير المؤلف على أفكار غيره ، فيها بألفاظها نفسها ، فهذا يدخل في باب الرقات ، أمّا إذا أغار المؤلف على أفكار غيره ، كما فعل «قولتير» فأفصح عنها بأسلوبه الخاص ، بأسلوب يجمع خصائص البلاغة ، فهذه الإغارة تأتي مؤيدة لقول «بوفون» الأسلوب هو الرجل ، أو بعبارة أوضح إذا جاز لي هذا التصرف : الرجل هو الأسلوب .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٦ -

الرواقية

Stoïcisme في الفرنسية

Stoicism في الانكليزية

مذهب زينون (Zénon) وكليانت (Cléanthe) وكريزيب (Chrysippe) وسنكا ، وابكتاتوس ، ومرقص أورليوس ، وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان ، وقد سموا بالرواقين لأن (زينون) الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق .

والرواقي (Stoïcien) يرى أن السعادة في الفضيحة ، وإن الحكيم لا يبالي بما تفعل به نفسه من لذة وألم ، حتى إن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار . وكل من كان رواقياً كان مطمئن النفس ، رابط الجأش ، صابراً لا يفرح بشيء ، ولا يحزن على شيء ، ولا يبالي بما يصيبه من بؤس وشقاء . وإذا كان الرواقي يعيش عيشة راضية مرضية فمرد ذلك إلى اعتقاده أن الإنسان جزء من الكون ، وإن غايته أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تمليه عليه الطبيعة ، منصرفاً عن العواطف والأفكار التي تحيد عن جادة القانون الطبيعي .

ومعظم الرواقين يرون أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية ، وأن النار أصل الوجود ، وأنها توحد أجزاء الجسم ، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض ، وإن العالم لا ينفصل عن الله .

زبدة الشيء

في الفرنسية Quintessence

في الانكليزية Quintessence

زبدة الشيء خياره وخلاصته . وأصله في اللاتينية (Quinta essentia) أي العنصر الخامس ، أو الجوهر الخامس ، لأن العناصر عند فلاسفة اليونان أمبدقلس ، وآرسطو وغيرهما) أربعة ، وهي التراب والماء والهواء والنار . أما السماء فهي مكونة من عنصر آخر ، وهو أعلى من العناصر الأربعة ومتقدم عليها ، ويسمى هذا العنصر السماوي بالعنصر الخامس . ويطلق لفظ (Quintessence) في أيامنا هذه على زبدة الشيء أي على أعمق ما فيه . فزبدة الشيء تمثل إذن خواصه الذاتية ، وتطلق على ما فيه من عيوب ومزايا خالصة مقومة له ، تقول زبدة الكتاب خلاصته ، وزبدة الأخلاق خيارها .

الزمان

في الفرنسية Temps

في الانكليزية Time

في اللاتينية Tempus , Temporis

في اليونانية Chronos

١ — الزمان الوقت كثيره وقليله . وهو المدة الواقعة بين حادثين أولاهما سابقة وثانيهما لاحقة ، ومنه زمان الحصاد ، وزمان الشباب ، وزمان الجاهلية . وجمع الزمان أزمنة ، تقول : السنة أربعة أزمنة ، أي أقسام وفصول ، وتقول أيضاً : الأزمنة القديمة ، والأزمنة الحديثة .

٢ — والزمان في أساطير اليونانيين هو الإله الذي ينضج الأشياء ويوصلها إلى نهايتها .

٣ — والفرق بين الزمان والدمر والسرمد ان نسبة المتغير إلى المتغير هي الزمان ، ونسبة الثابت إلى المتغير هي الدهر ، ونسبة الثابت إلى الثابت هي السرمد .

٤ — لقد زعم (ارسطو) أن الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم ، وذلك لأن الزمان متفاوت زيادة وتقصاناً ، فهو إذن كم ، وليس كماً منفصلاً لامتناع الجوهر الفرد ، فلا يكون مركباً من آفات متتالية ، فهو إذن كم متصل ، إلا أنه غير قار ، فهو إذن مقدار لهيئة غير قارة ، وهي الحركة .

٥ — وقد أخذ معظم فلاسفة العرب بهذا المعنى الارسطي ، إلا أن (المتكلمين) زعموا أن الزمان أمر اعتباري موهوم . وعرفه الأشاعرة بقولهم إنه متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم . وقال (الرازي) في الباحث الشرقية إن للزمان كالحركة معنيين : أحدهما أمر موجود في الخارج غير منقسم وهو مطابق للحركة ، وثانيها أمر متوهم لاوجود له في الخارج .

٦ — والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماضٍ أو مستقبل . وليس عندهم زمان حاضر ، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضي والمستقبل .

٧ — ومن معاني الزمان في الفلسفة الحديثة انه وسط لا نهائي غير محدود ، شبيه بالمكان ، تجري فيه جميع الحوادث فيكون لكل منها تاريخ ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك (نيوتون) و (كلارك) ، أو كان موجوداً في الذهن فقط

كما ذهب إلى ذلك (لينيز) و (كانت) . فما قاله (لينيز) : الزمان تصور مثالي ، وما قاله (كانت) إن الزمان صورة عقلية محيطة بالأشياء الحدسية ، وإن المقادير المحدودة من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائي واحد . فكأن الزمان إطار يحيط بالأشياء إلا أنه ذو بعد واحد وهو الطول . وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود كل نقطة من نقاطه بجانبه للأخرى .

٨ — والزمان عند بعض المحدثين هو التغير المتصل الذي يجعل الحاضر ماضياً . قال (هنري برغسون) : « العقل ينفر من كل شيء سيّال ، ويجمد كل ما يتناوله . ونحن لا تفكر في الزمان الحقيقي بل نحيا فيه ، لأن الحياة تطفئ على العقل من كل جانب ، (التطور المبدع ، ص : ٥٠) . فالزمان الحقيقي . وهو الديمومة (*Durée*) يختلف إذن عن الزمان الرياضي أو الزمان العلمي ، وهو دفعة سيالة ، أو مجرى متحرك ، أو تيار مستمر يجري أمام المدرك الواقف على شاطئ الحاضر ، ومنه قولهم يجري الزمان ، وسير الزمان

٩ — ومعنى ذلك أن معنى الزمان قد يكون مرادفاً لمعنى الديمومة أو يكون مختلفاً عنه فإذا كان مرادفاً له دل على الوسط الذي تجري فيه الأفعال والحوادث ، كما في قولنا زمان سقوط الأجسام ، أو زمان الذوبان ، أو زمان الحالات النفسية ، وإذا كان مختلفاً عنه دل على الزمان المطلق أو الزمان المجرد .

١٠ — والزمان الوجودي هو الزمان الذاتي أو الزمان الوجداني المصبوغ بالانفعال كزمان الانتظار ، أو زمان الأمل . وهذا الزمان ليس كماً ، وإنما هو كيف لا يقبل القياس على خلاف الزمان الفاعل الذي يطلق على التأثير في الأشياء فهو موضوعي وكمي وقابل للقياس .

الزماني

في الفرنسية Temporel

في الانكليزية Temporal

الزماني هو المنسوب إلى الزمان ، أو الوجود في الزمان ، وهو مضاد للأبدي لأن الزماني يدل على المتغير ، والأبدي يدل على الثابت . ونسبة الزماني إلى الأبدي كنسبة المتناهي إلى اللامتناهي .

وفرقوا بين الزماني والأبدي أيضاً بقولهم إن الزماني متعلق بالحياة المادية ، على حين أن الأبدي متعلق بالحياة الروحية . ومن قولهم السلطة الزمنية ، والسلطة الروحية .

والزمانية صفة ما كان زمانياً ، وهي عند الوجوديين (Existentialistes) حركة تدفع المستقبل إلى الماضي حتى توصله إلى الموت ، أي إلى لحظة لا مستقبل بعدها .

ويطلق لفظ اللازماني (Intemporel) على ما كان ثابتاً خارج الزمان . لا تغيره صروف الدهر ، ولا تقلبات الحداث .

الزمان المحلي

في الفرنسية Temps local

الزمان المحلي مضاد للزمان المطلق (Temps absolu) ، إلا أن القائلين بالنسبية ينكرون الزمان المطلق لزعمهم انه لا يوجد مقياس واحد للزمان ينطبق على منظومات مختلفة الحركات . وكل معية (Simultanéité) بين الحوادث الواقعة في أمكنة مختلفة فهي عند معية نسبية . بل الحادثان قد

تكوّنان موجودتين معاً بالنسبة إلى راصدٍ ، وغير موجودتين معاً بالنسبة إلى آخر لاختلاف المكان الذي يرصدانهما منه . ولكل منظومة زمانها الخاص بها ، أعني زمانها المحلي ، وهو وحده حقيقي .

وبينما نحن نجد (سبنسر) يرجع المكان إلى الزمان نجد (هنري برغسون) يرجع الزمان التجانس (Temps homogène) - وهو ضد الديمومة - إلى المكان . أما علماء النسبية (Relativité) فيجمعون الزمان والمكان في مفهوم واحد ، وهو الزمان المكاني (Le temps - espace) .

الزمان الخاص

في الفرنسية Temps propre

يطلق اصطلاح الزمان الخاص على الزمان الداخل في المعلوم الفيزيائية ولا سيما في مذهب النسبية . ويرجع القول بالزمان الخاص إلى استحالة نسبة حوادث الكون إلى زمان واحد (كالزمان الذي ذهب إليه نيوتون وكانت) ، لأن لكل قسم من المادة زمانه الخاص به . وغاية ما يستطيعه العالم أن يقارن بين الأزمنة المختلفة الخاصة بقسم قسم من المواد المتحركة .

زمان الانعكاس

في الفرنسية Temps de réaction

في الانكليزية Reaction - time

زمان الانعكاس هو المدة الواقعة بين المؤثر ورد الفعل . وله عدة أنواع كزمان الانعكاس البسيط ، أو زمان الانعكاس لمؤثرين مختلفي الشدة ، أو لمؤثرين متعدين ، أو الإجابة بإشارة معينة عن أنواع مختلفة من المؤثرات .

الزهد

في الفرنسية Ascétisme

في الانكليزية Ascetism

Asceticism

أصل (Ascétisme) في اليونانية (Askesis) ومعناه التمرين والرياضة .
والرياضة في الاصطلاح هي استبدال الحالة المحمودة بالحالة المذمومة أي الإعراض
عن الشهوات .

أما في اللغة العربية فالزهد ترك الميل إلى الشيء ، تقول زهد في الشيء
زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره له أو لتخرجه منه أو لقلته ،
وزهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه ، وحرامها مخافة عقابه . لذلك قيل
الزهد نوعان : أحدهما الزهد في الحرام ، والآخر الزهد في الحلال . فإذا
كان في الحرام كان فرضاً ، وإذا كان في الحلال كان فيصلاً .

. والزهد في اصطلاح أهل الحقيقة هو بنف الدنيا والإعراض عن شهواتها .
وهذا المعنى قريب من معنى التقشف لأن التقشف ترك الترفه والنعمة ،
ومحاربة النفس في سبيل الوصول إلى الكمال الأخلاقي .

والزاهد من ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، أي لا يفرح
بشيء منها ، ولا يحزن على فقده ، ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه
مع دوام الذكر والمراقبة ، والتفكير في الآخرة . لذلك قيل : الزهد ترك
راحة الدنيا طلباً للآخرة ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب : من زهد
في الدنيا هانت عليه الآخرة .

وأعلى درجات الزهد الزهد فيما سوى الله تعالى من دنيا وجنة وغيرها
إذ ليس بصاحب هذا الزهد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه . لذلك
قيل : الزهد ترك ما يشغلك عن الله .

ويطلق الزهد أو التقشف في الفلسفة الحديثة على المذهب الأخلاقي الذي
لا يحسب للذات والآلام حساباً ، ويعرض عن إشباع الفرائز الحيوانية
والنزعات الحسية والطبيعية . وجميع مذاهب الأخلاق تقول بوجوب سيطرة
الإرادة على الدوافع التلقائية ، إلا أن هذه السيطرة لا تصبح زهداً
أو تقشفاً إلا إذا أفرط صاحبها فيها .

وكثيراً ما يكون الزهد نتيجة اتجاه ديني أو أخلاقي أو يكون المقصود
به الحصول على الكمال الذاتي بممارسة الرياضة الروحية .
وإذا اشتد الزهد وصحبه تلذذ بالآلم لذاته أصبح انحرافاً عن الجادة
أو مرضاً في النفس .

الزواج

في الفرنسية Mariage

في الانكليزية Marriage

الزواج هو الاقتران الشرعي بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة جديدة .
وتختلف شروط عقده وفسخه والحقوق والواجبات المترتبة عليه باختلاف
الجماعات . فإما أن يكون للرجل الواحد امرأة واحدة كما في الزواج الفردي
(Monogamie) أو عدة نساء كما في نظام تعدد الزوجات (Polygamie) ،
وإما أن يكون للمرأة الواحدة عدة رجال كما في نظام تعدد الأزواج

(Polyandrie) . وقد يتحتم على الرجل أن يختار زوجته من عشيرته وأهله كما في نظام الزواج الداخلي (Endogamie) أو يتحتم عليه اختيارها من خارج عشيرته كما في نظام الزواج الخارجي (Exogamie) . وهذا النوع الأخير شائع في نظام الطوطمية (Totémisme) .

والفرق بين الزواج الديني (Mariage religieux) والزواج المدني (Mariage civil) أن الأول تابع للسلطات الدينية على حين أن الثاني تابع للسلطات المدنية .

وقد يبنى الزواج على العاطفة فيكون نتيجة حب متبادل بين الرجل والمرأة أو يبنى على العقل فيكون نتيجة تفكير كل من الزوجين في مصلحته . ولكن الزواج الكامل يبنى على العاطفة والعقل معاً لأنه إذا خلا من الحب أو من الشروط المادية والاجتماعية التي تصونه لم يثبي أسرة سعيدة . فليس الزواج إذن وسيلة لإشباع الغريزة الجنسية وإنما هو عقد اجتماعي لتكوين أسرة يشعر فيها كل من الرجل والمرأة بالطمأنينة الروحية .

من أجل هذا قيل يجب على الرجل أن يحب امرأته كما يجب نفسه حتى يصبح الاثنان شخصاً واحداً .

الزي

في الفرنسية Mode

في الانكليزية Fashion

الزي الهيئة والمنظر واللباس ، يقال : أقبل بزي العرب أي بلباسهم . ويطلق الزي مجازاً على مجموع الأحوال والعبادات والآراء المنتشرة في

المجتمع ، تقول تزيًا بصادات الأوربيين ، وأقام مادية على زي الأمريكيين ، ونظم الشعر على زي الرمزيين ، وفلان يتزيا بالهوى أي يتظاهر به ويدعيه .
وفرق الفيلسوف تارد (Tarde) بين مفهوم التزي ومفهوم المادة الاجتماعية بقوله : إن التزي يقوم على تقليد المعاصرين ، على حين أن المادة الاجتماعية تقوم على تقليد السابقين .

السبب

Cause , motif , raison في الفرنسية

Cause , motive , reason في الانكليزية

١ - السبب الجبيل ، وما يتوصل به إلى غيره ، والجمع أسباب ، وأسباب السماء مراقبها أو فواحها أو أبوابها .

والفرق بين السبب والشرط أن السبب هو ما يكون وجود الشيء موقوفاً عليه كالوقت للصلاة ، على حين أن الشرط هو ما يتوقف وجود الشيء عليه كالوضوء للصلاة . وقيل أيضاً إن السبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود ، على حين أن الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم .

والسبب مرادف للعلّة (Cause) ، إلا أن النظائر يفرقون بينها من وجهين : أحدهما أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلّة ما يحصل به . والثاني أن العلول ينشأ عن علته بلا واسطة بينها ولا شرط على حين أن السبب يفضي إلى الشيء بواسطة أو بوسائط . ولذلك يتراخي الحكم عنه حتى توجد

الشرائط وتتنفي الموانع . أما العلة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لا شرط لها ، بل متى وجدت أوجبت وجود المألول . ومعنى ذلك أن السبب أعم من العلة . لأن كل علة سبب .

ويقسم السبب إلى تام وغير تام ، فالتام هو الذي يوجد السبب بوجوده ، وهو مرادف للعلة . وغير التام هو الذي يتوقف وجود السبب عليه ، لكن السبب لا يوجد بوجود السبب وحده (الجرجاني) . والسبب عند الأصوليين ما كان طريقاً للوصول إلى الحكم من غير تأثير فيه ولا توقف للحكم عليه .

٢ — والسبب في اصطلاحنا ثلاثة معان :

آ — السبب هو العامل في وجود الشيء ، ويطلق على كل حالة نفسية شعورية كانت أو غير شعورية تؤثر في حدوث الفعل الإرادي . وهو قيمان عقلي وانفعالي ومن عادة العلماء المحدثين أن يسموا الأول عاملاً (motif) والثاني دافعاً أو باعثاً (mobile) .

ب — السبب هو المبدأ الذي يفسر الشيء تفسيراً نظرياً . وهو ما يتوصل به إلى غيره أو هو كما قال بعض الفلاسفة ما يحتاج إليه الشيء في ماهيته أو في وجوده لذلك سمي سبباً عقلياً (Raison) أو مبدأ (Principe) ، ومنه قولهم سبب الوجود (Raison d'être) .

ج — والسبب عند علماء الأخلاق ما يفضي إلى الفعل ويسوغه ، وهو مرادف للحق ، تقول إن للقلب حقوقه أي أسبابه . وتقول فلان يعضني بغير سبب أي بغير حق . وقد يطلق السبب على الحجة التي يعتمد عليها في إثبات الحق حتى لو كانت غير صادقة . فيكون السبب بهذا المعنى

قوياً أو ضعيفاً ومنه قولهم إن الأسباب التي يحتاج بها الأقوياء أوقع في النفس من الأسباب التي يحتاج بها الضعفاء .

٣ — والسببي (Causal) هو المنسوب إلى السبب ، ويطلق على ما يتعلق بالسبب أو يختص به أو يقومه .

٤ — والسببية (Causalité) هي العلاقة بين السبب والنتيجة ، ومبدأ السببية (Principe de causalité) أحد مبادئ العقل ، ويمبرون عنه بقولهم : لكل ظاهرة سبب أو علة . فما من شيء إلا كان لوجوده سبب ، أي مبدأ ، يفسر وجوده . حتى لقد زعم (كانت) أن السببية إحدى المبادئ الضرورية لتفسير التجربة ، ولها عنده وجهان أحدهما مبدأ الأحداث أو الانتاج (Principe de la production) والآخر مبدأ التابع الزمني وفقاً لقانون السببية (Principe de la succession dans le temps suivant la loi de causalité) . أما المبدأ الأول فيوجب أن يكون لكل حادث سبب يتوقف وجوده عليه قبل حدوثه ، وأما المبدأ الثاني فيوجب أن تحدث جميع التغيرات وفقاً لقانون الارتباط بين السبب والنتيجة (أي بين العلة والمعلول) .

٥ — مبدأ السبب الكافي (Principe de raison suffisante) — قال (لينيز) هناك مبدآن كبيران للاستدلال العقلي : الأول مبدأ التناقض (Principe de contradiction) والثاني مبدأ السبب الكافي . وهو يوجب أن يكون لكل شيء سبب يتوقف وجوده عليه ، أو هو ما يتوصل به بصورة قبلية إلى تعليل وجود الشيء أو عدم وجوده ، أو إلى تفسير كونه على هذه الحالة أو غيرها . وقد قم (شوبنهاور) بمبدأ السبب الكافي

أربعة أقسام وهي مبدأ السبب الكافي للصيرورة (Devenir) ، ومبدأ السبب الكافي للمعرفة ، ومبدأ السبب الكافي للوجود العقلي (كما في العلاقات الرياضية) . ومبدأ السبب الكافي للفعل ، وهو المبدأ الذي يجعل حصول الفعل موقوفاً على عوامل وبواعث خاصة . ومن مشتقات مبدأ السبب الكافي مبدأ السببية ، ومبدأ القوانين (Principe des lois) ومبدأ الحتمية (Principe de déterminisme) ومبدأ الجوهر (Prin. de substance) ومبدأ الفائية (Principe de finalité) . (راجع الألفاظ الآتية : العلة ، المبدأ ، العقل) .

محمّد صليبا



أدب الفقهاء

- ٧ -

الشعر الفلسفي :

الفلسفة بالاستعمال القديم لم تكن قاصرة على علمي النفس والأخلاق كما هي اليوم ، بل كانت تشمل سائر المعارف الإنسانية من نظرية وعملية ، فتدخل فيها العلوم الطبيعية والرياضية والطب والأخلاق وعلم الجمال . وبهذا المعنى كان أرسطو يستعملها ، وكذلك علماء عصر النهضة الأولون في أوروبا مثل فرنسيس بيكون وديكارت وأضرابها . وبالطبع فإن من تتكلم عنهم من الفلاسفة الأدباء العرب إنما كانوا من هذا القيل ، ولكننا مع ذلك لا تقدم من شعرهم إلا ما كان له صلة وثيقة بالباحث الفلسفية بمعناها المحدود كمشكلة الوجود والحقيقة الأزلية وما إلى ذلك . على أن المراد هو أن تكون هذه البحوث هي منطلق التفكير الشعري لا الدخول في التفاصيل وعرض أقطار الفلاسفة في الموضوع ، فإن ذلك يؤول إلى تأليف نظم تعليمي في الفلسفة كألفية ابن مالك في النحو وأرجوزة ابن سينا في الطب ، وما أبعد هذا عن أغراض الشعر والشعراء .

ولعل الشاعر العربي الوحيد الذي تناول في شعره مشكلة الوجود الإنساني والحقيقة العليا واختلاف المذاهب والآراء فيها وكان للتفكير الفلسفي ظل سابغ في معظم إنتاجه الشعري هو أبو الملاء المعري ، وبالرغم من ذلك فإنه لا يمكن أن يقال في شعره أنه فلسفة خالصة ، ولكنه شعر ينطلق من محط أقطار الفلاسفة ومجالات تفكيرهم .

وهكذا أصحابنا الفقهاء أو العلماء بلفظ أعم ، وإن كانوا فلاسفة حقيقيين ، لا يعرضون علينا في شعرهم إلا جانباً من النظر الفلسفي في ثوب من الخيال الشعري ليكون إنتاجهم عملاً أدبياً ناجحاً .

وأول من تذكره منهم الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، فإن قصيدته السينية في النفس هي الملم المرفوع في هذا الباب ، ما زالت منذ قائلها صاحبها تتناقلها الرواة ، وتكتب عليها الشروح ، وتختص وتشتطّر نظماً ، وترجم إلى اللغات الشرقية والأوربية ، وذلك كله من الأهمية التي لها لدى الأدباء والفلاسفة على السواء ، وجوهر الموضوع فيها هو اتصال النفس بالجسد وفراقها له ، وهي عبّرَ ذلك تطرح التساؤلات الآتية : لأي شيء كان هذا الاتصال ؟ فإن كان لغير تحصيل الكمال فهي حكمة طواها الخالق عن إدراك الإنسان ، وإن كان لتحصيل الكمال فلم يقع الفراق قبل حصوله ؟ وهذا طبعاً بأسلوب يتراوح بين التقرير والتخييل ، هو الذي أعطاها تلك الصفة الأدبية التي جعلتها من عيون الشعر الفلسفي . وها هي ذي :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تمزّز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سمرت ولم تبرقع
وصلت على كثره إليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تقجع
ألفت وما سكنت فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البقع
وأظنها نسيت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تمنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الأجرع
غلقت بها ثاء الثقيل فأصبحت	بين المالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهداً بالحمى	بدماع تهمي ولما تقلع
ويظل ساجدة على الدّمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشراك الكيف وصدها
 حتى إذا قرُب السير من الحمى
 وغدت مخالفة لكل غلثف
 سبجت وقد كُشف الغطاء فأبصرت
 وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
 فلا شيء أهبطت من شاهق
 إن كان أهبطها الإله لحكمة
 وهبوطها إن كان ضربة لازب
 وتعود عالة بكل خفية
 وهي التي قطع الزمان طريقها
 فكانها برق تآلق بالحمى
 قفص عن الأوج الفسيح المتربع
 ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
 عنها حليف الشرب غير مشيع
 ما ليس يدرك باليون المجمع
 والعلم يرقع كل من لم يرقع
 عال إلى قعر الحضيض الأوضع
 طويت على القذ الليب الأروع
 لتكون سامعة بما لم تسمع
 في العالمين غرقها لم يرقع
 حتى لقد غربت بغير المطلع
 ثم انطوى فكأنه لم يلمع

أثبتنا هذه القصيدة بكاملها لأننا كلما أردنا الاجتزاء منها بقسم وجدنا أن
 روعتها لا تكمل إلا بالقسم الآخر ، فهي وحدة مترابطة بإشارتها ورموزها
 لا يصح تجزئتها . ونحب أن ينتبه القاري إلى جمال التعبير عن النفس بالورقاء
 وهي الحمامة ووصفها بالتعزز والتمنع وكونها محجوبة سافرة ، وإلقائها لخراب
 الجسم مع تطلعها للمحل الذي هبطت منه وذكرها لعهودها بذلك الحمى المنيع ،
 إلى آخر ما وصفها به . وما أحسن ما وقع قوله في مدح العلم : « والعلم
 يرفع كل من لم يرفع ، بعد ذكر المحنة التي مرت على النفس واكتسبت بها
 من المعرفة ما رفعها إلى الأوج . وأخيراً يتطرق الشيخ إلى مذهب التناسخ
 في البيت الذي قبل الآخر فينفيه بتلك العبارة القاطعة مؤكداً مفهوم جواب
 الشرط المذكور قبله ، من أنه لا كمال في الحياة الفانية ولا رجوع إليها
 لتجصيله كما يقول أصحاب ذلك المذهب ، فله در ابن سينا ما أجمله فيلسوفاً
 وأديباً ومؤمناً صادقاً ...

وثاني قصيدة بعد العينية أملت بالمقاصد الفلسفية وإن لم تكن لها شهرتها هي قصيدة ابن الشَّيْل البغدادي وهو كما في عيون الأنباء : « أبو علي الحسين ابن يوسف بن شبل ^(١) ، مولده ، ومنشأه بغداد . وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيداً . وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة . وهذه القصيدة من جيّد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم الحِكْمِيَّة والأسرار الإلهيَّة . وبعضُ الناس ينسبها إلى ابن سينا وليست له » . وهذا هو في مظهرها الرائع يلقي السؤال الذي لا جواب عليه :

بربك أيها الفلك المدار أقصدُ ذا المسير أم اضطرار
مداركُ قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهار
وفيك زى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

إنها مشكلة الزمن والمكان ، أو الفضاء ، التي حيرت العقول منذ القدم وما زالت بدون حل حتى في عصرنا هذا ، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية التي تغزو الفضاء يومياً بالعالم الذي جعل من هذا الفضاء ومباحثه مادة اختصاص يكف عليها مئات العلماء في الشرق والغرب ، فلا يتقنون إلا إلى أبعاد سحيقة إنما هي مظهر من عظمة الكون وهندسته العجيبة ، فأما عِلَّتُهُ ومِيسَرُ تكوينه فأمر عجيب لا سبيل إلى معرفته والاطلاع عليه ، وذلك ما صاغه ابنُ الشَّيْل في هذا المطلع بلباقة حِكْمِيَّة وبراعة أدبيَّة لا نجد لها إلا عند أمثاله من العلماء الأدباء .

ويتابع صاحبنا أسئلته الحائرة عن مصير الإنسان بعد مفارقة الحياة ، وعن المجرَّة ونهرها العجيب والشمس والنجوم والشهب الضاربة فيقول :

(١) في الروافي لامفدي : محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشَّيْل .
(لجنة المحلة)

وعندك ترقع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار
ومَوْجُ ذِي^(١) المجرَّة أم فِرِثْدُ على لجج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعاً بأجنحة قوادِمُها قِصار
وطوق في النجوم من الليالي هلا لك أم يدُ فيها سوار
وشهب ذي الخواطِيف أم ذُبال عليها المَرخُ يُقدَح والمغار
وترصيعُ نجومك أم حَبَاب تؤلف ينسه اللجج الغزار
تمد رقومها ليلاً وتطوى نهراً مثل ما طوي الإزار
فكم بصقالها صدي^(٢) البرايا وما يصدا^(٢) لها أبداً غرار

ويطول بنا التعرض لما تناولته القصيدة بمد هذا من قلب الزمن بأهله
وعكس مرادهم ، وخطيئة الانسان الأول وما جرت به من شقاء على الانسانية ،
وإن كان لا يصح غض الطرف عن قولها في وصف القيامة ، وفيه ملامح
من وصف القرآن لذلك اليوم الهائل ونصه :

إذا التَّكْوِيرُ غَالَ الشمسَ عَنَا وغال كواكبَ الليل انتشار
وُبدَّ لنا بهذي الأرض أرضاً وطوَّحَ بالسَّموات انقطاع
وأذهلت المراضع عن بنينا لحيرتها وعطَّلت العِشار
وسيرت الجبالُ فكنْ كُتُباً مهيَّلاتٍ وسُجَّرت البحار
فأين ثباتُ ذي الأبواب منا وأين مع الرجوع لنا اصطبار

وهو وصف بليغ يدل على مقدرة ابن الشبل اليبانية وعلى إيمانه العميق ،
برغم ما أبداه من حيرة وأثارة من إشكال لزاء بعض المأثورات . ثم هو
ينهي قصيدته العظيمة بقوله في عظمة الكون والاعتبار بقدرته الخالق :

(١) في عيون الأبناء الذي تنزل عنه : ذا

(٢) في عيون الأبناء صدي بدون همز ، ويصدي بياء ألف .

فما لِسْمُوَ ما أظلى اتهااء ولا لِسْمُوَكِ ما أرسى قَرار
ولكن كل ذا التهويل فيه لِنِى الألباب وعظ وازدجار
ولابن الشبل أيضاً قصيدة في رثاء أخيه أحمد ينبغي أن تكون تَوْأَم قصيدة
أبي العلاء المري المشهورة في رثاء أحد فقهاء الحنفية بما طرقة فيها من أفكار
في فلسفة الموت والحياة مع جودة التميز وبلاغة الأداء ومنها قوله :

صحّة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي تقتدي غوت ونحي أقتلُ الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت ولا كان أخذوها والعطاء
راجع جودها عليها فمها يهب الصبح يستردّ المساء
ليت شعري حُلماً تمرّ بنا الأيام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يجنيه للعالم الكون فما للنفوس منه اتقاء
قبّح الله لذة لأذانا ناهيا الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء

وهذه أبيات مشهورة في معان فلسفية مختلفة ، فمنها للشهرستاني صاحب
كتاب الملل والنحل :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وردت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارع^(١) سنّ يادم
وبالفخر الرازي :

نهاية أقدام العقول عقاب وأكتر سبي الباكين ضلال
وأرواحنا في عقلة من جسوننا وحاصل دنيانا أذى ووبال

(١) لها : أو قارعاً مثلاً : (الجنة المحلة)

ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت مشرقاتها رجالٌ فزالوا والجبال جبال
ولابن أبي الحديد :

فيك يا أغلوطة الفكر غدا الفكر عيلا
أنت حيرت ذوي اللب وبللت المقولا
كلا أقبل فكري منك شبراً فرّ ميلا

ولبلّمظفر بن معروف في الرد على الطبايعين :

وقالوا الطبيعة مبدء الكيان فيا ليت شعري ما ذي الطبيعة ؟
أقادرة طبت نفسها على ذلك أم ليس بالمستطاعة ؟
ولأبي سليمان النطقي ، ويحتوي على نزعة وجودية مع الإقرار بخلود
الحقيقة العليا :

لذة العيش في بهيمة الـلـذة لا ما يقوله الفلاس في
حكم كأس النون أن يتساوى في حساها النسي والألعي
ويحل البليد تحت ثرى الأثر ض كما حل تحتها اللوذعي
أصبحت رمة ترايل عنها فصلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني وأودى تمييزها المنطقي
فاسأل الأرض عنها إن أزال الشك والميرة الجواب الخفي
بطلت بلك الصفات جميعاً ومحال أن يطل الأزل

هذه نماذج من شعر أصحابنا الفقهاء العلماء في موضوع الفلسفة وما يتصل
بها من الباحث العقلية ، هي من جهة مادة عزيزة في الأدب العربي قلما

نثر على نظير لها فيما أنتجه غيرهم من شعر يتجافى كثيراً عن منازع الفكر
و«مشتجر الآراء في مطالب النفس وحقيقة الوجود ، وذلك طبعاً باستثناء
فيلسوف الشعراء أبي الملاء المعري . ومن جهة أخرى هي أعظم دليل على
قوة ملكتهم الشعرية وعارضتهم الأدبية ، إذ أخضعوا تلك الأنظار والمذاهب
المختلفة لحكمهم وعبروا عنها بعبارات دالة وكلام واضح لم تضق عنه قوالب
النظم ولا عيئت به أساليب البيان . وذلك غاية ما يطلب من أئمة الأدب
وحملة الأقلام .

عبد الله كنوه



تطرات في المعجم الوسيط

- ١٤ -

تمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الهلال	... و — شعار لبعض الدول الإسلامية يقابل شعار الصليب عند الدول المسيحية. (محدثه).	تتخذ بعض الدول الإسلامية الهلال شعاراً لها ، ومنذ القديم كان الهلال شعاراً لدولة بني عثمان المسلمة ، ومنها اقتبست تلك الدول هذا الشعار ؛ أما القول بأن الهلال شعار يقابل شعار الصليب عند الدول المسيحية ، فلا سند له من الحقيقة التاريخية ، لهذا كان من المستحسن أن يقل المعجم الوسيط هذه المقابلة .

على أنه كان جديراً بالمعجم أن
يثبت في تعريف الهلال ، مدلول اصطلاح

(الهلال الأحمر) شعاراً للجمعيات الدولية في مختلف الدول الإسلامية (١)، القائمة على مبادئ إنسانية صرفة للعمل على تخفيف آلام بني البشر ورفع مستواهم الصحي، وذلك تنفيذاً لاتفاقية جنيف الدولية لسنة ١٨٦٤ م، وبدلاً من شعار (الصليب الأحمر) لدى الدول المسيحية وغيرها من دول العالم.

الصليب ... و — كما كان على شكل خطين متقاطعين ... كان من المستحسن أن يضيف المعجم الوسيط إلى تعريف الصليب، مدلول اصطلاح «الصليب الأحمر» فثبت مثلاً : و — الأحمر : شعار جمعيات دولية تستق مبادئ إنسانية بمحبة ترمي إلى التخفيف من الآلام البشرية والعمل على رفع مستوى الصحة العامة، وهي منتشرة في جميع دول العالم تنفيذاً لاتفاقية جنيف الدولية المعقودة سنة ١٨٦٤ م.

الصليبيون جيوش من نصارى أوروبا، غزت الشرق الإسلامي مراراً في أثناء جيشوا الجيوش الصليبية أو كانوا في عدادها.

(١) أكثر الجمعيات المذكورة في الدول الإسلامية تتخذ الهلال الأحمر شعاراً لها، باستثناء دولة إيران، إذ تتخذ جينها «الأسد الأحمر» شعاراً لها، وهناك بعض الدول ما زالت تقوم فيها بعباد شعارها «الصليب الأحمر» الدولي رغم أنها كانت قبل استقلالها.

القرون الحادي عشر ويلاحظ أن جملة (للاستيلاء على بيت المقدس والثاني عشر والثالث عشر، وما حوله) لا تكفي في بيان غاية الصليبيين للاستيلاء على بيت المقدس من حروبهم ، لأنه من الثابت أن غايتهم كانت وما حوله .
[مادة ص ل ب] بيت المقدس وما حوله .

هُرْمُزُ كلمة فارسية من معانيها : تعريف كلمة (هرمز) في المعجم الوسيط
الله ، وكوكب المشتري (١) ، جميع من عدد من المعجمات القديمة ، وكان
وأحد ملوك الفرس هُرمز من المستحسن إعادة النظر في بعض أجزاء
(٢٧٢ م) . وقد أطلق التعريف في ضوء المعلومات التاريخية الثابتة ؛
العرب الهُرمز والمهَرْمُوز فالكلمة في أصلها الفارسي اسم علم تسمي به
والهَرمُزان على الكبير خمسة من ملوك الفرس في الدولة الساسانية ،
من ملوك العَجَم . وكان أولهم هُرمزد الأول الذي تولى الملك
[مادة ه ر م] سنة ٢٧٢ م وتوفي في السنة التالية لولايته .

أما الهُرمُزان فهو اسم علم آخر ، وكان
اسم أمير الجيش الفارسي الذي هزمه العرب
المسلمون في موقعة القادسية سنة ٦٣٧ م .

(١) كنا في نظراتنا في أسماء النجوم الواردة في المعجم الوسيط ، ذكرنا أن لفظة 'هرمز' هي صيغة
مربة وايت فارسية أو دخیلة لأن اللفظة الفارسية هي (هرمز) - انظر المجلد ٤٠
ص ٩٣٨ سنة ١٤٦٥ هـ

<p>أثبت المعجم الوسيط كلمة (شاهنشاه) في مادة (ش ه ي) مع بيان معناها والإحالة إلى مادة (ش وه) وفي هذه المادة أعيد بيان معنى هذه الكلمة الدخيلة مع ذكر صيغتين لها، مما زاد في تضخيم المعجم العربي بدون داع.</p> <p>وكان من المستحسن الاكتفاء بإثبات كلمة (الشاه) دون غيرها.</p> <p>إن هذه الملاحظة ترد بالنسبة إلى عدة مواد في المعجم الوسيط.</p>	<p>الشاهنشاه ملك الملوك ، أو الملك الأعظم . (فارسية) . انظر : (ش وه) . [مادة ش ه ي]</p> <p>الشاه' الملك' . (فارسية) : ومنه الشاه' المستعمل' في رُقعة الشيطرنج .</p> <p>شاهنشاه، وشهنشاه : ملك' الملوك . (فارسية) . [مادة ش وه]</p>
---	--

<p>مهايون لفظة فارسية معناها : العزيز أو السلطان ؛ والكلمة مركبة من : (مها) أي عنقاء ، ومن (يون) وهي أداة النسبة . وقيل إن (مهايون) في الأصل : اسم طائر عزيز ، لذا أطلق على السلطان (١) .</p> <p>وفي أقرب الموارد : ... ولذا أطلق على العزيز والسلطان ، وقول الأتراك : باب مهايون أي باب السلطان .</p>	<p>المهايون السلطان، أو الامبراطور . (فارسية) .</p>
--	---

(١) انظر كتاب «الألفاظ الفارسية للعربية» لأدي شير ص ١٥٨ بيروت ١٩٠٨ م .

والملاحظ في تعريف المعجم الوسيط كلمة
(مهايون) حشر لفظة (الإمبراطور) (١)، وإدخال
أداة التعريف على الكلمة، ولم يرد كل هذا في
معجم قديم .

وأشار المعجم الوسيط في تعريف كلمة
(المهائم) إلى أنها (فارسية) بمعنى الطائر الخرافي،
وهذه الكلمة في حقيقتها (معربة) عن كلمة
(مها أو مهاي) الفارسية .

وأثبت المعجم الوسيط صيغة (المهائم) على
أنها لغة في (المهائم) ولم أعثر على مصدر موثوق
ذكر هذه الصيغة .

ومما يلاحظ وجود خطأ مطبعي في تعريف
المهائم ، بزيادة لفظة (في) .

المهائم العقاب . و — طائر
تتخذ الملوك من ريشه في
تيجانهم، لغزته (فارسية).

المهائم لغة في المهائم بمعنى
الطائر السابق .

الدّهقان رئيس القرية. و — رئيس
الإقليم . و — القوي
على التصرف مع حِدّة .
و — من له مال وعقار .
و — التاجر. (كله مع) .
(ج) دهاقنة، ودهاقين .
كانت تطلق على رئيس الإقليم أو رئيس القرية
[مادة دهق] الفارسي ، لأن تعريب الكلمة لم يرق بها إلى

تكاد تعريفات كلمة «الدّهقان» في معاجم
العربية تكون متماثلة ، فهي تعني : رئيس الإقليم
وزعيم فلاحي المعجم . وقد اكتفى المعجم الوسيط
بذكر أن الكلمة في جميع معانيها معربة ، وفي
رأينا أن هذا لا يعني عن الإشارة إلى أن الكلمة
كانت تطلق على رئيس الإقليم أو رئيس القرية
لأن تعريب الكلمة لم يرق بها إلى

(١) أثبت للمعجم الوسيط كلمة (إمبراطور) بصيغة ثانية في مادة (ع ه ل) إذ أورد التعريف التالي :
العامل : الملك الأعظم يحكم شعوباً مختلفة كالخليفة والأفبرور !

أن تكون اسماً لأي مركز إداري في
البلاد العربية .

هذا وقد حيرنا في فهم المقصود من جملة
(القوي على التصرف مع حدة) الواردة في كل
من اللسان والقاموس وغيرهما من المعاجم العربية ،
وشككنا في أن يكون في الأمر تصحيف ما ،
وأخيراً وجدنا في معجم متن اللغة : (الدهقان
« مثله الدال ، القوي على التصرف مع شدة
خبرة ... ») وبهذا تأكدنا من وجود التصحيف ،
ولكن كيف فات صاحب التاج الإشارة إليه ؟
خاصة وأننا لم نعثر على المصدر الذي اعتمد عليه
صاحب متن اللغة فيما أثبتته من معنى ؟

النوروز أو (النيرُوز) « بالفارسية » :
اليوم الجديد ، وهو أوّل
يوم من السنة الشمسية
الإيرانية ، ويوافق اليوم
الحادي والعشرين من شهر
مارس من السنة الميلادية .
وعيد النوروز أو
النيرُوز أكبر أعياد
الفرس .

كان من المستحسن أن تضاف كلمة (قومية)
إلى جملة : أكبر أعياد الفرس تمييزاً لهذه الأعياد
عن الدينية منها ، لأن الفرس مسلمون ودولتهم
دولة إسلامية .

[مادة نور]

من الثابت عند علماء العربية أن العرب
عربوا كلمة (هَرَبْد) بصيغة (هَرَبْد) واشتقوا
منها فعلاً واسم مشية تتفق وما تصوروه في
مشية الهَرَبْد .

واختلف أصحاب المعجمات في بيان معنى
الهَرَبْد ، فمن أجل صنع معجم عربي حديث
يجب استبعاد كل معنى لا يتفق هو ومعنى الكلمة
الأعجمية أو يعتمد عن المعنى الذي من أجله اشتق
العرب فعلاً من تلك الكلمة وأدخلوه لفتحهم .

إن كلمة (هَرَبْد) الفارسية تعني : قومة
نار المجوس وحكامهم^(١) ؛ لهذا كان من المستحسن
أن يكتبني المعجم الوسيط بثل التعريفات التالية^(٢) :
هَرَبْد : مشى الهَرَبْدَى .

الهَرَبْدَى : مشية فيها خيال كشي الهراينة .
ومن الجاز عدا الجمل الهَرَبْدَى
أي في شق .

الهَرَبْدَى : حاكم المجوس أو القيم على بيت
نارهم . (مع) . (ج) هَرَابْدَة .

هَرَبْدَ سارَ سِيرَادُون الخَبَب .

الهَرَبْدَى الكاهن المجوسي القائم
على بيت النار . — حاكم
المجوس (فارسي معرب)
وهو بالفارسية هَرَبْدَ .
(ج) هَرَابْدَة .

الهَرَبْدَى مشية فيها خيال
وعُجِب . — مشية
الجل ونحوه عندما يميل
إلى أحد جانبيه .

[مادة ه ر ب]

(١) انظر القاموس المحيط وغيره من المعجمات . وكتاب الألفاظ الفارسية للعروة لأدي شير

ص ١٥٧ .

(٢) انظر تاج العروس : مادة (ه ر ذ) .

جاء في المعجم الوسيط تعريف كلمة
«الكروبيثون» المنقول عن بعض المعاجم القديمة ،
ضعيف الصلة بمادة (كرب) إذ لم يثبت المعجم
من معانيها التي تتصل بالكلمة المذكورة ، إلا
قوله : كَرَبَ يفعل كذا أي قارب أن يفعله ،
فإذا رجعنا إلى المادة في الأمهات وجدنا ما يلي :
في صحاح الجوهري : كَرَبَ الشيء أي دنا .
وفي لسان العرب : كَرَبَ الأمر يَكْرُبُ
كروباً : دنا ، ... وكل شيء دنا فقد كَرَبَ
... وكَرَبَتِ الشمسُ للمَغِيبِ : دَنَتْ ،
وكَرَبَتِ الشمسُ : دَنَتْ للغروب ... قال
أبو عبيد : كَرَبَ أي دنا من ذلك وقَرُبَ .
وكلُّ دانٍ قريب فهو كاربٌ ... والكرب :
القرب . والملائكة الكروبيثون : أقرب
الملائكة إلى سحابة العرش .

وفي أساس البلاغة : وكَرَبَتِ الشمسُ
أن تقرب . ومنه : الكروبيثون والكروبيّة
من الملائكة .

وفي القاموس المحيط : وكَرَبَ كروباً :
دنا ... والشمسُ : دنت للمغيب ... والكروبيثون
مخففة الرّاء : سادة الملائكة .

الكروبيثون المقربون إلى الله من
الملائكة ، منهم جبريل ،
وميكائيل ، وإسرافيل .

كَرَبَ فلانٌ كَرَباً : زَرَعَ
في الكريب .

...
وكَرَبَ يفعل كذا ،
وكَرَبَ أن يفعله : قارب
أن يفعله ...

...

الكربُ الحزن والغم ...

وفي مقاييس اللغة : .. فأما كَرَب الشيء :
 دنا فليس من الباب (١) ، لأنَّ هذا من الإبدال ،
 وإنما هو من القَرَب ، لكنَّهم قالوا بالقاف
 قَرَب بضم الراء ، وقالوا في الكاف كَرَب
 بفتحها ، والمعنى واحد ، والملائكة الكَرُويُّون
 فعُوليُّون من الكروب ، وهم المقرَّبون
 من هذا المرض لما ورد في معاجم العربية ،
 نجد أن المعجم الوسيط قد أغفل معنى (الدنو
 والقرب) في مادة (كرب) ، لذلك فمن
 المستحسن أن يضاف هذا المعنى إلى معانيها
 العديدة ، على أن يكون في فقرة مستقلة على
 الشكل التالي :

(١) أخرج ابن فارس بكلامه هنا فعل (كرب بمعنى دنا) من مادة (كرب) الأصلة جاعلاً
 إيها مبدلة من مادة (قرب) وهذا التخريج الذي لم يقبله علماء العربية ، يضيء شكاً على
 أصالة كلمة الكرب بمعنى القرب ، ويضرب ما نجد في كتب المحدثين ، فقال جاء في «أقرب للوارد»
 ما يلي : (الكرويون والكروية ، وقد تبدل الكاف شيئاً : سادة للملائكة أو للمقربون
 منهم عبرانيتهما كَرُوييم جمع كَرُوب ، وربما استعملت بلفظها البراني ومنها : حافظ أو
 حارس أو مقرب ، قال أبيّة : « كَرُويّةٌ منهم رُكوعٌ وسجدةٌ » .

وفي هامش كتاب « الألفاظ السريانية في اللسان العربية » للبطريرك أنطونيوس :
 « كروب : قال الرهاوي ص ١٠ (كروب لفظة عبرية بدلوها الخافق في صناعته ، أرادوا
 بالآتي الكروب أو الكروي والجمع كرويم وكوارب الجزل العلم وبالتالي رسوخ الملائكة :
 الجليّ الباهر في الاستارة) وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢٤ بحسب الترجمة السريانية : وأقام
 حرقى قرووس عدن الكوارب » .

كَرَب - كروباً : دنا ، وكرَبَتِ الشمسُ
للغيب : دنت ، وكرَبَتِ الشمسُ :
دنت للغروب .

الكَرَب القُرْب .

الكَرُويُّونَ المقرَّبونَ . — من الملائكة :
المقرَّبونَ إلى الله تعالى كالكرُويَّة (١) .

كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات
هذا الاسم ، كما استغنى عن إثبات كل من :
هاروت وطالوت وجالوت ، وهي جميعها أعلام
أعجمية متنوعة من الصرف العلمية والمجما كما
في أصح الأقوال .

في تعريف المعجم الوسيط لجمعية (البنائين
الأحرار) قطع في أمر مختلف عليه وهو زمن
تأسيس تلك الجمعية ، وفي هذا تجاوز المعجم
طبيعته اللغوية (٢) .

ومما يلاحظ في التعريف الإحالة إلى تعريف
(ماسونية) وهذه الكلمة لم يدخلها المعجم الوسيط
في مواده وحسناً فعل ، مما يقتضي معه
حذف الإحالة .

مارُوتُ رفيقُ هاروتَ : مَلَكان
هبطا بابلَ فعَلما الناسَ
السحر .

[مادة م ر ت]

البنَّاءون الأحرار جماعة سرِّيَّة لها
نظم داخلية دقيقة يتعاون
أعضاؤها فيما بينهم ، وإن
اختلفت أجناسهم وأوطانهم
وأديانهم . وكونها فريق
من البنائين في القرن
الرابع عشر ، وانتشرت في
كثير من الأقطار . (انظر :
ماسونية) .

[مادة ب ن ي]

(١) أثبت اللسان هذه الصيغة ، كما أثبت شعر أمية للنقول في أقرب للوارد كما في الماخذ السابق .
(٢) انظر كلمة : Franc - maçonnerie في اللوسوعات الأجنبية .

قره غوز دُمِيّ صغيرة من الورق
المقوى أو الخشب الرقيق ،
يحرّكها إنسان بخنجر
ويطلق بما تقول ، فترى
كأنها تتحرك وتكلم (حج).
[مادة قره]
كان من المستحسن وقد شاء جمع اللغة العربية
إدخال كلمة (قره غوز) إلى المعجم العربي أن
يُشار إلى تركيبها ومعناها (أسود العينين) .
كما كان من حق العربية أن يشار في التعريف
إلى الاسم الذي أطلقه البعض على مسرح (قره غوز)
وشاع في كثير من البلاد العربية وهو (مسرح
المراسم) .

البحريّة صفة مؤنثة لكلّ منسوب إلى البحر ،
وهي ما لم تضاف إلى اسم آخر ، كقولنا وزارة
البحريّة أو مشاة البحريّة أو القوات البحريّة ،
لا تدل على شيء معين ، إلا بتقدير مضاف محذوف
تدل عليه دلائل توحى بالمقصود منها .
لقد درج المعجم الوسيط على إثبات العلمية
لكلمات كثيرة لا ترقى إلى العلمية إلا بتقدير محذوف
ولفظه « البحريّة » منها ، وكان من المستحسن إن
أريد إثباتها بالمعنى المذكور في التعريف القول :
البحريّة : القوات البحريّة . : « عدة
الدولة ... »

البحريّ الملاح. — كل منسوب
إلى البحر .

البحريّة عدة الدولة في البحر ،
من سفن وغوّاصات ،
وطائرات وجنود، ونحو ذلك.

<p>أدخل المعجم الوسيط في تعريف الكلمات المتصلة بالأقوام والشعوب بعض معانيها الاصطلاحية المحدثه ، غير أن التعريفات ، التي أثبتها المعجم ، على جده بعضها ، لم تأت دقيقة في مدلولاتها منسجمة بعضها مع بعض .</p>	<p>القَوْم الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها ... و — الجماعة من الناس تؤلف بينهم وحدة اللغة والتقاليد الاجتماعية وأصول الثقافة وأسباب المصالح المشتركة . (محدثه) .</p>
<p>ولا بد قبل إعادة النظر في مختلف التعريفات المشار اليها من الرجوع إلى مؤلفات المختصين الذين أوفوا تلك الكلمات حقها من البيان من حيث معانيها اللغوية ومعنى كل منها في الاصطلاح المتعارف عليه في العصر الحديث . وفي مقدمة هذه المؤلفات كتاب « القومية العربية » (١) للأمير مصطفى الشهابي حيث أثبت المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية الحديثة لكلمات : القوم ، والقومي ، والقومية ، والأقوامي أو اللاقومي ، والأقوامية ، وغيرها من الكلمات مثل : الوطن والوطني والوطنية والمواطن والمواطنة ، والأمة والشعب والدولة .</p>	<p>القَوْمِي من يؤمن بوجوب معاوئته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع الضرر . و — الوطني . يقال : السيد القومي ، والزعيم القومي . (محدثه) .</p> <p>القَوْمِيَّة صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع . وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة ، كالقومية العربية . (محدثه) .</p>

(١) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية مصر ١٩٥٩ .

<p>أصبح لكل من كلمتي « أمة » و « شعب » مدلول اصطلاحى جديد في هذا العصر نهضة الأمة العربية ، مما يجب معه على المعاجم الحديثة عدم إغفال المعاني الاصطلاحية الجديدة إلى جانب المعاني اللغوية والعجمية القديمة ، كما يجب إهمال أي مثل يناقض المعنى الاصطلاحى الحديث ، فيجب مثلاً أن يقال في تعريف كلمة « أمة » : « الأمة العربية » لا أن يقال : « الأمة المصرية والأمة العراقية » ، فليس في مصر أو في العراق سوى شعب من شعوب الأمة العربية .</p>	<p>الأمة جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، وتجمعهم صفات موروثية ، ومصالح وأمانى واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان . يقال : الأمة المصرية ، والأمة العراقية .</p> <p>والجيل . وعشيرة الرجل . (ج) أمم . ومجلس الأمة : المجلس النيابي في مصر ، انشئ بمرسوم عام ١٩٥٧ .</p>
<p>كما يجب أن يمثل في تعريف كلمة « شعب » بأي شعب من شعوب الأمة العربية أو غيرها من الأمم .</p> <p>وإذا كانت كلمة « الجيل » تعني فيما تعنيه : الأمة والجنس من الناس ، فيجب أن يثبت بأنها</p>	<p>الشعب الجماعة الكبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة .</p> <p>والجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد .</p> <p>والجماعة تتكلم لساناً واحداً . (ج) شعوب .</p>
<p>قد تعني أيضاً « الشعب » .</p>	<p>الجيل الأمة . والجنس من الناس : فالتشرك جيل ، والروم جيل .</p> <p>والقرن من الزمن . (ج) أجيال .</p>

الوَطَنُ مكانٌ إقامة الإنسان ومقره ، ولد به أو لم يولد . (ج) أوطان ...

إن التعريفات الواردة في المعجم الوسيط لكلمات « وطن وإقليم ودولة » جاءت غير دقيقة في معانيها الاصطلاحية المحدثة ، فيجب إعادة النظر فيها ، وسل معنى الوطن من تعريف الوطن ، مع بيان المقصود من اصطلاح « الوطن الأم » المنتشر استعماله كثيراً عند المغتربين في المهاجر .

كما يجب إضافة معنى « القطر » إلى معاني الإقليم ، للدلالة على جزء معين من دولة أو بلاد تميّز باسم خاص .

وفي تعريف كلمة « دولة » يجب إضافة المعنى القانوني لها المتصل بالشخصية الاعتبارية المعترف بها دولياً أو في المنظمات الدولية .

الإقليم عند القدماء : واحد الأقاليم السبعة ، وهي أقسام الأرض . و — بلاد تسمى باسم خاص كإقليم الهند وإقليم اليمن . و — منطقة من مناطق الأرض تكاد تتحد فيها الأحوال المناخية والنظم الاجتماعية ، كإقليم الكهلي والإقليم الجنوبي .

الدَّوْلَةُ جمع من الناس مستقرون في إقليم مُعَيَّن الحدود ، مُستقِلُّون ، وفق نظام خاص . (ج) ...

تعريف كلمة « الجنسية » الذي أثبتته المعجم الوسيط هو تعريفها من ناحية اجتماعية وقد شاع في القرن الماضي ، أما في العصر الحاضر فأغنت كلمة « القومية » عن « الجنسية » بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط .

لقد فات المعجم الوسيط الإشارة إلى المعنى القانوني لكلمة جنسية المعروف في جميع البلاد العربية : وهو المتصل برابطة الولاء والحماية بين الإنسان ودولة معينة .

كما فات المعجم الوسيط عند تعريف كلمة « عيرق » أن يشير إلى المعنى الاصطلاحي الحديث للكلمة وهو السلالة Race .

الجنسية الصفة التي تلحق بالشخص من جهة انتسابه لشعب أو أمة ، مثل : فلان مصري ، أو عمراني . (مو) .

العيرق أصل كل شيء

(يتبع)

عدنان الخطيب



أبو يعقوب الخُرَيْمِي

- ١ -

(١)

أبو يعقوب إسحاق بن حسان (بن قُوهي) (١) الصُّغْدِيّ أصلًا ، الخُرَيْمِي ولاء . والصُّغْد « كورة قصبتها سمرقند » ، وقيل هما صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى ... ، (٢) وهو « في الأصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي » ، (٣) .

ونسب إسحاق إلى الصغد لا نقاش فيه ، نصّت عليه عدة مصادر ، واعتُبر هو نفسه فقال :

إني امرؤٌ من سِراة الصُّغْد البُسنِي عِرْق الأعاجم جلدًا طيّبًا الخَبِير (٣)
وتقع الصغد في « ما وراء النهر » ، ويمد هذا النهر — أي جيحون —
« الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران » ،
فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء النهر ، (٤) ،
فالأولى — على هذا — أن يتبادر إلى ذهن الباحث في أصل إسحاق أن

(١) وردت « ابن قوهي » لدى الجاحظ — الحيوان ١ : ٢٢٤ ، البيان ١ : ١١٥ ،

٢ : ٣٥٢ ؛ الحصري ١ : ١٠٤ ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، البكري ٢٧ ،

ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ . وينظر ابن الجراح ١٠٣ .

(٢) ياقوت ، كلمة « الصغد » ٣ : ٤٠٩ — ، وقد يقال الصُّغْد .

(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ .

(٤) لسترنج ٤٧٦ .

يكون تركياً . ولا بد من أن تعني كلمة « الأعاجم » أو « العجم » (١) التي ترد عند الحديث عنه : الترك . وانه كذلك ، بدليل صريح ، هو قول ابن المعتز : « كان من نسل الترك » (٢) .

وكان المبرد يروي أنه « كان يرجع إلى بيت في العجم كريم » (٣) . ويبدو أن علم الباحثين المعاصرين لنا أنه مولى ورؤيتهم كلمة « العجم » في نسبه مما دفع بهم إلى الجزم السهل بأنه فارسي الأصل ؛ ومن هؤلاء الباحثين بروكلمان وبرون وأحمد أمين ومحمد تيبه حجاب وغيرهم (٤) .

وليس لدينا ما يدل على أن إسحاق مولى في الصفد ، وإنما لدينا قوله :
رسا بالصغد أصل بني أينما وأفرعنا بمرور الشاهجان
وكم بالصغد لي من عمم صدق وخال ماجد بالجوزجان (٥)
وقد يكون الراجح — على هذا — في ولادة إسحاق أن تقع في إحدى هذه المدن الكثيرة من خراسان ؛ وأنها في مرو الشاهجان ، إن لزم التخصيص . أما تاريخ الولادة فلم يشر إليه أحد ، وقد ذكر أن إسحاق من طبقة تلي سبتاً طبقة بشار (وأي نواس) (٦) .

ثم كان في سجستان ، ترعرع وشب وتعلم وطلب العلم والأدب ثم قال

-
- (١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ويبدو أن العباسي ١ : ٢٥٢ أخذ عنه .
(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .
(٣) المصري ٢ : ١٠٧١ ، ومثله ابن عاكر ٢ : ٤٣٤ .
(٤) بروكلمان ٢ : ١٩ ، برون ١ : ٢٦٨ ، أحمد أمين ١ : ٦٥ ، حجاب ٣٠٥ ، الحوفي ٤٥٠ ، الشايب ٢٣٢ . وينظر محمود مصطفي ٢ : ٣٠٣ ، يومي ٢٩٣ .
(٥) ياقوت كلمة الصفد ، وينظر ياقوت ولستريج عن أعلام المدن الواردة في البيت .
(٦) ابن رشيقي ١ : ١٠٠ وذكر في ولادة بشار عام ٩٦ وفي قتله عام ٩٦٧ أو ١٦٨ ، وفي ولادة أبي نواس ١٤١ - ١٤٥ ووفاته ١٩٦ - ٢٠٠ .

وأصبح يرى نفسه مظلوماً مغموط الحقوق لا ينال لقمة العيش بعر وكرامة :
 أدركتني - وذاك أوّل دايي - بسجستان حرفة^(١) الآدائي
 وأكثر ما كان يشكو أنه 'يضطر إلى قصد من لا يستحق من المدوحين ،
 وكرر المعنى نفسه في آيات أخرى انتهى فيها إلى أن قال .
 لا تَنْظُرَنَّ إلى عقلٍ ولا أدبٍ إن الجُدود قريباتُ الجمّاقاتِ^(٢)
 ولكنه ما زال في أول مراحل النظم لما يبلغ الدّرجة التي تصوّر أنه
 بلغها . ولا بد من أن يكون الضيق الذي عاناه أمّ ما بعثه على قول الشعر ؛
 ذكر الجاحظ « قال أبو يعقوب الخريجي الأعور ، أول شعر قلّته
 هذان اليتان :

بقلي سقامٌ لستُ أحسنُ وصفهُ عني أنه ما كان فهو شديدُ
 تمرُّ به الأيامُ تسحبُ ذيلها قبلي به الأيامُ وهو جديد^(٣) ،
 ولا بد من أن يتصبر ، فقد تطول الأزيمة ، ولا بد من السعي ، فقد
 يقع على من يفرّج عنه الكرب ويوسع له الأمل - وهذا ما كان .

(٢)

فقد وقع على « قائد جليل وسيّد شريف^(٤) » ، « عظيم القدر »^(٥) ، عرف
 قدره وأغدق عليه المال وهياً له الجاه . وكان لإسحاق من الصفات ما يجعله

(١) الأمدى ١ : ١٢١ . وينظر ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ . وينظر عن سبستان
 ياقوت ولسترنج .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ - ٤٣٦ . وينظر الجاحظ - الحيوان ١ : ٣٥٤ .

(٣) الجاحظ - البيان ١ : ٢٢٤ ، ٣ : ٣٢٥ . وينظر للأعور ابن الجراح ١٠٤ .

(٤) المصري ٢ : ١٠٧٢ ، البغدادى ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٥) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

أهلاً لذلك ، فإنه إلى عمله وأدبه و « ظرفه » (١) « كان يتأله ويتدين » (٢) و « يرجع إلى إسلام ووقار » (٣) .

ذلكم « القائد » هو « عثمان بن عمار بن خريم الناعم الذي ينتهي نسبه إلى ذبيان إلى غطفان من العدنانية » (٤) . وكان جدّه خريم سيّداً في قومه ، جعلته مكاتبة علماً لأولاده وأحفاده قليل عماره الخريمي ، وعثمان الخريمي ، وأبو الهيثام (عامر) الخريمي . حتى إذا كان اسحاق بن حسان مولى لعثمان قيل له اسحاق بن حسان الخريمي ، وأبو يعقوب الخريمي أو الخريمي فقط (وكثيراً ما صحف بالخريمي ، وقد يصحف بالخرمي أو الجرمي — ولا قيمة لذلك ولا أساس) .

مدح أبو يعقوب عثمان كثيراً وسارت أمانحه ، ولا بد من أن يكون منها اللامية التي يقول فيها :

... فلو لم يكن إلا « بنفسك خفها » لكان لها يوم الفخار بك الفضل (٥)

وربما كان في هذه القصيدة الأبيات التي يقول فيها :

أبالصغدر بأسٍ إذ تعيرني «جمل» سفاهاً ومن أخلاق جارني الجهل

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٣٢ — كأنه يروي السند عن اللبرد .

(٤) بنظر عن خرم ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ابن الجراح ٢٣ ، ابن حزم ٢٤٠ ،

الميداني ٢ : ٣٥٥ — ٥٦ ، ابن عساكر ٥ : ١٢٨ ، الفقهيني ٤١٩ ، ٢٥٤ ،

٣٨٨ ، ٢٨٨ ، الزركلي ٢ : ٣٤٨ .

(٥) السكري — ديوان ١ : ٧٤ ، ونظر الجاحظ — البخله ١٦٧ ، البيان

٢ : ٣٥٢ (ونظر ١ : ٢٧٤) ، الحيوان ٢ : ٩٥ (ونظر ١ : ٢٧٤) ؟

ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .

فان تفخري يا مجملٌ أو تتجملِي فلا نغرَ إلا فوقه الدينُ والعقل
أرى الناسَ شرعاً في الحياة ولا يرى لقبرٍ على قبر علاء ولا فضل
وما ضرتني أن لم تلدني «مجاثر» ولم تشتمل «جرم» علي ولا «عُكُل» (١)
ذكر هذه الآيات أكثر من مصدر دون أن يعلق عليها أو أن يربطها
بالشعوية ، ولكن الباحثين المعاصرين لنا ربطوها (٢) واشتدوا على الشاعر
وزاد بعضهم أن نسب الربط إلى ياقوت (٣) — ولا صحة للنسب (٤) ، وما كان
مناسباً أن يكون شعوياً شاعر كأي يعقوب وهو يمدح قائداً كعثمان الخرمي .
ظل الشاعر قريباً من عثمان يواصل المدح ويتلقى المال ويلقى الجاه (٥) .
ثم كانت نهاية عثمان على غير ما يجب وهو القتل (٦) ، كما يبدو ، فرثاه (٧) .
وكان طبعاً أن يلحق بأخيه أبي الهيثم .

وجمع أبو الهيثم بالشام جمعاً عظيماً ، فقد كان «أحد فرسان العرب
المذكورين» وهو زعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن ، وقد

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ ، ياقوت ، كلمة الصند — واختلط على ياقوت الأمر فحسب
أن الخرمي كان في عصر فيه صباية .

(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، حجاب ٣٠٥ ، وينظر الحاجري ٣٦٤ .

(٣) حجاب ٣٠٦ .

(٤) ينظر ياقوت . كلمة الصند .

(٥) يبدو أن عثمان نزل سبستان حاملاً للرشيد بها كما يفهم من ابن الجراح ٢٣ ،
والرزباني — معجم ٢٥٦ .

(٦) ينظر الرزباني — معجم ٢٥٦ ، العباسي ١ : ٢٥١ ، ابن الجراح ٢٣ ،
ابن عساكر ٧ : ١٧٦ .

(٧) دون أن يصل إلينا الرثاء . وصلت آيات تنسب لأبي الهيثم يرثي أخاه ، ينظر
ابن الجراح ٢٣ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ ، العباسي ١ : ٢٥١ — ٢٥٢ .

غلظ أمره واشتدت شوكته وأعتت الرشيد الحيل فيه ، وكان إلى جواره ابنه خريم — وهو فارس شاعر — وكان ذلك عام ستة وسبعين ومائة . ولكن الرشيد استطاع أن يقضي على الفتنة بمهارة موسى بن يحيى بن خالد بن برمك فقد ورد الشام وأصلح بين أهلها ، ولما انتهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام ردّ الحكم في «التأثرين» إلى يحيى فعفا عنهم^(١) ، قال — في ذلك — الخريجي أياتاً امتدح فيها يحيى^(٢) .

ولم نعلم — بعدها — من أخبار أبي الهيثم إلا أنه توفي سنة اثنين وثمانين ومائة^(٣) ، وقدرتاه الخريجي^(٤) ، وخلفه ابنه خريم فأقام عنده الشاعر يدحّه ويمجده ، حتى إذا توفي رثاه وأكثر من رثائه^(٥) فقال :

... وقالوا: ألا تبكي «خريم بن عامر» قلت على أن كان ذلك ينفع
سأبكي «أبا عمرو» لضيف مدقّع ونبي حاجة أعني بها كيف يصنع
وكان لسان الحمي قيسٍ ونابها وكانت به قيسٌ تضرُّ وتنفع^(٦)

(١) ينظر من أبي الهيثم عامر بن عمارة بن خريم و«نورته» بمسئق أيام الرشيد : ابن الجراح ٢٣-٢٤ ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، الطبري III ٦٢٥ (ونظر الجهشاري ٢٠٦) ابن حريد ٢٨٩ ، للرزباني — مسجم ٢٥٦ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ — ، العباسي ١ : ٢٥١-٢٥٢ ولا تخلو الروايات من اضطراب .
(٢) الأبيات لدى الطبري III ٦٢٥ سنة ١٧٦ . وبما ورد الخريجي بغداد في هذا العام . ينظر البغدادي ١٤ : ٢٩٦ ، ابن عساكر ٤٣٥ .

(٣) ابن عساكر ٧ : ١٩٣ .

(٤) ابن اللعتر ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ — ولم يصل إلينا رثاؤه ، كما يبدو .

(٥) ابن عساكر ٥ : ١٢٦-١٢٨ .

(٦) ابن عساكر ٥ : ١٢٦-١٢٧ .

وقال :

... وكان لنا الخليفة من أيه . لينهض بالمهات الثقال (١)

وقال عينيه التي تعد من بدائمه ومن خير ما قال ويقال :

قضى وطراً منك الحبيب المودع وحل الذي لا يستطاع قيدقع
وأصبحت لا أدري إذا بان صاحبي وغودرت فرداً بعده كيف أصنع

* * *

وقالوا: ألا تبكي خريم بن عامر ققلت: وهل يبكي الذلول الموضع
لقد وقذنتني الحادقات فما أرى لنازلة من ربهات أتوجع
صبرت وكان الصبر خيراً منبئة وهل جزع أجدي علي فأجزع

* * *

ألم ترني أبنى على اللثيث يتته وأحسو عليه الترب لا أتخشع

* * *

وكان خريم من أيه خليفة إذا مادجا يوم من الشر أشنع

* * *

وأعدته ذخراً لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع
بقية أقمار من القمر لو خبت لظلت معدة في الدجى تكسع
إذا قمر منها تفور أو خبا بدا قمر في جانب الأفق يلمع
فلو شئت أن أبكي دماً بلكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
ولاني - وإن أظهرت صبراً وحسبة وصانعت أعدائي - عليك لموجع (٢)

(١) ابن عساكر . : ١٢٧ .

(٢) ابن عساكر . : ١٢٧ - ١٢٨ وينظر ٢ : ٤٣٦ .

والقصيدة من رائع الشعر وبارعه وهي تين عظم المصاب على الشاعر ومدى
الحزن الذي ساوره وقد قد سيداً كريماً وموثلاً شريفاً فقال ما قال صادقاً .
وابن عساكر الوحيد الذي أوصل إلينا القصيدتين الأوليين في رثاء خريم بن .
عامر ، والوحيد الذي أوصل القصيدة الثالثة بواحد وعشرين بيتاً صريحة
على أنها للخريمي في رثاء خريم .

أما الآخرون (١) فقد أوردوا البيت والأبيات ، معجبين ، ولم يرد لديهم
ذكر لخريم وربما وصلت إلينا روايات بعضهم على أن القصيدة في أبي الهيثم ،
ويبدو أنها جازت على هذا خلال العصور ، وليس من دليل ، ولا دليل
بعد رواية ابن عساكر وورود اسم خريم صريحاً فيها .

والهم ، أن الدنيا ضاقت بالشاعر بعد هذا الفقد الجسيم ولم تمد له الشام
دار إقامة (٢) ، ولعله أقام حيناً في الجزيرة الفراتية - في ديار مضر -
مثلاً ، وقد قيل فيه إنه « جَزَري » (٣) وقيل « .. نزل الجزيرة والشام » (٤) ،
ولا بد من التفكير بغداد مقر الخلافة ومطمح النابيين .

(١) الجاحظ - الحيوان ٣ : ٩٤ ، ١٤٨ (وينظر ٦ : ٤٢٣) ، البيان ١ : ٤٠٦ ؛
البرد ٢ : ١١٧٤ ، الرزماني - اللوشح ٣٠٧ ، القاضي الجرجاني ٢٠٤ ،
٣٢٢ ، ٣٣٦ ، السكري - ديوان ٢ : ١٧٥ ، للرزوقي ٣ : ١٠٥٣ ،
عبد القاهر ١٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٦ ، النوري ٥ : ١٨١ ، الباسي
١ : ٢٤٦ - البيان ٣ : ١٠ ، ٣٣٣ .

(٢) كان لأبي الهيثم حاصر ولد آخر اسمه موسى ولكنه كان محدثاً - مات سنة
٢٥٥ - الذهبي ٤ : ٢٠٩ ، السقلاي - تهذيب ١٠ : ٣٥١ ، تقريب
٥١٢ - ٥١٣ ، لسان ٦ : ٧٣٤ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٤) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ترى هل الخبر يعني التسلسل الزمني ؟ .

(٣)

« نزل بغداد » (١) و « سكنها » (٢) أيام الرشيد ، وبدأ يمدح لنفسه حتى كانت له مكانة ، وكان له صوت ؛ وورد في أخباره أنه « كان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيعطى الكثير » (٣) ؛ وورد أنه اجتمع بعد الله بن الرشيد (أي المأمون قبل خلافته) وكان عند عبد الله جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ومعه منصور الثمري والعباس بن زفر (٤) ؛ وورد مرة أخرى أنه جالس جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى (٥) وأنه مدح يحيى ابن خالد (٦) .

وبرز في صيالات الشاعر اسمان ، الأول : محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة . وكان « سخياً سرياً » ، وكان الرشيد يسميه في المسكر « (٧) » ، وكان للخريجي « فيه مدائح جياذ » (٨) وصلت إلينا منها سبعة أبيات رائية يعترف فيها الشاعر بالتعم التي أولاه إياها ابن منصور (٨) . ثم مات محمد فرثاه الخريجي (٩)

(١) البغدادى ٦ : ٣٢٦ .

(٢) ابن عاكر ٢ : ٤٣٤ .

(٣) ابن المعتز ٢٩٣ .

(٤) الأصبهاني ١٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٥) الجهنياري ٢٩٣ .

(٦) الصولي ١١٧ .

(٧) الجهنياري ٢٦٦ . وكان أبوه كايروي الجهنياري ٢٧٤ - « ضيقاً بجيلا » .

(٨) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٩) ابن الجراح ١٠٣ - ١٠٤ : « ومن قوله ... أشدني محمد بن القاسم ، قال ،

أشدني الرياشي ... » وينظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، عيون ٣ : ١٦٠ ،

للبرد - الفاضل ٩٥ ، الوشاء ٤٥ ، الجهنياري ٢٦٧ ، القاضي الجرجاني ٣٥٤ ،

البيان ٤ : ٦٥ .

والثاني : أبو علي الحسن بن التختاخ كاتب الفضل بن يحيى (١) ، وله فيه مدائح . ولما ولاء الرشيد مصر (وقد بلغها يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومئة) قال بأثية حسنة يتشوق بها إليه ، جاء في مطلعها :

ألا مبلغ عثي خلي - ودونه مطامير لا يطعم النوم طابته
رسالة ثاور بالمرق وروحته بفسطاط مصر حيث جمّت عجائبه
له كل يوم حنة بعد رثية يحيش بها في الصدر شوق يغالبه
ومنها :

أرى بعدك الإخوان أبناء علة لهم نسب في وديهم لا أناسه
فهل يرجين عثي وعيشك مرة يتداد دهر منصف لا نغائبه

والآيات من رائع ما قاله ماح في التشوق إلى مدوح ، إنها فوق
« الرسميات » - كما تقول اليوم وهي تدل ، فيما تدل عليه ، على نفس
الحريري بين الإباء والسباح ، وعلى شخص الحسن بين التواضع والوداد (٢) .
ولما مات الرشيد (في جمادى الآخرة من السنة نفسها) وولي الخلافة
ابنه الأمين عزل الحسن بن التختاخ « فسار متوجهاً في طريق الحجاز ،
لفساد طريق الشام ، وذلك يوم السبت ثمان بقين من ربيع الأول سنة

(١) الجهشاري ١٩٤ .

(٢) أورد القصيدة المصري ٢ : ١٠٧٢ ونظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ - ٧٣٥ ،

المصري - ديوان ١ : ٢٧٩ . م (٥)

أربع وتسعين ومئة ... فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهراً وثمانية وعشرين يوماً، (١).

ثم مات فرثاه الخريجي (٢).

ولم تكن كل صلات الخريجي ببغداد صلات ود ومدح ، فقد يهجو ، وحسبك أنه هجا أبا دلف (٣) وأنه أغرى بعلي بن الهيثم الأنباري الكاتب (٤). أما علاقته الأدبية فلا بد من أنها كانت واسعة ، وكانت علاقة الجاحظ به علاقة إعجاب وما يدل على ملازمة ما ، ومثلها علاقة أحمد بن عبيد بن ناصح المعروف بأبي عصيدة (٥).

(١) مصدرنا الأول عن ولاية ابن التختاخ على مصر : الكندي ١٧٢ - ١٧٣ ، وينظر للقريري - القسم الثالث ١٢٦ ، ابن قنري بردي ٢ : ١٤١ . وقد وردت التختاخ لدى الجاحظ - البيان ١ : ٢٠٩ ، ابن الجراح ١٠٣ ، الكندي ١٧٢ - ١٧٣ ، للقريري ق ٢ : ١٢٦ (وزاد انه التختاخ بن التختكان) أما الهيماري ١٩٤ ، وان قنري بردي ٢ : ١٩٣ فقد وردت لهما على « الجراح » وقد اقراها الحاجري ٣٦٣ كأمه يمتد الهيماري وفي الخبر الذي أورده الهيماري ١٩٦ خلط واضطراب فهو يقول : ان الحسن « كان قد خدم المهدي وموسى وتغلد أيام موسى مصر » وخدم بده الرشيد ، وفارق عند توسط أيام البرامكة لسلطان وتغلى عن الدنيا وجاور بمكة ، فكتب اليه أبو يعقوب قصيدته الطويلة التي يقول فيها :
ألا بكرت لبني عليه تائباً
تحدثه طوراً وطوراً تلاعبه
وأكب على سماع الحديث - وينظر الحاجري ٣٦٤ وقد اختار أن الخريجي بث ما الى الحسن حين تغلد مصر في أيام موسى الهادي .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ - ولم يصل إلينا الرثاء . وينظر الجاحظ ١ : ٢٠٩ .

(٣) الجاحظ - البيان ٢ : ٣٥٦ - ٣٥٧ (ثلاثة أبيات) وأو دلف هو القاسم بن عيسى بن مفل بن ادريس السلي ، كان أميراً سيد قومه وقائداً شجاعاً - ينظر الطبري ، ابن الندم ، ابن المعتز ..

(٤) ابن الجراح ١٠٥ ، ياقوت - معجم الأدباء ترجمة علي بن الهيثم ١٥ : ١٤٠ .

(٥) ابن بلنجر ، نحوي كوفي دلمي الأصل من موالى بني هاشم أدب وله للتوكل وهو من دواة أصحاب الأشرار ، ومن مصنفاته « عيون الأخبار والأشعار » ، مات سنة ٢٢٨ (وقيل ٢٢٣) ، ينظر عنه القوي ٩٧ ، ابن الندم ٧٣ ، البغدادى ٤ : ٢٥٨ - ٢٦٨ ، القفطي ١ : ٨٤ ، ياقوت ٣ : ٢٢٨ - ٢٣٢ .

وورد له خبر عن مجلس فيه حماد عجرد وحماد الراوية (١). وليس من المعقول أن تقول إنه نشأ في مجلسها كما فعل الأستاذ طه الحاجري إذ قال : « قد نشأ الخريفي في مجلس حماد الراوية وحماد عجرد . واتصل في أول نشأته بهذه الجماعة من الشعراء التي كانت تضم مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد . ولعل هذه الصلة كان لها أثرها في الوجهة الشعرية التي توجهها » (٢) ، والدكتور محمد نبيه حجاب إذ قال : « إنه ، كما أشار أبو الفرج ، نشأ في مجلس حماد ... » (٣) ؛ فقد بعد عهد الخريفي بالنشأة الأولى ، ولم نجد أن أبا الفرج الأصماني أشار إليها ، كما لم نجد في وجهة شعره ما يدل على تأثر لصلته بحماد وزمرته . لقد كان الخريفي « ظريفاً » ولكنه كان يتأله ، وينشد في شعره الفخامة والسمو والبعد عن أغراض المجون وكان يودع الكهولة ، ويؤلمه الظلم وتؤذيه عوامل البث . واتضح ذلك جلياً في أساء لما أصاب بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون .

(٤)

جعل الرشيد ولاية عهده في أولاده الثلاثة (٤) : محمد الأمين ثم عبد الله المأمون ثم القاسم المؤتمن ، وكتب بذلك وأشهد الشهود ، فلما توفي سنة ١٩٣ ، وآلت الخلافة إلى الأمين بدأ يعمل على خلع أخويه ونقل الولاية بعده إلى ابنه الطفل ، وقد فعل وسماه « الناطق بالحق » فكان ذلك بدءاً لسلسلة

(١) الأصماني ١٦١ : ٥ ونظر ١٢٠ : ١٥ ، ١٠٤ : ٢١ ، ١٥٧ : ١٥٧ .

(٢) الحاجري ٣٦٣ في « تعليقات وشروح » ذيل بها تحقيقه كتاب البخله الجاحظ .

(٣) حجاب ٣٠٥ .

(٤) فصل الطريفي أمر هذه الولاية وما تبعا من أحداث ، وهو معدودنا الأساس

في هذا التلخيص ينظر في أول أحداث سنة ١٧٦ III ٦١٠ .

من الفتن والحروب كانت الغلبة في جملتها للمأمون . وقد نال الناس من جراء ذلك عنت شديد وذهب منهم ضحيته خلق كثير .
وانصب الشر بخاصة على بغداد إذ سارت إليها جيوش المأمون فذعر أهلها واضطربت أمورهم واختل نظامهم وعيث بهم العابثون و « تقب أهل السجون السجون وخرجوا وقتل الناس ووثب على أهل الصلاح الدُّعَّار والشُّطَّار فمزَّ القاجر وذل المؤمن واختل الصالح وساءت حال الناس ... حتى ... خربت الديار » .

فلما دخلت سنة سبع وتسعين ومائة .. حاصر طاهر بن الحسين وهرثة ابن أعين وزهير بن المسيَّب محمدَ الأمين فنُصبت المجانيق والمراكبات ، واحتُفرت الخنادق ، ورُميت الحبال بالنفط واليران ، واستشرى القتال ، فنقل الحصار على الأمين ، وقد فرَّ من أصحابه مَنْ فرَّ ، واستأمن منهم إلى طاهر من استأمن ، وتفرق من تفرق ، ولم يبق معه إلاَّ قلة يطمع أكثرهم بما بقي لدى الخليفة من مال ، وهم في الغالب ليسوا أهل رأي قدر ما هم أهل سلب وحب للقتال ، من « باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعاغ والطرازين وأهل السوق ، وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النهب وخرج الميرش والأفارقة فكان طاهر يقاتلهم لا يفتر عن ذلك ولا يملأ ولا يني فيه » . وهكذا عمَّ الفساد وذهبت معالم بغداد وذوت نضارتها واضمحلت جانب العيش فيها .

سميت تلك فتنة ، وهي كذلك وأكثر من ذلك ، إنها كارثة حلت بماصمة الحضارة والمدنية فقال الخريمي قصيدة طويلة تقع في خمسة وثلاثين ومائة بيت ، وصف ما آلت إليه بغداد تحت وطأة الفتنة المارمة (سنة ١٩٧) مطلعها :

قالوا ولم يلعب الزمانُ يَدَ دُادٍ وتَعَثَّرَ بها عوائرها

ومنها :

جنةٌ دنيا ودارٌ مَقبَطةٌ قل من النائبات واثرها

. . .

أورد أملاكنا نفوسهم هوةً غنيّ أعيت مصادرها

ماضرها لو وقتٌ بوثيقها واستحلت الثقي بصارها

ولم تسافك دماء شيعتها وتبتل فتية تكابرها

وأقنعها الدنيا التي جمعت لها - ورغب النفوس ضارها

. . .

يا هل رأيت الجنان زاهرةً يرثوق عين البصير زاهرها

. . .

فإنها أصبحت خلايا من الـ إنسان قد دامت محاجرها

قفرًا خلأ تعوي الكلاب بها ينكير منها الرثوم دأثرها

وأصبح البؤس ما يفارقها إلها لها والسرور هاجرها

. . .

يا بؤس بغداد دار مملكة دارت على أهلها دوائرها

أهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كباثرها

بالخسف والقذف والحريق والـ بحرب التي أصبحت تساورها

. . .

حلت بغداد وهي آمنة داهية لم تكن تحاذرها

طالعها سوء من مطالعها وأدركت أهلها جرائرها

. . .

من ير بغداد والجنود بها قد ربقت حولها عاكرها

. . .

يَعْلَمُ أَنْ الْأَقْدَارَ واقصة* وفماً على ما أحبَّ قادرها
فَتلك بغدادُ ما يُبنى من الـدَّة* له في دورها عصافيرها
مخوفة* بالردى مُنطَفئة* بالصغر محصورة جبارها

. . .

والكرخ أسواقها مطلة* يستن عيارها وعارها
أخرجت الحرب من سواقطها آساد غيل غلباً تساورها
من البواري تراسها ومن الـ خوص إذا استلّمت مغافرها
تعدو إلى الحرب في جواشنها الـ صوف إذا ما عدت أساورها
كتائب الهرش تحت رايته ساعد طررها مقاميرها
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يحشّرها للقاء حاشرها

. . .

وهل رأيت الفتيان في عرصة الـ معرك معفورة مناخرها
كل قى متاع حقيقة تشقى به في الوغا مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه مخضوبة من دم أظافرها
أما رأيت الخيول جائلة بالقوم منكوبة دوائرها
تشر بالأوجه الحسان من الـ قتلى وغلت دماً أشاعرها
بطان أكباد قية نجد أما رأيت النساء تحت المجا
عقائل القوم والمجاثر والـ نيق تعادي شعثاً صفارها
يحملن قوتاً من الطحين على الـ منس لم تنهر معاصرها
وذات عيش ضنك ومقيسة أكتاف معصوبة معاجرها
تشدّخها صخرة تعاورها(١)

(١) ومقيسة : في نسخة مقيسة .

تسأل عن أهلها وقد سئلت وابتر عن رأسها عفاثرها
يا ليت ما والدهر ذو دُولٍ يُرجى وأخرى فتخشي بواثرها
هل ترجعن أرضنا كما غنيت وقد تناهت بنا مصابرها ...

ولهذه القصيدة أكثر من أهمية ، فهي تصور ما حل ببغداد تصويراً يقنعك بأنه الذي وقع ، وأن الشاعر لم يكن أكثر من امرئ سجل ما حدث دون تزيد ، ودون أن تشغل الكليات عن جزئيات الأسماء والوقائع والفئات ، ومن أدلة قيمتها التاريخية أن الطبري نقلها كاملة ، وهو الرجل الذي تهمة الروايات فعدها رواية ، ورواية صادقة (١) .

سجل الأحداث رجل يعرف بغداد تمام المعرفة ، في خيرها وشرها ، وفي نعيمها وبؤسها ، فكانت - بذلك - ألياته التي تصور حياة الترف وثيقة أخرى لما كانت عليه بغداد (قبل الفتنة) . وقد دعا إلى تسجيل هذا الجانب عامل المقابلة بين ما يرى ورأى ، وعامل في يظهر الفرق الهائل بين ما هو كائن وما كان ، فيتضح أثر الفتنة ويبدو سوؤها ولا بد من أن يكون هذا العامل قائماً في نفس الشاعر .

ولم يكن أبو يعقوب من دعاة الفتنة ، ولم يكن راضياً عما حل ببغداد وبأهل بغداد ، وإنما كان ساخطاً متألماً متحسراً قائراً ، وموقفه موقف الرجل الناقل الحكيم المجرب الذي يتأمل الأسباب والنتائج ويلتزم جانب المنطق فيزيده ذلك تألماً لآلام الآخرين ، وتقض مضجعه أعمال الطيش والاعتداء ، موقف الرجل الخبير الذي لا يرتضي اثر يعم الناس ، ولا يرضى الفتنة

(١) أما ابن الأثير ٥ : ١٥٩ فقال : وقال الحريري قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتاً أتى فيها على جمع الحوادث ببغداد في هذه الحرب - تركتها لطلوها .
وقد ورد الحريري لديه على : الجري . وهو تصحيف . وينظر ابن كثير

أن تقع . وإذا قامت فتنة فإنها لا تعرف جاثراً ومهتدياً ولا تميز مخطئاً من بريء ، ولا يسود فيها إلا الأشرار من كل صنف .

ولا أدل على عقله من أنه عرض مظاهر الأسى في الفتنة على وجه يكرها ويشمها ، وأنه لم يشتف بجهة من الجهات ولم يجعل وكده شتماً أو مباحاً . ومع أنه كان أقرب إلى المأمون وكان يرى الحق إلى جانبه فإن الذي شغله ، أكثر ما شغله ، وكل ما شغله ، مظاهر الفتنة وما سببت من خراب ودمار وجوع وما أشاعت من أذى وظلم واعتداء .

لقد كان « إنسانياً » في قصيدته ، وإذا صور فتنة بعينها فلقصيدته قوة تبشع بها كل فتنة ، وتدعو عقلاء القوم إلى الحذر من الفتن والعمل على تجنب وقوعها .

ولم يكن الخريجي مبياً القصد أو مبياً النية ولم يقصد إلى أن يتملق حاكماً أو أن يحصل بشمره مالاً أو جاهاً وإنما سجل ما أحس وأرخ ما علم هادفاً إلى صالح عام . إنه شاعر فاضح شجور ، وكان الموقف أكبر من التفكير بمرض الدنيا وأكبر من الانتهاز ، وأكبر من الأمين والمأمون ، وأكبر من أن يستغله شريف لمآربه الخاصة وحاجاته القرية .

إنه إذ ذكر المأمون ذكره علواً ، وإذا ذكر وزيره ذا الرياستين (الفضل بن سهل) رجاء أن يسود العقل ودعاء إلى إحقاق الحق ، وألا يأخذ البريء بالذنب ، وأن يتولى العامة برعايته وعفوه . إنها نصيحة جليلة . ثم إنه لم يتقدم بقصيدته إلى القادة الفاتحين .

ولا تقل الأهمية الشعرية للقصيدة عن الأهمية التاريخية ، فقد جمعت مزايا جمة تحملها محلاة مرموقاً وترتفع بها عن مستوى انتماء التقرير والوعظ الرخيص ؛ ودلت على أن صاحبها من كبار شعراء العربية وأن رأيته جديرة أن تنال حقها من العناية فتحسب في عداد مختارات العصر ، فكم لنا مثلاً !

القصيدة طويلة ولكنها لم تققد توازنها بين البدأ والنتهى ، ولم يحسن الطول فيها على النفس ، وإنما بقيت شعراً ، وإلا فلا يكفي الطول وحده في بلاغة الأشياء .

واستعان الشاعر - بقصد وبغير قصد - بمرق من النثر في الأسلوب ، فجعل قصيدته أقرب إلى السرد والقصص ، وجعل عبارته أقرب إلى عبارة الكاتب المتحدث مما أعانه على التفصيل وعلى الربط بين الأجزاء وعلى تشييب الكلام وتقنيته ؛ ولكنه ، على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من البحر المنسرح الذي نظم عليه ، لم يخرج عن المرق الشعري ، أي أن كلامه لم يستحل نثراً يؤول بالشعر إلى الجفاف والهلالة ، ويودي بالموسيقى والخيال . إن الذي أدار دفة القصيدة أستاذ متمكن ، عارف بأسرار اللغة وأسرار التراكيب ، وقد جرّب طويلاً في البناء . وإنه لم يقل الشعر لكي يقال إنه شاعر ، ولم يُطل لكي يقال إنه طويل النفس ، وإنما قال لأنه متأثر متألم متأجج العاطفة في حزنه وأسائه ، عميق الحسرة ، شديد الغيرة ، وقد ترك عاطفته حرّة في الإبانة والظهور وسار معها أنثى سارت حتى إذا قاربت أن تهدأ هداً ووقف . وقد كانت عوامل الألم في النفس الإنسانية مبثوثة في كل مكان لا تكلف المرء في البحث عنها ، وكانت مظاهر الفتنة عديدة ومتنوعة ومتجددة فإذا استدعت مقابلة بما كان قلبها من نعيم ازدادت تعدداً وكان حديث الشاعر عنها متنوعاً داخل الإطار العام مما يزيد القارىء شداً إلى القصيدة وتأثراً بها وانسياقاً معها .

إنها جديرة أن تعد في الملاحظات ، لو كنا في عصر الملاحظات . ترى أين كان كبار شعراء العصر الباسي عن أمثالها !

(٥)

كان الرجل يطيل التأمل في الناس ويميل إلى التبصر في أمور الدنيا
والتفكير بالآخرة ؛ وفي الأحداث العامة ما يبعث النفس على ذلك ؛ وبكفي
أنه شهد الفتنة ، فاذا جدّت أحداث خاصة ازدادت النفس رقة ومالت عما
يشغل الناس به كيانه من طمع .

ومن أحداث الخريجي الخاصة في هذه المرحلة من العمر ، هذه الشيخوخة
التي ألفت بكلها عليه ، وهذا الموت الذي نزل بأخيه :
أقول لمني إن يكن ملّ مسعدي فأيتها العين السخينة أسعدي

. . .

نظرت إليه فوق أعواد نمشه بمطروقة حيرى تجور وتهدي (١)
ثم نزل بابنه :

ألا كلّ عيش بعد فرقة أحمد وكلّ سرور - ما بقيت - ذم (٢)
وكان فقداه عينه الثانية من أقى ما ألمّ به وأشعره بالمجز ، فأكثر من
النظم في رثائها وسار شعره في ذلك واشتهر ، ومنه قوله :

(١) روى ابن عساكر ٢ : ٤٢٧ ستة أبيات في رثاء أخيه .

(٢) تقع الرثية في ٢٣ بيتاً أثبتها ابن عساكر ٢ : ٤٢٦ - ٧ برواية ابن أبي الدنيا ،
وهو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد وكان قرشياً في ولاء ، وكان يؤدب
للكوفي ، وكان ورعاً زاهداً ، عالماً بالأخبار والروايات توفي يوم الثلاثاء لأربع
عشرة ليلة خلت من جادى الآخرة من سنة ٢٨١ وقيل ٢٨٢ ينظر الكشي
(محمد بن شاكر) - فوات الوفيات الح . محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ،
(مطبعة السادة) ١٩٥١ ح ١ : ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ابن كثير ١١ : ٧١ س ٢٨١ .

أصني إلى قائدي ليُخَيِّرَنِي إذا التقينا عمن يحيني
أريد أن أعدِلَ السلام وأن أفصِلَ بين الشريف والدُّونِ
أسمع ما لا أرى فأكره أن أخطي ، والسمعُ غيرُ مأمون
لله عيني التي بُجِثَ بها لو أن دهرًا بها يواتيني
لو كنتُ خَيَّرْتُ ، ما أخذتُ بها تعميرَ «نوح» في ملك «قارون»
حقُّ أخلائي أن يعودوني وأن يُعَزِّوا عشي ويكُونِي (١)

إنه مكروب دون شك ، ولكنه في مستوى اجتماعي حسن يدل على
مال وجاه وعز . وعرض نفسه على الطبيب تلو الطبيب ، وهم يعدونه خيراً ،
حتى يثس منهم وبدا يستشعر النهاية :

إذا مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب (٢)

(١) الجاحظ - الحيوان ٣ : ١١٣ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، عيون ٤ : ٥٧ ؛
ابن الجراح ١٠٤ ، الصفدي ٧١ (أورد الصفدي الآيات في مقدمة كتابه
«نكت المبيان في نكت المبيان» ولم ترد للخريجي ترجمة فيه ، ولا في كتابه
الثاني «الشعور بالمرء» ، مخطوط في مكتبة شيخ الإسلام بالدينة برقم ١٧٨
من قسم كتب التاريخ - وقد استمت على مراجعته بأحد للدينين) .

(٢) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، ابن الجراح ١٠٤ ، الأصبهاني ١٥ : ١٠٤ - ١٠٥
(أخبار أبي الشيمس) ، الباسي ١ : ٢٥٣ .

وتنظر آيات أخرى قلما في مقدمه عنه لدى ابن قتيبة ٢ : ٧٢٢ ،
٤ : ٥٧ ؛ الصفدي ٧٢ ؛ الباسي ١ : ٢٥٢ ، وينظر المظايقة الجاحظ - الحيوان

كان يشعر ضيقاً شديداً ويحس بغربة خائفة ، مع أن الناس باقون على احترامهم إياه ووفائهم له ؛ ولكنها الحالة النفسية التي يعانيها :

كفى حَزَنًا أن لا أزور أحبي من القُرْبِ إلا بالتكثف والجهد
وإني إذا حيت ناجيتُ قائدي ليعدلي قبلَ الإجابة في الردِ
إذا ما أفاضوا في الحديث تقاصرتُ بي النفسُ حتى ما أحيروا وما أبدي
كأنني غريب بينهم لستُ منهمُ وإن لم يحولوا عن وفاي ولا عهدِ
أقاسي خطوباً لا يقوم بثقلها من الناس إلا كلُّ ذيِ مرّةٍ جَلَدٍ (١)
ونحن نعلم أن الخريجي « عمي » في آخر عمره ، (٢) و « بعد ما أسن » (٣) ،
ولكننا لا نملك من المصادر ما يبيّن سني العمر أو تاريخ الوفاة أو مكانها ،
ولعله توفي بغداد بعد أن تيف على التّامين (٤) .

وقد ذكر أحد المؤلفين المعاصرين لنا أن الخريجي مات سنة ٨١٥ - ٨١٦
للميلاد (٥) أي ما يمكن أن يساوي عام ال ٢٠٠ للهجرة ؛ وقال آخر إنه
توفي سنة ٢١٤ للهجرة (٦) ، ولم يدلّ على مصدرها .

(١) الجاحظ - الحيوان ٧ : ١٥١ - ١٥٢ . وقد وردت فيه وإن لم يحولوا ، على :
فان لم يحولوا .

(٢) ابن المراح ١٠٤ .

(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٤) وقد يعني الصّير البش أكثر من التّفة - ينظر الجتاني - المّعرون .

(٥) برون ٢٦٨ . ١ . . .

(٦) حقق كتاب ابن المتر ٥١٧ .

ويمكن القول إن الحريري عاش أكثر من ذلك .
وتبقى المسألة خاضعة للنقاش ؛ ويبدو أن خبر وفاة أبي يعقوب قد
مبكراً (١) . كما لم نعلم عن اعتقاد الشاعر شيئاً (٢) .

(يتبع) الرياض — جامعة الرياض الدكتور علي جواد الطاهر



-
- (١) فلم يكن به مصدر من هذه المصادر الكثيرة التي تبرز في نظامها على السنوات ،
وفي مقدمتها الطبري الذي لا يجهل الحريري . ولعل عني الحريري وشعره الصيق
بالجزء دفء إلى أن يتزل الناس ويموت منسياً أو شبه منسي .
(٢) وقد يكون أغرب مالا وما إليه ، لكننا نجهل كل شيء عن أولاده بعده ،
وعن بكره « يعقوب » .

طُرر على معجم الأديباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٥ -

(المجلد الأول)

- ٣٨٨ : ١٥ الزلّة ما يحمل من المائدة من الطعام لغة عراقية وهي
بالفارسية أيضاً ، (٢ : ٢٥٣ / ٢) .
- ٣٨٨ : ١٧ الصواب : ومُسَمِّمةٌ وحُكَّ ح (٢) .
- ٣٨٩ : ١٠ لعل الصواب دانت له الحِكْمُ أو واثت .
- ٣٩٠ : ٩ غرس النعمة في الهفوات (ورأيت منه نسختين باستنبول)
والتوخي في النشوار ١ : ٢٠٥ ، (٢ : ٢٥٦ / ٦) .
- ٣٩٠ : ١٠ النشوار أبو الحسين بن عيَّاش ، (٢ : ٢٥٦ / ٨) .
- ٣٩٠ : ١٤ النشوار حتى أجلسك على لبود وأطعمك طباحة بكبود الخ ،
(٢ : ٢٥٦ / ١٢) .
- ٣٩٠ : ١٥ النشوار غناء الممدود ، (٢ : ٢٥٦ / ١٥) .
- ٣٩٠ : ١٩ (ولن) ليس في النشوار .
- ٣٩١ : ٣ النشوار حُبّاً للصبي ، (٢ : ٢٥٧ / ١٠) .
- ٣٩١ : ٤ الصواب : فطرب كالنشوار .

- ٣٩١ : ١١ الصواب : وحالفه كالخطيب وعنده بسنين و (عظم النعمة) ،
(٢ : ٢٥٨ / ٦) .
- ٣٩١ : ١٦ الصواب : وفي غضار كالخطيب وعنده موارد . والنضارة
تأتي على الصواب في ص ٣٩٥ ، (٢ : ٢٥٨ / ١٢) .
- ٣٩٢ : ١١ الصواب في الخطيب : وغناء مغنية أحضرتها له كنت آلفها ،
(٢ : ٢٦٠ / ١) .
- ٣٩٢ : ١٣ الصواب محفته ، (٢ : ٢٦ / ٤) .
- ٣٩٣ : ١١ المتصوص : طعام من لحم ينقع في الخل ثم يطبخ .
- ٣٩٤ : ٩ الصواب : للتقاء ثم منفي .
- ٣٩٦ : ٨ الصواب : يا ابن الكبير ، (٢ : ٢٦٧ / ٦) .
- ٣٩٧ : ٦ لعله (إلى خيل لئالؤه) أو (ونائله) ، (٢ : ٢٦٩ / ٥) .
- ٣٩٧ : ٧ أبو علي المحسن في النشوار ١ : ٢٠٣ ، (٢ : ٢٦٩ / ٧) .
- ٣٩٧ : ١١ اقتديتها وفي النشوار أقربتها ، (٢ : ٢٦٩ / ١٢) .
- ٣٩٨ : ٢ الصواب : في النشوار وأسرج لي وعنده (أكلت شيئا) .
- ٣٩٨ : ٨ الصواب : عن تشيئه كالنشوار ، (٢ : ٢٧١ / ٣) .
- ٣٩٩ : ٣ النشوار تبكث ، (٢ : ٢٧٢ / ٦) .
- ٣٩٩ : ٤ كارة كالنشوار ما يحمل على الظهر ، (٢ : ٢٧٢ / ٨) .
- ٣٩٩ : ٩ النشوار عليك الكثير ، (٢ : ٢٧٢ / ١٤) .
- ٤٠٠ : ١ الصواب : النشوار فلما أصبحنا .
- ٤٠٠ : ٢ الصواب : وفي الآخر كالنشوار ، (٢ : ٢٧٤ / ١) .
- ٤٠٠ : ٤ قال أي التوخي في نشواره ١ : ٢٤٩ ، (٢ : ٢٧٤ / ٥) .
- ٤٠٠ : ٨ النشوار كان طاوي سبع وأراه الصواب ، (٢ : ٢٧٤ / ١٠) .
- ٤٠٠ : ٩ النشوار يرمقه بفيظ ونحن النخ وهو الوجه ، (٢ : ٢٧٤ / ١١) .

- ٤٠٣ : ١٢ الصواب : غِلالته وهي ثوب ، (٢ : ٢٨٠ / ٥) .
- ٤٠٥ : ٤ الصواب : باب الأزج من محال بندا .
- ٤٠٥ : ٦ الصواب : حذا فيها حذو الحريري ، (٢ : ٢٨٢ / ١٥) .
- ٤٠٥ : ١٠ مراتب النحويين نسخته الفذة ص ١٣٤ . وترجم الزبيدي
- ١٢٧ لأبي نصر ، (٢ : ٢١٣ / ٦) .
- ٤٠٥ : ١١ المراتب : جعفر بن محمد يتكره ، (٢ : ٢٨٣ / ٧) .
- ٤٠٧ : ٤ لترجمته القهرست ١٠٤ .
- ٤٠٨ : ٤ البيت مختل الوزن ، (٣ : ٥ / ١) .
- ٤٠٨ : ٨ الخطيب ١٧٩٣ والصواب : سمع من المدائني ، (٣ : ٥ / ١٠) .
- ٤٠٨ : ١٤ اليتان في القهرست ورسالة الحجاب في طراز المجالس ٩٢ ،
- (٣ : ٦ / ٤) .
- ٤٠٩ : ١ الآيات عند الطبري سنة ٢٥١ ستة عشر . (٣ : ٦ / ١٢) .
- ٤٠٩ : ٥ الصواب : (في بشر حاجب الخ) .
- ٤١٠ : ١٩ الصواب : (إنما هو لحسن) .
- ٤١١ : ٥ الصواب : على ما في التزهة ٣١٥ والبنية ١٣٠ (أحمد بن الحسن) ، (٣ : ١١ / ١) .
- ٤١١ : ٩ الصواب : (أبي بكر بن السراج) .
- ٤١١ : ١٨ الصواب : على ما في المتظم ٧ : ١٦٥ صاحب الفلسفة وترجم له هو والجزري في القراء رقم ٢٠٨ .
- ٤١٢ : ٧ الصواب : بن خزيمة .
- ٤١٣ : ١ الصواب : مُشكان ترجم له ابن الجزري ٣٦٢٨ قال ويقال بالسين أيضا ، (٣ : ١٤ / ١٢) .

٤١٣: ٧ وفي القراء رقم ٣٩٠ علي بن عبيد الله بن عمر وكذا
المنتظم ١٣٥: ٩ رقم ٢٠٨ والشنرات ، (٤ : ٤٦ / ١) .
٤١٤: ٥ أبو علي الصدقي هذا رواية مكرر ولا بن الأبتار معجم في
أصحابه وطبع باسبانيا ، (٤ : ٤٧ / ١٦) .

٤١٤: ١٦ طبقات المفسرين للسيوطي رقم ٥ ، (٤ : ٤٩ / ١) .
٤١٥: ١٤ ينابيع اللغة هذا رأيت مجلده الأول بدهلي عند السيد
الجعفري وتاج المصادر طبع مراراً يومباي ولكنو ودهلي ، (٤ : ٥٠ / ١١)
٤١٦: ٧ الصواب : لغوياً ناسباً لأنه كان من علماء الأنساب . هذا
وللرشيد ترجمة في الوفيات والطالع السعيد ٤٧ والشنرات سنة ٥٦١ و ٥٦٢ هـ .
ويأتي أخوه ٣: ١٥٧ وكنيته في الطالع والشنرات أبو الحسن . قال الأدفوي
وقد وقفت على محضر كتبه باليمن فيه خط جماعة كثيرة إنه لم يدع الخلافة
وأته مواظب على السعة للخليفة الخ ، (٤ : ٥٢ / ٣) .

٤١٦: ١٧ الصواب : أمنية الألمي ومنية المدعي وتعرف بالمقامة الحسينية
طبعها الصديق O. Rescher سنة ١٩١٤ م في المجلة Le Monde Oriental
عن كتيخانة راغب باشا (أدبيات رقم ١١٥٩) في ١٣ ص والأصل مع الشرح
في ٢٥٩ ورقة ومنها نسخة بالخالية ، (٤ : ٥٤ / ١١) .
٤٢٠: ٣ الصواب لعله : فترَبَّدَ وجهه .

٤٢٠: ١٧ أولها راجع له ٣: ١٥٨ فالصواب هكذا : (عن قصيدته
أي المذهب التي أولها :

يا ربيع أين ترى الأجة يثموا [هل أتجدوا من بعدنا أم آتهموا]
رجلوا فلا خلت للنسازل منهم . ونأوا فلا سلت الجوانح منهم .
أعني أن قصيده المذهب أولها يارب البيت وأول كلمة الرشيد رجلوا البيت :

وانظر الشذرات سنة ٥٦٢ هـ وفيه في البيت الثاني قد كتموا الغداة وهو الصواب ،
(١١ / ٦٢ : ٤) .

٤٢١ : ١٣ الصواب : سهرت كما في الشذرات ، (٦ / ٦٤ : ٤) .
٤٢٣ : ١١ عُصرة المنجود في بيت أبي زبيد في جمهرة الأشعار ١٣٨ ،
(١١ / ٦٨ : ٤) .

صاديا . يستغيث غير مناث ولقد كان عُصرة المنجود

٤٢٤ : ١٧ الصواب : بالحريم الطاهري .
٤٢٥ : ٣ الصواب : أبي الحسين المبارك (٩ / ٧١ : ٤) .

★ ★ ★

(المجلد الثاني)

٣ : ٤ 'لندة هذا تأتي ترجمته ٣ : ٨١ ، (١١ / ٧٢ : ٤) .
٣ : ٥ الصواب : عبد العزيز بن دلف ... ودوتها ، (١ / ٧٣ : ٤) .
٣ : ١٢ الصواب : من مجثرها .
٤ : ١٤ الصواب : : ودبّ اليلبي .
٥ : ١٢ الصواب : أشعار كثيرة .
٦ : ١ الصواب : عندس من زجر البنال وح (١) غلط ، (٢/٧٩:٤).
٦ : ٦ الحاشية (٢) غلط .

٦ : ٩ ابن الجوزي في التتظم ٧ : ١٠٣ رقم ١٣٧ وانظر لابن فارس
اليتيمة ٣ : ٢١٤ الوفيات الزهية ٣٩٢ اللية ٢٩٧ طبقات المفسرين
للسيوطي رقم ٦ فهرست الطوسي رقم ٧١ البنية ١٥٣ . وقوله (مات سنة ٣٦٩

وقال النخ (هذا كله من قول ابن الجوزي وفي البنية عن الذهبي أنه توفي سنة ٣٩٥ قال وهو أصح ما قيل في وفاته على ما يأتي هنا أيضاً ص ١٢ ، (٤ : ٨٠ / ٢) .

٦ : ١٤ الصواب : على كتاب تمام الفصيح ومعلوم أن الفصيح ليس له وإنما له تمام فصيح الكلام وهو في معنى فائت الفصيح لأبي عمر الزاهد وكنت نسخته في ٢١ صفحة سنة ١٣٤٨ هـ عن نسخة ياقوت صاحبنا نقلها سنة ٦١٦ بمرور الشاهجان عن نسخة ابن فارس بخطه في رمضان سنة ٣٩٣ (لا ٣٩١ كما هنا عنه) بالمحمدية وهي حصن بالري هذا وطبعة الصاحي سنة ١٣٣٨ أصلها عن نسخة عليها خط للؤلؤف بالمحمدية سنة ٣٨٢ رأيتها بعيني في كتبخانة ولي الدين بجامع بازيد في استنبول .

٦ : ١٧ الصواب : عن أبي بكر راوية ثعلب كما في التزهة
٧ : ٦ الصواب : تمتن رزق . كما نقله غير واحد .

٧ : ١١ و ١٧ جمل الكتاب الواحد (فقه اللغة الصاحي) كتابين .
طبع من المجلد جزء . والصواب مقدمة في النحو . في التزهة والبنية كتاب دارات العرب . وكتابه في السيرة هو كتيب صغير كان طبع قبل القرن الحاضر بيومباي على الحجر . ويوجد بأياصوفيا التذكرة السعدية نقل مؤلفه في كل باب عن حماسة ابن فارس أشياء . وأما مقاييس اللغة له فإنه يوجد بالعجم والنجف ومصوَّراته بمصر ودمشق رأيت ، وذكر ابن خلدون كتاب التاج له ورأيت بجزيرة لالهلي ١٧١٦ شرحه على الحماسة الجزء الأول واستنسخ صديقنا أحمد صافي النجفي شاعر العراق أيام مقامه بطهران كتاب الأنواء لابن فارس وهو في ١٣ ورقة . وله المذكر والمؤث بالتيمورية .

٨ : ٢ خلق الانسان طبع بمجلة لغة العرب بغداد فبراير ١٩٣١ م
في ست صفحات . وطبع بمجلة Islamica كتاب اللامات ص ٨١ - ٨٨

سنة ١٩٢٤ م وطبع العاجز مقالة كلاً له في ثلاث رسائل مصر ١٣٤٤ هـ
(٤ : ٨٤ / ١٣) .

٩ : ١٣ اليتيمة فلس إقلاص ، (٤ : ٨٧ / ١٣) .

١٠ : ٢ الصواب : إلا .

١٠ : ٥ حفطي من شرح المتنبي للكبري ففعلك للخير قل لي متى ،

(٤ : ٨٨ / ١٥) .

١٠ : ١٣ الصواب : أحمد بن فارس بن زكريّا ، (٤ : ٨٩ / ١٠) .

١١ : ١ الفلاحي لعله محمد بن زكريّا المترجم له في لسان الميزان برقم ٥٧١

والفهرست ١٠٨ وهو ضعيف توفي بعد ٢٨٠ هـ ، (٤ : ٩٠ / ٣) .

١١ : ٦ وذكر في ٣ : ٤٩ قصيدة أخرى في مثل معناها للفارقي وترى

في تاج العروس أن معاني العين أوصئت إلى ٥٠ وهي كالنحال ، (٤ : ٩٠ / ٩) .

١١ : ١٠ الصواب : تدني مشعشة ، (٤ : ٩١ / ١) .

١٢ : ١٢ من ثلاثة آيات لامرأة من طيء خرّ جناها في السمت ٢٧٢ ،

(٤ : ٩٣ / ٣) .

١٣ : ٤ ابن بابك هذا له ترجمة في اليتيمة ٣ : ١٩٤ والمعاهد ١ : ٢٤

ورأيت الجزء الثاني من ديوانه بكتبخانة لاله لي (د - ش) برقم ١٧٥٧ ،

(٤ : ٩٤ / ٤) .

١٣ : ٩ نواكم لا غبار عليه .

١٤ : ٢ الصواب : أبا الحسين ، (٤ : ٩٦ / ٣) .

١٤ : ٣ الصواب : موضع الخيال ، (٤ : ٩٦ / ٤) .

١٥ : ٦ الصواب : الحباب ، (٤ : ٩٩ / ٣) .

١٥ : ١١ اليتيمة ١٥٣ علي بن لال ، (٤ : ٩٩ / ٩) .

- ١٥ : ١٧ الصواب : وثاوتها .
- ١٦ : ٥ السمعاني في الأنساب ٦٠ وابن الجزري في القراء رقم ٤٤٠ ،
(١ / ١٠١ : ٤) .
- ١٦ : ٩ السمعاني (من أبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده الحافظ
وأبي إسحق إبراهيم بن عبد الله بن خُرْسَنَد قوله (٢) الساجر) وفيه
بعض الصواب ، (٧ / ١٠١ : ٤) .
- ١٦ : ١٨ الصواب : ابن يزيد أبو بكر . ترجمته عند الخطيب برقم ٢٢٠٩
ولسان الميزان ج ١ رقم ٧٧٦ .
- ١٧ : ٣ الخطيب : وتواريخ أصحاب الحديث ، (٢ / ١٠٤ : ٤) .
- ١٧ : ١٢ الصواب : وأبو عبيد الله ، (١٠ / ١٠٤ : ٤) .
- ١٧ : ١٤ الخطيب : للأخبار والمير ، (١٤ / ١٠٥ : ٤) .
- ١٧ : ١٧ الخطيب : عن فضل إنعام وقبح أثم أي أن فضل الإحسان
وقبح الإثم مما لا يختلف فيه اثنان وما هنا مصحف ، (٥ / ١٠٦ : ٤) .
- ١٨ : ٣ الخطيب : على الأخبار .
- ١٩ : ٤ المتظم ٨ : ٨٣ الضي ٤٦٢ المصارع ١٩٤ تزيين الأسواق ١٦٢
الواضح المين ٩١ ، (١ / ١٠٩ : ٤) .
- ١٩ : ٥ ولا أدري ألح وذلك أن راوي الخبر هو محمد بن الحسن
المذحجي الزبيدي وتوفي ٣٧٩ كيف يشاهد وفاة ابن كليب سنة ٤٢٦ ،
(٣ / ١٠٩ : ٤) .
- ٢٣ : ٢ قال القائل هو أبو محمد بن حزم ، (١٤ / ١١٥ : ٤) .
- ٢٣ : ١٤ التزيين ١٧٠ وديوان الصبابة بهامشه ٢٥٠ (سعيد) في
المظان كلها ، (١٤ / ١١٦ : ٤)
- ٢٤ : ٣ الصواب : مبرحاً وجعل يعمل . (٨ / ١١٧ : ٤) .

- ٢٥: ١٣ الصواب : عليه مسرحه .
- ٢٦: ٩ الخبر في المصارع ١٥٩ و ٤٠٠ و ٣٤١ والتزين ١٦٣ وديوان الصبابة ٢٥٢ عن معجم الأدباء . وترجم الخطيب لمذكر هذا ٧٢٣١ وسماء ابن محمد أبا القاسم الشيباني وله ترجمة في هذا السابع المنحول من الأدباء رقم ٨٨ ، (٤: ١٢٢ / ١٠) .
- ٢٧: ٥ القصيدة في مائة بيت .
- ٢٨: ٩ خبر الأحول أحمد المحرر من وزراء الجهشيارى في بدائع البدائة ١٢٧٨ هـ ص ٢٧ . وانظر للأحول المحرر ٢: ٢٢٥ ، (٤: ١٢٦ / ٧) .
- ٢٨: ١٦ الصواب : ولكن أعطيه ، (٤: ١٢٨ / ٤) .
- ٢٩: ١ الصواب : كل ما كان .
- ٢٩: ٩ الصواب : ريطه' ، (٤: ١٢٩ / ٧) .
- ٣٠: ١٢ القهرست في الأثواب منبطح .
- ٣٠: ١٦ الصواب : أبي عبد الله محمد كافي القهرست ، (٤: ١٣٢ / ٦) .
- ٣٠: ١٧ الصواب : البرقي القمّي ، (٤: ١٣٢ / ٧) .
- ٣٢: ٢ الصواب : كتاب الزجر .
- ٣٣: ١٩ يعصى لا غبار عليه بمعنى يضرب به كالمصا ، (٤: ١٣٨ / ١) .
- ٣٤: ١٥ ابن عساكر حنت وهو الصواب وحيت وحلت تصحيفتان .
- ٣٥: ١٤ وله بيتان آخران في حروف المعجم ذكرهما الزبيدي أيضا : -
- (٤: ١٤٢: ١٣) :

فطلبتها ومضى الفرزدق ظاعنا إذ صحّ شخص بالعيشة كهسا

حجّ الرعيّ بحث ظاعناً فطنى وضقت بالين صدراً إذ هم شحطوا

٣٥: ١٨ هاك سواد الياض أو رآب الثأى من الزبيدي : -

نفسى تحدثني بأنك غائر وهوايَ فيك على ذنوبك سائر

تَعِدُّ الوقاء وَأَنْتَ تُظْهِرُ غَيْرَهُ وَلَقَدْ يَدُلُّ عَلَى الضَّمِيرِ الظَّاهِرُ
لَكَ مَقْلَةٌ طَمَّاحَةٌ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَدُورُ الدَّائِرُ
لَوْ زَارَ يَشْتَكِي كُلُّ يَوْمٍ عَسْكَرُ أَرْضَامٍ لِحَظٍّ بَيْنَكَ فَاتِرُ
وَمِنَ الْبَلَاءِ بَأْسَ عَيْنِكَ فَاتِنُ لِلْعَالَمِينَ وَأَنْتَ وَجْهَكَ سَاحِرُ
(اليميني : كَذَا وَلَوْ كَانَ قَالَ وَمِنَ الْبَلَايَا أَنْ سَلِمَ وَقَوْلُهُ فَاتِنُ أَيُّ شَيْءٍ فَاتِنُ)
وَإِذَا بَرَزْتَ فَكُلُّ قَلْبٍ طَائِرُ شَوْقًا إِلَيْكَ وَكُلُّ طَرَفٍ نَاضِرُ
وَلَدَيْكَ إِسْعَافٌ لَهُمْ وَإِجَابَةٌ وَهُوَ الَّذِي مَازَلَتْ مِنْكَ أَطَانِرُ
فِي دُونَ هَذَا لِلتَّيْمِ سَلَوَةٌ عَنْ إِلْفِهِ لَوْ أَنَّ قَلْبِي صَابِرُ
وَلَا هَجْرَتَكَ جَازِعًا أَوْ صَابِرًا إِنِّي إِذَا إِلْفٌ تَنَكَّرَ هَاجِرُ
(٤ : ١٤٣ / ٤) .

- ٣٩ : ١ أبو هفان عبد الله بن أحمد ترجم له في التزهة ٢٦٧
الخطيب ٩ : ٣٧٠ القهرست ١٤٤ ، (٤ : ١٤٩ / ١١) .
٣٩ : ٦ الصواب : تشام بتقديم النون ، (٤ : ١٥٠ / ٤) .
٤٠ : ١٣ ديوان البحري الجواب ١ : ١٥٨ وفيه أنها في أبي العباس
ابن بسطام وفيه في البيت الأخير كفت مهيئها كأدب الصولي ١٧٧ وفيه
حكاية المبرّد يرويها عنه الصولي ، (٤ : ١٥٢ / ١٢) .
٤١ : ١٤ عبد السلام ترجمته في المنتظم ٧ : ٢٧٣ وأبي الملاء وما إليه ١٢١
والخطيب ٥٧٣٩ وطبقات الجزري ١٦٤٤ ، (٤ : ١٥٤ / ٨) .
٤٤ : ١٣ الصواب فالعقل يدفع ، (٤ : ١٤٠ / ١٣) .
٤٦ : ٣ الصواب : إيزاع الشكر ، (٤ : ١٦٣ / ١٠) .
٤٦ : ١٠ الصواب إن شاء الله : بشيخ دبراني أدر شبابه ، (٤ : ١٦٤ / ٧)
٤٦ : ١٢ لعله من كل الأَطْرَاف .
٤٧ : ١٣ الصواب : والله ولي المؤمنين . ، (٤ : ١٦٧ / ١) .

- ٤٨٠: ٦ الصواب : مجدور من الجُدَرِيّ .
- ٤٨٠: ١٢ الصواب : من طرائف ، (٤ : ١٦٨ / ١٢) .
- ٤٩: ٢ الميل والتخت أو اللوح كانوا يستعملونها للسائل والحساب والهندسة وكان يكون الميل من الرصاص وذلك لقلّة الورق قال ابن هندو :
ين يديه الميل والتخت كي يحسب ما يبلغ كم يبلغ .
- راجع ذيل سمط اللآلي ٤٢ اللية ١١٥ طبعتا القالي ٨٨ ، ٨٧ و ١٨٦ ،
١٨٢ ، ٤ : (١١ / ١٦٩) .
- ٤٩: ١٥ وجيأ هو الصواب ووجوباً لا معنى له .
- ٥٠: ١٨ الصواب : عبيد الله كذا يقال وكذا قال ياقوت غير مامرة ،
(٤ : ١٧٣ / ٥) .
- ٥٢: ٣ تهذيب الألفاظ ص ١٦٦ .
- ٥٢: ١١ الصواب : بنت بن جميل ، (٤ : ١٧٦ / ٩) .
- ٥٢: ١٤ المعروف في السيرة في النسب الزكي إدريس بن يَرْد ،
(٤ : ١٧٦ / ١٣) .
- ٥٢: ١٩ الصواب : بالشرة ، (٤ : ١٧٧ / ٦) .
- ٥٥: ٧ (روشن قبادوا) انظر هل هو تصحيف رؤوسْتَقْبَاز بقرب
بنداد الكوفة ، (٤ : ٦٨١ / ٧) .
- ٥٥: ١١ الصواب : وكتبت في الحبس ، (٤ : ٦٨١ / ١٣) .
- ٥٥: ٢٠ الصواب : كلّ ما .
- ٥٨: ٣ ولكن لا يوجد في ترجمة الصولي من هذا الجزء السابع
للنحول ، (٤ : ١٨٧ / ٥) .
- ٥٨: ٦ الصواب : وروى القهرست ٨٠ ، (٤ : ١٨٧ / ٨) .
- ٥٨: ١٣ القهرست ١٣٥ ، (٤ : ١٨٩ / ٥) .

٥٨ : ١٨ فهرست ٨٤ .

٦٠ : ٩ ترجم له الخطيب ٢٥٤٧ قرأه ابن الجزري ٥٢٧ و ٥٢٩ ،
(٤ : ١٩٣ / ١) .

٦٠ : ١٤ هذا كله لا يوجد في طبعة فهرست هذه ، (٤ : ١٩٣ / ٨) .

٦٠ : ١٧ هو أحمد بن الحسين بن مهران مؤلف الناية في الشر ترجم

له ابن الجزري في القراء ٢٠٨ ، (٤ : ١٩٣ / ١٣) .

٦٠ : ١٩ هنا خلاف المعروف فالعروف إلى طبرية الشام طبراني وإلى

طبرستان طبري ، (٤ : ١٩٤ / ١) .

٦١ : ١٠ عمير وتقدم عميرة . وقد روى هذا الخبر والشعر الخطيب

في التطفيل له ٤٦ قال أخبرنا علي بن أبي علي (يريد القاضي التنوخي الصغير)

أنا إبراهيم بن أحمد (نسخة : محمد) بن محمد المقرئ نا المظفر بن يحيى أنشدني

أبو الحسن الأسدي لنفسه : - كنت الخ . وفيه لرأيت المذراء و (لو رأيت)

بجرّد استعراق لا وجه له ، (٤ : ١٩٦ / ٧) .

٦٢ : ١٩ جراب الدولة هذا ترجم له ابن النديم ١٥٣ وانظر مقالي

« جراب الدولة رجل لا كتاب » في الزهراء ص ٣٢٦ ذو القعدة ١٣٤٧ هـ

ورأيت الجزء الأول من الترويح والأصل باريس في ١٣٤ ق وانظر الزهراء

ذو القعدة ١٣٤٦ هـ ص ٥٦٢ أيضا . وروى الجرجاني في الكنايات ٣٠ عنه خيرا ،

(٤ : ١٩٨ / ١٣) .

٦٣ : ٥ لترجمته فهرست ١٥٤ .

٦٣ : ١٠ أبو عبيد . ومرّ أنفاً أبو عبد الله كما سيأتي أيضا ، (٤ : ٢٠٠ / ٦) .

٦٣ : ١٧ الزبيدي ١٤٨ وقد ترجم للوليد أبي الولاد بن محمد الجد

ولأخيه أبي القاسم عبيد الله ولأبيه محمد ولكن الزبيدي نسبته هكذا (محمد

ابن الوليد بن ولاد) وتقدم له أن الولاد هو الوليد وعند ابن خير ٣٨٦

و ٣٥٤ (... الوليد بن ولاد) وأخرى ما يوم أن الوليد هو الولاد ،
(١ / ٢٠١ : ٤) .

٦٤ : ١ سنة ٣٠٢ . الذي في أصل الزبيدي بخط ابن هشام اللخمي
أحمد بن علي سنة ٦٥٨ هـ (سنة ٣٣٢ هـ) وقوله ساداً في أصل الزبيدي
أستاذاً ، (٢ / ٢٠٢ : ١ و ٢) .

٦٤ : ٨ الصواب : (وقال ليس في كلام) عن الزبيدي وترى هذا
المجلس مع شرح المسألة في الأشباه ٣ : ٩٢ و ١٤٨ مع مسائل أخرى جرت
بينها عن سفر السعادة للعلم السخاوي إلى ص ١٧١ .
٦٤ : ١٠ الصواب : وإنما تنقله .

٦٤ : ١٣ زد في مؤلفاته كتاب النقائض له ، (٥ / ٢٠٣ : ٤) .

٦٤ : ١٤ لترجمته الأنساب والبغية ، (٦ / ٢٠٣ : ٤) .

٦٤ : ١٧ الصواب : (فاق فضلاء) كما فيها ، (١ / ٢٠٥ : ٤) .

٦٥ : ١٧ أبو تراب هذا ذكره النديم ٨٤ ، (٥٢ / ٢٠٨ : ٤) .

٦٦ : ٤ الصواب : بالحيرثي المنسوب إلى الحرّم حيرثي بالكسر
انظر الزهراء ٦٣ الريعان ١٣٤٦ .

٦٦ : ٦ الصواب : وجدت عنه .

٦٦ : ١٨ البغية : فإذا تكلم ، الأنساب : ولكن إذا ، (٦ / ٢١٠ : ٤) .

٦٧ : ٧ ترجم له ابن القَرَظي ١١٨ والضبي ٣٢٧ والمطمع الجواب ٥١

واليقيمة ١ : ٣٦٠ والوفيات رقم ٤٤ والنفع مصر ٢ : ٢٦٦ و ٣٢٢ .

٤ : ٢١٧ . والصواب حدير لا غير ككيت كذا ضبطوه .

٦٧ : ٩ (سنة ٣٤٨) صوابه ٣٢٨ هـ .

٦٧ : ١٤ قول إصاحب مثله في رسالة أبي علي بن الربيب التميمي

كتب بها إلى أبي المغيرة بن حزم في النفع ٢ : ١٢٦ .

٦٧ : ١٧ الصواب : للحكم بن عبد الرحمن وهو المستنصر بن الناصر ،
(٤ : ٢١٥ / ٥) .

٦٨ : ٨ الصواب : حتى رثي ، (٤ : ٢١٦ / ٤) .

٦٨ : ١٣ الصواب : في كبدي ، (٤ : ٢١٦ / ١٣) .

٦٩ : ١٣ الآيات ٦ في الطمع والضي ، (٤ : ٢١٨ / ١٢) .

٦٩ : ١٦ الصواب : ذو النَسَبَيْنِ يَنْ دَحْيَةَ . راجع لترجمته النفع

٢٦٨ : ١ وحسن المحاضرة ١٢٩٩ هـ ١ : ٢٠١ و امرأة الزمات ٤٦٢ : ٨

سنة ٦٣٣ وتوفي سنة ٦٣٣ هـ وأما سنده للعقد فإن ابن خير رواه عن ابن

معمر الخ ص ٣٢٧ فهرسته ، (٤ : ٢١٩ / ٤) .

٧٠ : ١٧ الصواب : في التَّحَفِ والهدايا والتَّحَفِ والفكاهات والمُلَحِّ .

٧١ : ٥ الصواب : أقطع يوم . وهذه الآيات في اليتيمة ٣٥٧ : ١

لحبيب بن أحمد الأندلسي ، (٤ : ٢٢١ / ١١) .

٧١ : ٩ المطمع : أبا الوليد بن عباد وعنه النفع : الوليد بن عقال .

وقوله (قال) لم يتقدم مرجع الضمير وهو صاحب المطمع . والآيات القافية

منسوبة في اليتيمة ١ : ٣٦٤ لمبد الملك بن سعيد المرادي ولا بن عبد ربه

في شرح مقصورة حازم ١ : ١٨٣ ، (٤ : ٢٢٢ / ٤) .

٧١ : ١٤ الصواب : من الحياء ، (٤ : ٢٢٢ / ١٢) .

٧٢ : ٩ لانتحاس أصل الزبيدي ص ١٤٩ الوفيات رقم ٣٨ التزهة ٣٦٣

البغية ١٥٩ ، (٤ : ٢٢٤ / ٧) .

٧٢ : ١٢ وثبت على نسخته شرح السبع له في أحمد الثالث أنه توفي

سنة ٣٣٨ هـ ، (٤ : ٢٢٥ / ٢) .

٧٢ : ١٦ الصواب : وحدثني : وهذا الحديث عن الزبيدي ويوجد في

- النفح ١ : ٢٣٢ والضي والآيات لم أجدها في الأغاني ولا في ديوان المجنون
رواية الوالي تبريز ١٢٧٣ هـ ، (٤ : ٢٢٦ / ٦) .
- ٦ : ٧٣ الصواب : (قيل لي أين أنت من أبي العباس) عن الزبيدي
والنفح ، (٤ : ٢٢٧ / ٩) .
- ٧ : ٧٣ الصواب : فأخرجه إلي .
- ٩ : ٧٣ الصواب : التقدير وهو الإقتار .
- ١٠ : ٧٣ الصواب : شراء حوائجه ، (٤ : ٢٢٨ / ٣) .
- ١٥ : ٧٤ في نسخ الفهرست ١٣١ حماوه وحماده أيضا ، (٤ : ٢٣٠ / ١٠) .
- ١ : ٧٥ عنه البنية ١٦٠ .
- ٩ : ٧٥ ابن الفرضي ١٩٢ ونكت المميان ١١٤ .
- ١٤ : ٧٥ المروزي هذا كان مرسوماً بتأديب المتقي وكان له عند الرازي
جاء ومكانة ذكره الصولي في أخبار الرازي ٨ وغيرها ترجم له الخطيب ٢٥٦٩
قال وذكر ابن الثلاثج إنه توفي سنة ٣٤٢ هـ ، (٤ : ٢٣٣ / ١١) .
- ٢ : ٧٦ علي بن أحمد . كذا وتقدم أحمد بن محمد ، (٤ : ٢٣٣ / ١١) .
- ١١ : ٧٦ الصبي ٣٢٩ و ٣٢٨ والتاريخي غير الرعيني .
- ١٤ : ٧٦ الصواب : ذكره ابن خزم ، (٤ : ٢٣٥ / ٣) .
- ١٥ : ٧٦ الضي ٣٣٠ ابن الفرضي ١٣٥ رسالة ابن خزم في النفح ٢ : ١٣٣
- ٩ : ٧٧ قرَّح بالحاء المهملة الساكنة لا غير النفح ١ : ٤٢٢ وترجمة
أبي عمر في المطمح ٧٩ ، (٤ : ٢٣٦ / ١١) .
- ١٠ : ٧٧ الصواب : أبو عمر ، (٤ : ٢٣٦ / ١٢) .
- ١٥ : ٧٧ الصواب : تكرر . و (لأبي بكر) كذا عند غيره أيضا
ولا أستبعد (كأي بكر) ، (٤ : ٢٣٧ / ٦) .

- ٧٨ : ٥ مختصر ابن عساكر ٢ : ٥٢ وعنده (... بن أحمد بن محمد
 ابن سعيد بن أبي مرزوق) وذكر له مؤلفاً سماء قشقش الأفهام ، (٧ / ٢٣٨ : ٤) .
 ٧٨ : ١٣ ترجمته في المنتظم ج ٧ ص ٢٦٠ الخطيب ٢٤٧٠ ، (٤ : ٢٣٩ / ٥) .
 ٧٨ : ٢٠ أبو اليمن بالضم زيد بن الحسن الحافظ ترجمته في البنية ٢٤٩
 ومرتبة الزمان ٨ : ٣٧٧ سنة ٦١٣ هـ ، (٤ : ٢٤٠ / ٧) .
 ٧٩ : ١ في الكلام سقط سداه من الكتاين : كتي بعشرة آلاف
 درهم وجاريتي بعشرة آلاف درهم وسلاحي بعشرة آلاف درهم ودوابي الخ ،
 (٤ : ٢٤٠ / ١٠) .
 ٧٩ : ٤ أغفل عنه أبو نعيم في أخبار أصبهان وذكره ابن عساكر
 ١ : ٤٤٤ وابن الجزري في القراء ٦٤٤ والصواب ... بن الحسن بن سعيد ،
 (٤ : ٢٤١ / ١) .
 ٧٩ : ١٣ ترجم له ابن الفرضي ١٣٦ والزيدي ص ٢٠٦ ، (٤ : ٢٤٢ / ٤) .
 ٧٩ : ١٨ الصواب : محمد بن الحسن وإن كان عند ابن الفرضي غير
 محلى بال ، (٤ : ٢٤٢ / ١٢) .
 ٨٠ : ١٢ النديم ١٤٠ وكناه أبا كبير ، (٤ : ٢٤٤ / ٤) .
 ٨١ : ٦ الباغ الحديقة بالفارسية والنسخ الأخرى من تغير النسخ ،
 (٤ : ٢٤٥ / ١٢) .
 ٨١ : ١١ الصواب : سوى السحر كما في التيمة والقوات .
 ٨١ : ١٣ من ولد زيد الخ بن السبكي في الشافية ٢ : ٢١٨ ولم يثبت
 ذلك اه والظاهر أنه منسوب إلى جدّه الخطّاب وبخط الصاغاني في مقدمة
 عباة نسخة الدار (لغة ١٤١) في نسبة حمّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب بن
 طهّان بن عبد الرحمن بن أثبّوني بن هزار بندة . كأنه عجمي الأصل

وكذا سماه سحداً ابن خير ١٩٠ و ٢٠١ والوفيات رقم ١٩٣ ج ١ : ١٦٦
والشذرات سنة ٣٨٨ هـ والخزانة ١ : ٢٨٢ والشافية والبغية ٢٣٩ والمتنظم
وسماه أحمد السمعاني ٢٠٢ ب وتذكرة الذهبي ٣ : ٢٠٩ قال ووم الثعالي
في اليتيمة حيث سماه حمدا قلت وسيأتي لياقوت أن الثعالي سماه أحمد كما
في طبعة دمشق ٤ : ٢٣١ وعنه الشافية والجلية ماسيأتي غير أن الذهبي
لم يقف عليها ، (٤ : ٢٤٦ / ٩) .

٨٢ : ٩ الصواب : وكانا معاصريه .

٨٣ : ٧ الصواب : لابن خزيمة ، (٤ : ٢٥٣ / ٤) .

٨٤ : ٧ الصواب : الريحاني إذنا ، (٤ : ٢٥٥ / ٣) .

٨٤ : ١١ الصواب : زهته الريح ، (٤ : ٢٥٥ / ٨) .

٨٥ : ٣ الصواب : اعتماد ذوي الفضل . .

(يتبع)

عبد العزيز الميمني



ابن الرومي

شاعر لم ينصفه التاريخ

لم أجد في تاريخ الأدب العربي ولا فيما اطلعت عليه من تاريخ آداب الأمم الأخرى شاعراً اصطلحت عليه الأيام ، وظلمته الأحداث ، كهذا الشاعر الذي اجتمعت الآراء الأدبية المنصفة على أنه من أكبر شعراء العرب ، بل على أنه من أعظم شعراء الدنيا .

كان في حياته مضرب المثل في الفقر وسوء الطالع واضطراب الأعصاب وثورة النفس حتى لم يكن يستطيع تحمل النسمة الفاترة أو الكلمة العابرة ، فهو متوتر النفس دائماً ، يشور كالأطفال ، وتقلي عواطفه غلياناً شديداً يثورق جفنه ويعذب ضميره ، حتى يقول من الشعر ما يتخفف من ألمه ، فتثور الدنيا عليه ويأتمر به الناس عن أصابهم هذا الشعر الجارح ، فيصبح ثانية غرضاً للأذى ورميةً للسهام للمسومة من أعداء لا يرحمون ومنافسين لا يهدأون .

تلك كانت حياة هذا الشاعر العجيب الذي ملأ الدنيا شعراً وشعوراً ، وخلف لنا من التراث الفني ما لا يقوم بمثله عدد كبير من الشعراء .

لقد أتاه الظلم من جميع النواحي فلم يستطع الدفاع ، وغزاه الإجحاف من كل فج حتى ضاع صوابه وهارت أعصابه ، وأنسى لقرينته الفياضة أن تقوم بكل هذا الباء ، وهل يستطيع مقول واحد مقاومة هذا السيل من الناس وكلهم يجب أن يؤذيه إما تشفياً وإما تسلياً ، والرجل الشاعر

القنان ، المرفف الحس ، حائر بين هذه المصائب المتدافعة يحاول أن يرد الأذى عنه فما يقدر ، حتى أصابه أحد هذه السهام « بنخشكنانة » (١) مسمومة فارق فيها الحياة فأراح واستراح .

ولعلك تعجب أشد العجب حين ترى هذا التناقض التاريخي في النظر إلى هذا الشاعر الكبير ، بل يأخذك الاستغراب إذ تعلم أن القدماء شغلوا بهذا الشاعر حتى ملأ عليهم الوقت والتفكير ، ولكن هؤلاء القدماء أنفسهم ، أهملوا ابن الرومي إهمالاً لا مبرر له فلم يكتبوا تاريخه ، ولم يدونوا أحداث حياته ، ولم يترضوا لسيرته إلا في روايات قليلة لا غنيان فيها ولا فائدة ، ومع هذا فإن الشاعر في رأي الكثيرين من مؤرخي أدب ذلك العصر وما تلاه من العصور لم يكن فكرة ولا مجهولاً ، بل كان ذا شهرة مستفيضة ، يروي الناس شعره ويستشهد به النقاد والأدباء بل لقد ذكر صاحب العمدة أنه ، أي الشاعر (كان في من غطوا على الشعراء بشهرتهم) .

أهل المؤرخون تاريخ هذا الشاعر عن قصد ونية ، وكانوا يضعون الكتاب يذكرون فيه كل الشعراء المعاصرين لابن الرومي ، حتى إذا مر ذكر الشاعر وجاء دوره ، ذكروا اسمه فقط أو بنية صغيرة عنه ، ثم تجاوزوه إلى غيره بسرعة لا ريث فيها مما يترك قارئ هذه الأيام في حيرة لا مخرج منها ، وشك لا كاشف له .

وهذا أبو الفرج الأصفهاني الذي وضع أكبر موسوعة أدبية في عصره يذكر البحري ويترك ابن الرومي وهما معاصران ؛ وهذا ياقوت الحموي في معجم الأدباء لا يذكر ابن الرومي ولكنه يترجم للكثيرين من معاصري الشاعر وأساتذته وتلامذته وممدوحيه ومهجوويه .

(١) الخشكنانة نوع من القطير يشبه « الكاتو » اليوم ، والكلمة فارسية الأصل .

كل ما ذكره أولئك المؤرخون الأعلام عن ابن الرومي أنه : (ولد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة ٢٢١ يفسد في الموضع المعروف بالعقبة ودرب الختية في دار يازاء قصر عيسى بن جعفر ابن المنصور) ، وهذا ما نقلناه عن ابن خلكان ، وما كتبه غير هذا المؤرخ عن ابن الرومي ليس أكثر تفصيلاً ولا أوفر مادةً وعلماً .

ولعل من أكثر الكتاب في عصرنا الحديث اهتماماً بموضوع ابن الرومي المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وقد شاركه في إكبار الشاعر ، المازني وعبد الرحمن شكري ، إلا أن العقاد كان أكثرهم اهتماماً وأبعدهم أثراً في دراسة هذا الشاعر وإحياء ذكره وتعميقه إلى القراء من أبناء الجيل الجديد . ولقد ركّز العقاد دراسته لشعر ابن الرومي على نقطتين : أولاً أن الرجل لم يُنصف في تاريخ الأدب العربي ولم يُعط عمله الذي يستحقه ، وثانياً أن تفرّد ابن الرومي في طريقة شعرية خاصة ، وامتياز من غيره من الشعراء العرب ؛ إننا يرجعهم إلى أصله الرومي ، هذا الأصل الآري الذي يترك أثراً في سلالاته غير الأثر الذي نعرفه عند السلالات العربية السامية .

أما النقطة الأولى فالعقاد يتردد في تقرير رأيه فيها ثم يخرج من هذا التردد بفكرة جديدة غير واضحة ولا مستقرة ، فهو يقول مامضاً أن ابن الرومي لم يكن خاملاً في زمانه أو بعد زمانه ، ويحتج لرأيه هذا بأن ديوان الشاعر قد حفظ ولم يضيع منه شيء ؛ وهو يعتبر بقاء هذا الديوان وعدم ضياعه دليلاً على شهرته واهتمام الناس به وعرفاتهم لقدره معرفة تامة . ولكن ضياع الدواوين الشعرية العربية لم يكن إلا نتيجة للنكبات التي أصابت المكتبة العربية خلال النزوات التتارية من هولاكو وجنكيز وتيمورلنك ، وقد يكون حظ ديوان ابن الرومي أعظم من حظ صاحبه

فسلم من هذه النكبات كما سلم ديوان المتنبي والبحري وأبي تمام وغيرهم كثير ، وليس هذا الضياع دليلاً على إهمال شاعر كبشار أو دعبل وإن ضاع ديوانهما . وكذلك فإن ذكر هذا الشاعر في كثير من الكتب ، وحفظ مختاراته ، لا يمكن أن يُعد دليلاً على اهتمام الناس به ، لأن حفظ المختارات عمل يتناول حتى الشعراء المهملين حقاً ، أو الشعراء الذين تنحط مرتبتهم الفنية انحطاطاً كبيراً عن مرتبة ابن الرومي وأمثاله من الشعراء الأفاضل .

والذي أعتقد أنه من أهم أسباب إهمال هذا الشاعر ما ورد في ديوانه من إقذاع وأدب مكشوف تجنيه الناس من الأدباء نتيجة ضفط ديني أو أخلاقي ، ونحن حتى في عصرنا هذا نجد من الصعب السير أن يتعرض الأدباء لشرح الألفاظ النائية الصريحة التي لا تستطيع الكثرة الكاثرة من الناس احتمال قراءتها أو روايتها مكتوبة أو مطبوعة ، ولسنا بسبيل مناقشة هذا الرأي ، ولكن الواقع هو أن رأي غالبية الناس ما زال مستقراً على أن مثل هذه الألفاظ الصريحة لا يجوز نشرها على الناس عامة ، وإن جاز أن يطلع عليها أولو الاختصاص في سبيل هدف أدبي آخر .

إن هذه الألفاظ (المكشوفة) تعتبر في حد ذاتها خروجاً على المألوف وتحدياً لما هو معروف بين الناس من قواعد واصطلاحات خلقية واجتماعية ، وقد رأينا ما وقع لكتاب طه حسين (الشعر الجاهلي) ، وكتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) فهذا التفكير الجديد لم يجد فيه حتى المثقفون إلا خروجاً على التقاليد والأعراف والمعادن ، ثم من ناحية الألفاظ النائية نذكر كتاب (المختار من شعر بشار) للخالدين ، فقد طبع هذا الكتاب مرة منذ سنين ثم أعيدت طبعته منقحة بعد أن حُذف منها كل ما يشير إلى الصراحة والتبذل والجرح ، وكذلك كتاب (أخبار أبي نواس) الذي طبع منه الجزء الأول ثم فقد ، ولم يُعَد طبعه حتى الآن .

أما ما زاه من التسامح في طباعة بعض الكتب الصريحة كالأغاني وبقيمة الدهر فهو لا يقوم تقضاً لرأينا في أن هذه الألفاظ كانت وتكون دائماً سبباً من أسباب عدم الاهتمام بالشاعر أو الكاتب ، وانصراف الناس عنها تجنباً لسخط الطبقة المحافظة وغضبها .

يضاف إلى ما أسلفنا أن (الحق الشخصي) الذي أشار إليه الأستاذ العقاد والذي عزاه إلى أبي الفرج الأصفهاني واعتبره سبباً من أسباب عدم إدراج الشاعر في كتابه ، إن هذا الحق لا يصح اعتباره سبباً من أسباب الإهمال ، وإلا فكيف تفسر إهمال بقية المؤرخين لهذا الشاعر؟ وهل يمكن أن تتصور أن هنالك حقاً عاماً على هذا الشاعر ؟ قد يمكن ذلك إذا رجعنا إلى الفكرة التي سبق شرحها وهي أن (بذاة) الشاعر قد حجبت عنه أقلام المؤرخين حتى تجنبوا الخوض في ذكره والإتيان على شرح حياته وشعره . إذا كان هناك إهمال فليس له سبب زاه غير هذه الألفاظ التي جاءت على لسان الشاعر نتيجة لثوراته واضطراب أعصابه وهوسه ؛ ولقد وصلت به الحال إلى تشاؤم أبده عن الناس ، وجعله في عزلة عن كل معارفه وأصحابه ، حتى تسلط الأولاد عليه فراحوا يداعبونه مداعبة خشنة قاسية كانت تثير فيه الغضب الكاسح والسباب الجارح ، فانصرف الناس عن مزايه الفنية ، ولم يروا عنده إلا هذه الشتائم المتطرفة التي يندى لها الجبين . وربما جاز لنا أن نخالف هذا الرأي كلية فنقول : إن هنالك مؤرخين تعرضوا للذكر ابن الرومي دراسةً وتفصيلاً ، ولكن كتبهم ذهبت في النكبات المتعاقبة ؛ وقد قيل إن ما بقي من الكتب العربية لا يحسب شيئاً بالقياس إلى ما ذهب منها ؛ فإذا صدقنا هذا الرأي أصبح من السهل لدينا أن نتق عن تاريخ ابن الرومي الإهمال كله لنقول بأن حظه السيء قد أزال من عالم الأدب الكتب التي تعرضت لذكره وعثيت بأمره .

والنقطة الثانية التي شغلت العقاد في دراسته لشعر ابن الرومي هي هذه (الرومية) التي جعلها مصدراً لنموغ الشاعر في «التصوير» و«التجسيد» للمراثيات التي كانت تقع عليها عينه ؛ ولكن هذه «الرومية» ليست في نظرنا إلا «نظرية» ما زال محتاجة إلى «الإثبات» قبل أن تصبح حقيقة ملموسة مقررة ؛ ولقد شارك العقاد في هذا الرأي كثيرون من مؤرخي الأدب العربي من مثل سليمان البستاني فوصل ما بين شاعرنا وهوميروس بسبب من القرابة الفنية والتماثل في الأسلوب والمعاني والتشبيهات ، ورأى بطرس البستاني أيضاً هذا الرأي في كتابه «أدباء العرب» ، فعزا عبقرية ابن الرومي إلى أصله «الأعجمي» وهو يشير إلى أصله اليوناني ، وخالف العقاد بعض الأدباء أيضاً من مثل الأستاذ أنيس المقدسي والدكتور عمر فروخ ؛ ومعنى هذا أن هذه الفكرة (الرومية) قد أوجدت خلافاً أدبياً وتقاشاً علمياً حول مسألة لا يمكن البت بها ، ولا تقرير شيء فيها .

فلبن الرومي كان أبوه يونانياً ، وهذا ما أثبتته جميع المؤرخين ؛ ولكنه من جهة ثانية يرجع إلى أصل فارسي من جهة أمه ؛ وما نشك نحن ولا علماء الوراثة في أن الأب والأم يشتركان في توريث الابن خصائصها ، بل ربما كان نصيب الأم في الوراثة أقوى وأشد ، إذا نظرنا إلى التجارب والمشاهدات ، فكيف قصرنا أثر هذه الوراثة عند ابن الرومي على أبيه ، وأهملنا ذكر أمه الفارسية ؟ هذا سؤال يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى ، لأن العقاد والقائلين برأيه يحددون نسب الشاعر فيجعلونه يونانياً ويقولون إن الأثر التصويري الذي انتقل إليه جاء من اليونان أهل أبيه ؛ وكان على أصحاب هذا الرأي أن يلتفتوا إلى أصله من جهة أمه قلعل للفرس نصيباً في هذا الشاعر الذي اختلف الناس في تحليل طريقته الشعرية .

إن الأسباب التي دعت إلى تقرد ابن الرومي في صفات لا تشبه صفات الشعراء الآخرين في عصره أو في العصور الأخرى يمكن إعادتها إلى ثلاثة أمور أو أربعة :

أولها : أن ابن الرومي ، رغم نبوغه الفني كان مريضاً ، يعتمد عن الناس ، والناس يتمسكون عنه بما جعل الاهتمام منحصراً في شعره فقط تحفظ بعض هذا الشعر واختير للمناسبات والاستشهادات وأعجب الناس به رغم كرههم لشخص ناظمه ومنشئه .

وثانيها : أن البذاءة التي انتظمت الجزء الكبير من هذا الشعر حجت عن الديوان الرائع كثيراً من السيون التي يجب أصحابها المحافظة على الأخلاق والاصطلاح العام ويأفقون من قراءة الأدب المكشوف والكلام على عورات الناس وعيوبهم .

وثالثها : أن ابن الرومي هجا شخصيات كثيرة لها أثرها ووزنها في عالم تلك الأيام ، فقد تناول في هجائه عدداً من الوزراء والكتاب والقواد والأغنياء والوجهاء ، وهؤلاء كانوا مرجعاً للشعراء والأدباء ، كما كانوا مصدراً لرزقهم ، ومورداً لعيشهم ، لذلك اضطر أولئك إلى تجنب الحديث عن ابن الرومي مداراةً لأصحاب النفوذ وتجنباً لغضب من يديم الحل والعقد .

يضاف إلى الأسباب التي مرت سبب رابع هو عندي أهمها جميعاً ، وأعني به هذا التعقيد الذي يرين على شعر ابن الرومي ، وهذا التوليد في المعاني الذي يجعل هذه المعاني متراكبة متشابكة يتم قارئها ويمجد في فك رموزها وطلاسمها عنتاً كبيراً ، فشعر ابن الرومي صعب على الحفظ ، لأن ابن الرومي من شعراء المعاني لا شعراء الديباجة والأسلوب ؛ وشعراء الأسلوب الرائع والديباجة السهلة هم أكثر الشعراء قراءة وحفاظاً ، فانت تحفظ شعر شوقي والبحري في يسر وسهولة ، ولكنك تجد شيئاً من الصعوبة

حين تحفظ شعر أبي العلاء وأبي تمام ، لأن الكلمة عند شوقي تستدعي الكلمة التي بعدها للقراءة القريبة بينها ، ولأن شوقي والبحري يههما قبل كل شيء الموسيقى والتناسق والانسجام في النغمة بين ألفاظ البيت الواحد ، ولو أدنى هذا القصد إلى السطحية أحياناً ؛ أما أبو تمام مثلاً فاهتمامه منصب على إيجاد المعاني الجديدة والصور الطريفة فهو مشغول الذهن بهذه الناحية ، منصرف عن اللفظ إلى الفكرة ، وهو يضع الكلمة في البيت الواحد كيفما اتفق ، بشرطة أن تؤدي المعنى الذي يرمي إليه ، لذلك فإن الكثير من ألفاظه يخرج نائياً على السمع ناشراً عن الأذن لفقدان النغم بين الكلمات المتجاورة والألفاظ المتقاربة . وابن الرومي من شعراء الفكرة والصورة - أما الموسيقى عنده فتأتي بعد هذا كله ، ولهذا فإن حفظ شعره كان صعباً على الحفاظ ورواد الأدب وأصحاب الميل الفني ، ولهذا أيضاً كان شعره أبعد عن الاهتمام به من شعر زميله ومناصره البحري ؛ فإذا قدرت أيضاً هذا الشرح والتطوير والتعميد الذي تراه في شعر الشاعر استطعت فهم سبب هام من أسباب زهد الناس في دراسة شعر ابن الرومي وشرحه .

وخلاصة البحث أن الناقد في هذا الزمن ، وبعد أن مر على ابن الرومي أكثر من عشرة قرون ، يجد صعوبة بالغة في تقرير حقيقة تتعلق بشخصه وأدبه ؛ ومن الخير للأديب وللأدب أن لا يرسل الناقد آراءه إرسالاً ، وأن لا يجعل منها أحكاماً لا تقبل المناقشة ، فإن طبيعة الرأي الأدبي تجعله شيئاً قابلاً للأخذ والرد ، وإن كل رأي أدبي معرض للخطأ مادام هذا الرأي مبنياً على التخمين والتقدير .

أحمد الجندي



مدرسة سالرنو الطبية

- ٣ -

التخدير فن عربي انتقل إلى مدرسة سالرنو

للعرب على علم الطب فضل كبير في غاية الأهمية وهو استخدام المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية (١) .

وكان التخدير العربي فريداً في نوعه صادقا في مفعوله رحباً بمن يتناوله ؛ وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجيرون مرضاهم على تناولها كما أرادوا تخفيف آلامهم . وينسب بعضهم هذا الكشف العلمي إلى طبيب إيطالي أولاً وإلى بعض الاسكتلنديين ثانياً ، في حين أن الحقيقة تقول والتأريخ يشهد أن فن استعمال الاسفنجية المخدرة فن عربي لم يعرف قبلهم (٢) .

كانت توضع الاسفنجية المخدرة في عصير من الحشيش والأفيون والزؤان والبنج (هيوسياموس) ، ثم تحفظ في الشمس وتحفظ وتبلل الاسفنجية قليل استعمالها للتخدير (٣) ، ثم توضع فوق الأنف والفم فتمتص أنسجة المريض المخاطية المواد المخدرة فيركن المريض إلى نوم عميق يقيه أوجاع العملية الجراحية .

(١) راجع حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب (زغرد هونكه) ص ٢٧٩ وص ٢٨٠ .

(٣) راجع مقدمة في تاريخ الطب العربي للدكتور التيجاني اللامي ص ١٤٠ .

وقد ورد ذكر الاسفنجة المنومة في المصادر الأوربية في القرن التاسع وما بعده (١) ؛ وكان يصحب استعمال الاسفنجة بعض الأحيان شرب مزيج أساسه [(المندرغورة) (٢)] ، ويحتوي كذلك على الأفيون وعصير الشوكران والتوت .
وأما التخدير الموضعي فكان يستعمل عليه بضادة تقمس في محلول شبيه بالمزيج المخدر الذي ذكرناه والذي يؤخذ بطريق الفم فتوضع الضادة على المكان المراد تخديره موضعياً . وكان المريض يوقظ بتشميمه عصير الشمر .

لقد دخل فن التخدير أوربة بطرق كثيرة مختلفة منها (مدرسة سالرنو) ؛ وظل معمولاً به حتى القرن الثامن عشر حين كشف عن التخدير بالاستنشاق عام ١٨٤٤ ، فانتهى التخدير الأول وغمره النسيان ؛ أما نحن فما علينا إلا أن نعطي كل ذي حق حقه فترجع فضل اكتشاف التخدير العام (بالاسفنجة) بطريق الفم والأقف إلى العرب « والفضل للمتقدم » .

التشريع في سالرنو :

كان تشريع الجثث محرماً في أوربة بأسرها وفي عام ١٢٣٨ أمر فردريك الثاني (الامبراطور) بأن تشرح جثة مرة كل خمس سنوات في مدرسة سالرنو ، وظل تشريع الجثث يجري بانتظام في إيطاليا بعد عام ١٢٧٥ م (٣) .
وفي عام ١٢٨٦ فتح طيب في كرمونا جثة ليدرس عليها سبب وباء انتشر في ذلك الوقت فكان هذا أول تشريع لجثة بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة ؛ وقد رخص في سالرنو بتشريع الموتى من أسباب جنائية في البداية ، ثم سمح بتشريع جثث المحكوم عليهم بالإعدام بين الحين والحين وعلى رؤوس الأشهاد .

(١) راجع قصة الحضارة (ول ديورانت) ص ١٩٥ الجزء السادس من المجلد الرابع .

(٢) المندرغورة هي اليـَـرُوح ويسمى الأثـَـاح ، وهو نبات عشبي معمر سام طلي من النسيبة الباذنجانية (انظر Mandragore في معجم الألفاظ الزراعية) .

(٣) راجع كتاب قصة الحضارة . الجزء السادس . المجلد الرابع الصفحة ١٩٣ .

إن الكتاب الأول في علم التشريح لمدرسة سالرنو المسمى تشريح الخنزير^(١) *Anatomia Porci* والمنسوب على غير أسام أكيد إلى من يدعى كوفوني *Anatomia cophoni* هو كتاب يرجع بلا شك إلى السنوات الأولى من القرن الثاني عشر م . وهو يفتح التشريح التجريبي الجديد الذي أجري على جسم الحيوان حقاً (وهو الخنزير في هذه الحالة) ، ومن ثم يسلك طريقاً لم يسلكه العرب من قبل . ولكن الآثار العميقة للعرب توجد هنا في دائرة المصطلحات . وفي الكتاب الثاني في التشريح^(٢) لمدرسة سالرنو أيضاً وهو العرض التشريحي لجسم الإنسان الذي صنف بعد ذلك لا نجد هذه الآثار العربية فحسب بل نجد أيضاً قطعاً من كتاب *Pantegni* لقسطنطين .

والكتاب الثالث في التشريح لمدرسة سالرنو وهو كتاب *Magister Marcns* المتوفى عام (١٢١٤ م) والذي صنف مع ذلك كتباً كثيرة أصيلة هو كتاب قسطنطيني أيضاً أي أنه كان عربياً في مادته الطبية مع إظهار استقلال أعظم من ذي قبل .

وقد نشرت نصوص كتب التشريح لمدرسة سالرنو (في جانب منها) في طبعة نقدية أخرجها *George W. corner* بعنوان : *Anatomical Textes of the carlier Middles—ages Washington 1927 .*

الترجمة والتراجمة في سالرنو

نظرة إجمالية في الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرون الوسطى :

عندما وصل الطب والعلم الإسلاميين بحجة الوقوف حوالى عام (١١٠٠ م) أخذوا ينتقلان ممأ إلى أوربة بتراجم لاتينية . لقد وصف شارلس سنكر

(١) راجع كتاب قصة الطب تأليف (جوزيف جارلند) ترجمة سعيد عبد م ص ٧٣ .

(٢) راجع كتاب العلوم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٤ و ٤٣٥ .

Charles singer بدقة الطب الرهباني في خلال ذلك العصر في كتابه (موجز تاريخ الطب) قال :

« لقد قضي القضاء المبرم على علمي التشريح والفسولوجيا ، وتحول التشخيص الطبي إلى جس باليد سخيّف جداً - إن وجد - وصار علم النبات عبارة عن قائمة أدوية ، وتسليت أعمال السحر والشعوذة ، وأسفّ الطب إلى مجموعة من الوصفات تتأرجح بين الدجل والرقى ، ذلك لأن الجدول العلمي كان دم حياته قد نضب إلى آخر قطرة ؛ وبقيت زاوية واحدة في أورية حافظة لثراث الطب الاغريقي وهي (سالرنو) القريبة من نابولي ، بهذه المدينة مرّ الغامر التونسي المنتصر (قسطنطين الإفريقي) قبل أن يترهب في الدير الشهير المسمى بدير (مونت كاسينو) في كامبانيا بسنوات ؛ وفيها شرع بالترجمة حوالى عام (١٠٧٠ م) إلى أن وافاه الأجل ^(١) سنة ١٠٨٧ م ، وسنفرد له بحثاً خاصاً يلي بحثنا هذا .

لقد سقطت طليطلة في عام ١٠٨٥ م وهي أعظم مركز للثقافة الإسلامية في الغرب بأيدي الإسبان المسيحيين ، وصار تلاميذ اللاتين يفدون إلى العاصمة الجديدة ليظهروا إعجابهم بما يرون من بقايا حضارة العرب ، ولكي يدرسوا الفنون انعريية Artes arabum وكان الوسط الناقل للدراسة ثم الترجمة بعدئذ هم اليهود المتقلون المتوطنون والاسبان الذين كانوا خاضعين للحكم الإسلامي (المستعربة) (Mozarabe) ولقد رسم شارلس ودروثيا سنكر في مجلد آخر من هذه السلسلة صورة حية لهذا التعاون الذي يقدم لنا فكرة واضحة عن الامتزاج العلمي العجيب .

(١) راجع كتاب تراث الإسلام ج ١ ص ٢١١ و ص ٢١٢ و ص ٢١٣ ،

وكان أول شخصية علمية أوربية جاءت إلى طليطلة هي أديلارد البائي الرياضي الانجليزي والفيلسوف ، ودانيال مورلي (١) وروجر أوف هيرفورد واسكندر نكوام ، وكانت رسالة أديلارد البائي في المسائل الطبيعية أول مؤلف علمي أنتجته أوربة الغربية في القرون الوسطى .

وكان يوجد يهودي إسباني متصراً اسمه بطرس الفونسي Petrus alphonsi ذهب إلى انكلترا وصار طبيباً لهزي الأول ونشر علوم المسلمين هناك لأول مرة .

إن الحياة العلمية التي اتعمشت في طليطلة خلال القرن الثاني عشر تذكرنا من طرق شتى بفترة الترجمة في بغداد التي حدثت قبلها بثلاثة قرون . فمثلاً أنشأ الخليفة المأمون (بيت الحكمة) كذلك أسس ريموند رئيس الأساقفة مدرسة للترجمة بإشراف رئيس الشمامسة (الارخدياقون) (دومنيكو كنديسالني) وقد دام ازدهار هذه المدرسة في طليطلة حتى القرن الثالث عشر . إن الدور الذي لعبه العلماء انسيحيون والصائبة والمسلمون بلغات عدة في بغداد لعبه في طليطلة اليهود الذين يعرفون اللغة العربية والعبرية وأحياناً اللاتينية . فقد ترجم اليهودي المتصرا بن داود الإشبيلي Avendeath كتباً كثيرة جداً في الرياضة والفلك والتنجيم من العربية إلى اللاتينية مثلما نقل ثابت بن قرة الصابي كتب اليونان إلى العربية . وعمل جيرار الكريغوني للثوب اللاتينية كما عمل حنين بن إسحق للعرب في ترجمة مؤلفسات الفلاسفة والرياضيين والأطباء والطبيين .

ولد جيرار في كرمونا من أعمال إيطاليا (سنة ١١١٤ م) ورحل إلى طليطلة للبحث عن كتاب المجسطي لبطليموس ثم ترجمه إلى اللاتينية سنة ١١٧٠ م .

(١) راجع اثر العرب في الحضارة الاوربية لجباب بغداد ص ٤١ و ص ٤٢ .

وما عثم أن أصبح أعظم وأشهر مترجمي العربية ؛ وقد ساعده في ذلك مواطنان مسيحيان ومواطن يهودي واحد . وقد أصدر في العشرين سنة التي سبقت وفاته عام (١١٨٧ م) حوالي ثمانين مترجماً بعضها نفيس للدرجة لا تقدر ففتح بذلك أبواب الكنوز الثقافية اليونانية والعربية على مصاريعها فضلاً عن أنه أنجى مثلاً لأتباعه الذين ساروا على نهجه واحتذوه فكان الأب الحقيقي للاستعراب في أوربة .

إننا مدينون لجيرار في حقل الطب بترجمات لمؤلفات أبقراط وجالينوس وجميع مترجمات وآثار الكندي تقريباً وقانون ابن سينا العظيم . وكتاب الجراحة الشهير لأبي القاسم الزهراوي .

لقد ترجم في علم الطبيعة من العربية عدة مؤلفات لأرسطو يدخل في عدادها كتاب الجواهر المنسوب إلى هذا الفيلسوف العظيم ، فضلاً عن مؤلفات الفارابي وإسحق الإسرائيلي وثابت بن قرة . كذلك أدى (مرقس اللاهوتي) الطليطلي الذي ربما كان الند الأصغر لجيرار خدمة كبيرة فترجم رسالة أبقراط (في الأهوية والمياه والبلدان) وكثيراً من مؤلفات جالينوس عن مترجمات حنين وحيش العربية .

وترجم روفينو Rufino وهو باحث من مدينة (السندريا) في إيطاليا - وإن عاش في مرسيه بإسبانيا - ترجم كتاب حنين الشهير (مسائل حنين) بعنوان (مسائل طبية) . وعمد إبراهيم الطرسوسي اليهودي إلى مساعدة سحمان الجنوي على ترجمة كتاب (التصريف) لأبي القاسم الزهراوي باسم Liber Servitoris ، وكتاب ابن سراييون في الأدوية المفردة ؛ وترجمت أقسام من آثار أبي القاسم بقلم المدعو بركنر البلنسي Beregnar وارنالد من فيلانوا الذي ترجم كتاب الأدوية القلبية لابن سينا .

سقطت صقلية نهائياً بيد النورمان عام (١٠٩١ م) بعد أن ظلت في قبضة الإسلام زهاء مئة وثلاثين سنة ، وبقيت المركز الحبيب لانتشار العلوم العربية وكانت اللغات التي يتكلم بها سكانها بلهجاتها الدارجة اليونانية والعربية واللاتينية ؛ وكان المثقفون فيها يتقنون الفصحى من هذه اللغات الثلاث . وكان ملوكها من روجر الأول حتى فردريك الثاني وماقرد وشارل الأول من أسرة أنجو يستقدمون العلماء إلى بالرمو مما كان دينهم ولسانهم . فشرع العلماء في بالرمو كما في طليطلة ينقلون من العربية واللاتينية واليونانية . وكانت أغلب هذه التراجم في الرياضة والفلك . هذا ولم تظهر في صقلية مترجمات طبية مهمة خلال القرن الثاني عشر ؛ ولكن نجد في القرن التالي أيام حكم شارل الأول (١٢٦٦ - ١٢٨٥ م) الترجمة اليهودي (فرجوت الجرجنتي) .

لقد ظهر في بالرمو يهودي آخر اسمه (موسى البارمي) درب على الترجمة اللاتينية بأمر من الملك شارل . ولا نعرف من آثاره إلا ترجمته لكتاب مشكوك في نسبته لابرقاط في أمراض الخيل . وترجم ميخائيل سكوت الاسكتلندي أحد ندماء الملك فردريك الثاني جميع كتب أرسطو في علمي الأحياء والحيوان من العربية والعبرية إلى اللاتينية نخص منها بالذكر (مختصر علم الحيوان) مع شروح ابن سينا عليه وقدمه للإمبراطور عام ١٢٣٢ م .

أما أثر الحروب الصليبية في نقل علوم المسلمين من القرب فانه كان من الضالة بدرجة يقف أمامها المرء مشدوهاً .

والكتاب المهم الذي ندين به لهذا الحدث التاريخي هو الكتاب الكامل أو (كامل الصناعة) لعللي بن العباس المجوسي ترجمه (اسطيفان اليزي) وهو من سكان يزا نال ثقافته في سالرنو وصقلية ثم رخل إلى إنطاكيا وفيها ترجمه عام ١١٢٧ م باسم Liber Regales وتعرض فيه لنقد الترجمة التي عملها قسطنطين الإفريقي للكتاب تقدماً مرأً كما سنرى .

لقد أنجزت بعض المترجمات اللاتينية في القسم الشمالي من إيطاليا نذكر على سبيل المثال (برغنديو اليزي) الذي أكمل ترجمة عشرة كتب عن جالينوس عن اليونانية رأساً حوالي سنة ١١٨٠ . وترجم (اكيوريوس) Accurius كتاب جالينوس في قوى الأطعمة de Vibilus Alimentorum عن ترجمة جيش العربية له حوالي سنة ١٢٠٠ م .

وترجم (بانا كوزا اليهودي المنصر) كتاب الكليات لابن رشد في بادوا سنة ١٢٥٥ م .

وقتل (بارفيسيوس) كتاب التيسير لابن زهر بمؤنة يعقوب اليهودي في البندقية سنة ١٢٨٠ م .

أما عن المترجمين الآخرين فلا نعرف شيئاً عن مواطنهم والزمان الذي عاشوا فيه (كداود هرمنيوس) David Herminus الذي ترجم كتاب علاج أمراض العين لعبار الموصلي .

حفل ذلك العصر كذلك بتراجم كثيرة لاتينية نجعل أسماء مترجميها منها ، رسائل لموسى بن ميمون وابن سينا وجابر والرازي وابن الهيثم ، وما يجدر التنويه به أن أغلب الترجمات الكهاوية نجعل أسماء مترجميها .

سارت عملية الترجمة سيراً حثيثاً حتى القرن السادس عشر ، وإتنا لنجد ذكر (أندريا الباكو البلوني) (توفي سنة ١٥٢٠) ضرورياً بوصفه أحد مشاهير مترجمي كتب ابن سينا (القانون Canon والنفس de Animia وتقدمة المعرفة) ؛ وترجم كذلك كتاب (السكنجيين) لابن سينا (والكناش) لابن سيرايون وآثاراً صغيرة لابن رشد ويوحنا بن سيرايون ومعجم الأطباء الذي كتبه ابن القفطي . وثم تراجم عديدة تعود إلى ما بعد ذلك التاريخ استخدمت بصورة واسعة في التدريس الجامعي على الأخص في فرنسا وشمالي إيطاليا .

وهكذا انتقلت مثات (١) من تراجم التراث العربي الاغريقي العلمي إلى تربة أوربية المجدبة ؛ وكانت النتيجة زخات من المطر الوابل أحيت تلك الأرض الموات . هذا وبعد القرن السادس عشر صار الطب والعلم وعلى الأخص في شمالي إيطاليا يعتمد عن العربية ليدنو أكثر فأكثر من الترجمة عن اليونانية مباشرة فحصل نزاع بين الاتجاهين العربي واليوناني ، واشتد الخصام بين أنصار الجهتين وإن لم يكن كبير فرق شتم بين الاثنين ، فالطب العربي استمدت بعض جذوره موادها العلمية من الطب اليوناني كما تعلم ، وقد بوشر طبع جميع الكتب اليونانية والعربية (العلمية والطبية) بعد اختراع فن الطباعة وأعيد طبعا مراراً عديدة وبرغبة مستمرة .

قسطنطين الإفريقي

أشهر تراجمة سالرنو

تقول دائرة المعارف (٢) البريطانية عنه إنه مغامر اشتهر في الطب ، وكان نصرانياً عربي القومية ، ولد في قرطاجنة (تونس) عام ١٠٢٠ م وقيل إنه دزس الطب في حواضر العالم الإسلامي . وبالحقيقة فإن قصة حياته منذ ولادته حتى عام ١٠٧٠ غامضة ، فقد ورد في رواية أخرى ذكرتها أيضاً دائرة المعارف البريطانية أنه نشأ وترعرع في صقلية ، واستدلت على ذلك باتقانه اللغة العربية التي كانت سائدة في صقلية ، (بجانب اليونانية واللاتينية) حتى القرن الحادي عشر ولمعرفته معرفة حسنة لليونانية واللاتينية كذلك .

(١) راجع كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ٣ ص ٣٠٤ .

لقد اشتهر قسطنطين بترجماته من العربية إلى اللاتينية تلك التي تمت بعد ١٠٢٠ ، حيث حط رحاله في سالرنو أولاً ثم التحق بدير للبندكتين في مونت كاسينو Monte Cassino ، وفي هدوء وسكينة ترجم معظم الكتب التي نسبت إليه ترجمتها ، والتي كانت السبب في شهرته التي لفت العالم آنذاك لفاً ؛ وقد وافاه الأجل عام ١٠٨٧ ، هذه خلاصة ماورد عن قسطنطين في دائرة المعارف البريطانية ؛ أما المصادر الأخرى فتذكر قصة حياته بشيء من التفصيل أكثر وتنسب سيرته إلى الأسطورة وليس إلى التاريخ .

قالت المستشرقة زيفرد هونكه (١) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب وأيدها في معظم ما سردته الدوميلي قالت : أبصر النور في عام ١٠٢٠ م طفل نجبل عنه الشيء الكثير ، أبصر النور في قرطاجنة (تونس) في نفس العام الذي ولد فيه (هيلديبراند) Hildebrand وهو الذي تربع على عرش البابوية باسم غريغوريوس السابع Gregor VII ؛ أما الاسم الحقيقي لهذا الطفل فتجن نجمله ، ولكن قيل إنه دخل المسيحية فيما بعد وسمي نفسه قسطنطين .

نما هذا الطفل حتى أصبح فتىً يافعاً وأمضى نصف عمره يرحل إلى أرجاء الأرض ويطوف بحواضر العالم .. وقد عمل بالتجارة وتاجر بالمقايير واحتك باللب العربي احتكاكاً مباشراً وسمع من أساطينه أكثر من مرة ، وها هو قسطنطين يلتقي في بغداد أولاً وفي حلب وانطاكية ثانية بابن بطلان وقد دخل هذا في خدمة أمير شيزر وهو جد أسامة الأول .

وكان ابن رضوان في القاهرة رئيس الطبابة فيها ، وكان سائراً على خطى أسلافه في علم التداوي والشفاء .

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩١ وما بعدها وراجع كذلك كتاب العلوم عند العرب للدوميلي ص ٤٢٨ وما بعدها .

وعندما بلغ قسطنطين الأربعين زار لأول مرة صقلية ، وكانت هذه الزيارة أول اتصال له بأرض الفرنجة ، واتصل بالقصر ، وكان هناك حديث طويل بينه وبين شقيق أمير سالرنو الذي كان طبيباً . . . تحدثا خلاله عن أشياء كثيرة ، وتطرقا إلى موضوع الطب والمقايير ، بل تناولوا هذا الموضوع بالذات قبل أية موضوعات أخرى ، وأي عجب في هذا وصاحبنا كان تاجر أدوية له من التاجر تفكيره وحسه وطرقه ، وكان محدثه طبيباً له من الطبيب تفكيره وطموحه وفضوله ! وحديثه قسطنطين عما سمعه من معجزات الطب العربي وصاحبه منعت إليه مرهف السمع ، ووعد محدثه (بعد أن عرف يصيرته الفارق الكبير بين الطب الإفرنجي والطب العربي) بأن يزودهم في سفراته القادمة بكنوز من الطب العربي إضافة إلى المقايير .

وعاد قسطنطين إلى مصر ليدرس الطب تدفقه رغبة ملحة جامحة . وبعد سنتين من الكفاح المتواصل والدرس والتحصيل عاد مرة ثانية إلى سالرنو وفي حوزته رزمة من الكتب ؛ وكانت سالرنو آنذاك في أيدي النورمنديين يحكمها الدوق روبرت جيسكارد Robert Guiskard .

وكان أول شيء قام به تعلمه للغة البلاد ومعارف علمائها ، ومن ثم أكب على العمل إكباباً كلياً يترجم المخطوطة تلو المخطوطة فتناقلها الأيدي باعجاب كبير .

كبر مقام قسطنطين ، وأصبح يشار إليه بالبنان ، واعتبر من أعظم العلماء الذين لم تر مثلهم سالرنو من قبل . لقد أراد قسطنطين أن يعتزل لينصرف إلى الترجمة بكلية فاعتكف في الدير البندكتي بمدينة موت كاسينو وانهمك تماماً في ترجمة ما تبقى معه من نفيس الكتب إلى اللاتينية مكلاً وسع جهده الثغرات التي سببها غرق بعض المخطوطات التي جلبها معه ، عند قدومه إلى سالرنو ، كما تقول الرواية . وقد وافاه الأجل ١٠٨٧ بعد أن عاش

سنتين اثنتين من بعد موت البابا غريغوريوس السابع الذي أطلق عليه أحد أصحابه الشيطان القديس Heiliger Satanas .

كانت اللغة اللاتينية التي كتب بها قسطنطين ترجمته ركيكة يصفها مايرهوف (١) بأنها لاتينية بربرية ؛ وقد استخدم تلميذه ألو (٢) Alto (٣) للوثوق من صحة ترجماته من وجهة النظر العلمية . وقد ظل العلماء طويلاً يفترضون أن من كتب قسطنطين ما هو أصيل ، وليس هذا بصحيح ، ولكن لما ساعد على هذا الرأي بلا ريب أنه يقدم كثيراً من كتبه دون التصريح بأنه ترجمة ؛ والكشف عن الأصول المريبة وحده هو الذي سمح بالوقوف على هذه الحقيقة ؛ فقد تعرضت شهرة قسطنطين للخطر في اللحظة التي قرر فيها في انطاكية الطبيب اللومباردي اسطيفان Stephan اليزاوي (الذي أوردنا ذكره سابقاً في إيجاز) أن ينقل بعضاً من كنوز العرب في الطب لشعوب أوربة المسيحية . تقول في هذه اللحظة دخلت شهرة قسطنطين في منطقة الخطر .

ابتداءً (٤) اسطيفان عام ١١٢٧ بنقل كتاب « كامل الصناعة » المعروف بالكتاب « الملكي » لهالي « Hali » أي (علي بن العباس) إلى اللاتينية ، وما إن نقل بعض صفحات منه حتى انتابه العجب وشعر بأنه أمام أشياء يعرفها من قبل . ترى ألم يقرأها من قبل ، ألم يمض من عمره سنوات ثلاثاً في درس أعمال الأستاذ قسطنطين في سالرنو ؟ ألم يسهر الليالي في درس ما جاء فيها وهو ما يراه في الكتاب العربي كاملاً منسقاً ؟ .

(١) راجع تراث الاسلام الجزء الأول ، بحث الترجمة .

(٢) راجع العلم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٢ .

(٣) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩٧ .

إذن ما نسب قسطنطين لنفسه لم يكن من بنات أفكاره بل كان تقيلاً عن عالم عربي ؛ وأيقن أنه أمام سارق كبير فشن هجوماً عنيفاً مقدعاً على مؤلف Liber Pantegni المزعوم .

وفي صقلية وجد المترجم ديمتريوس Demetrius في كتاب قسطنطين عن البصريات De oculis كتاب حنين في أمراض العين ، ووجد في مخطوطة قسطنطين الهامة Viaticum كتاب زاد المسافرين لابن الجزار . ووجد في كتبه عن علم الحمية والبول والحمى ترجمات بتصرف لمخطوطات اسحق الاسرائيلي . وأما جراحة قسطنطين فهي في الواقع من صنع علي بن العباس ، وكيميائه من صنع الرازي . ولم يكن هناك إلا بضع مخطوطات لأبقراط وجالينوس لم يعبث بها ، وكان قد أخذ معه إلى إيطاليا ترجماتها العربية بقلم حنين ابن اسحق وابن اخته حيش بين الأعم دون أن يغير من أسماء مؤلفيها اليونانيين ، على عكس ما فعل تماماً بالمخطوطات العربية ، إذ لم يكن من يعرف أسماء مؤلفيها في أوربة فكان أن نسب كل مخطوط عربي إلى نفسه وتجاهل اسم مؤلفه ؛ فعل ذلك خوفاً من أن يقطف ثمار عمله سارق آخر غريب على حد قوله ، وهو في عمله هذا كاللص الداهية الذي ينادي أمسكوا السارق في حين أنه هو السارق بالذات .

وفي الحقيقة فإن هذه الرقات لم يكن لها أهمية إلا عند نفر قليل من المثقفين ، لذا ظل اسمه على تلك المخطوطات ، إذ لم يكن الناس آنذاك شديدي الحرس والمحافظة على حقوق التأليف ؛ وكان له منافسون في السرقة لهم مركزهم العلمي والديني في زمنه . ألم يسبقه رئيس أساقفة سالفو الفانوس Alphanus إلى سرقة مخطوطة إغريقية ترجمها إلى اللاتينية ونسبها إلى نفسه ؟

ولكن مؤرخ الطب الفرنسي دارمبارغ Daremberg أبي إلا أن يقول كلمة شديدة اللبجة وعادلة في حق قسطنطين ، فقد وجه إليه انتقاداً مرأً لاذعاً لسرقاته ، ولكنه شعر في قرارة نفسه أن قسطنطين هذا يستحق التكريم لفضله العظيم بنقل آثار العرب إلى أوربة وفي إيقاظ علم الطب الأوربي من سكونه الذي كان يشبه الموت فكان أن اقترح إقامة نصب تذكاري له على قمة الجبال المشرقة على سالرنو .

الكتب التي ترجمها قسطنطين^(١) : ألحنا سابقاً إلى الكتب التي ترجمها

قسطنطين ونضيف أنه ترجم قسماً كبيراً من الكتاب الملكي لعلّي بن العباس ، وكتاب زاد المسافرين لابن الجزار ، وكتاب طب العيون لحنين بن اسحق ، وترجم كثيراً من كتب إسحق الإسرائيلي في البول والحليات والحمة عن الطعام والأدوية المفردة .

وترجم قسطنطين من العربية أيضاً كتباً كثيرة إغريقية الأصل كانت توجد نصوصها في العربية مثل كتابي Aphorismes و Prognosticon ، ومثل Mikrotechne و Megatechne وغير ذلك من شروح أبوقراط الكثيرة لجالينوس ، الخ .

وفي تأريخ بطرس دياكونوس Petrus Diaconus (المتوفى بعد سنة ١١٤٠) نجد كتابات قديمة عظيمة الدقة عن قسطنطين الإفريقي كما نجد قائمة للكتب التي صنفها .

(١) راجع العلم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٢ .

تلمذة قسطنطين :

كان هناك رجلان ساعدا قسطنطين في ترجمته عن العربية إلى اللاتينية ، أولهما تلميذه الفتي العربي يحيى بن عقلة الذي أتقنه معلمه من الفقر والعوز وقربه إلى نفسه فاعتنق المسيحية وسمى نفسه يوحنا أفلاسيوس Johannes Afflatius أو يوحنا الفاسي Johannes Saracenus وأصبح طبيباً شهيراً بعد وفاة معلمه وعمل على إدارة ما خلفه له .

وثانيها تلميذه أتو Atto الذي أصبح فيما بعد طبيب الامبراطورة اغناس Agnes (١) الخالص ، ونقل لها ترجمات أستاذه إلى الشعر الروماني . أما تلميذه الثالث بارتولماوس Bartolomaus فقد نقل إلى الألمانية الفصحى والألمانية العامية والداغركية كتابه Paractica الذي حمل مباشرة إلى الشعب في القرن الثالث عشر علم الشفاء العربي .

وفي عام ١٢٥٠ م ترددت أسماء عربية مع اسمي قسطنطين وبارتولماوس في خطب برتولد فون رجنبورغ التي كان يلقيها في أوربة ، ولم يكن كل هذا إلا قطرات من الماء تلمع في جو ربيعي عاصف ما لبثت أمطاره أن انهمرت فوق أرض أوربة المتحجرة ففسلتها من تحجر المعتقدات وبعثت فيها ربيعاً يانماً مشعراً .

إذن فقد كان أثر هذا السيل العرم من نتاج العرب عظيماً وبيد المدى ؛ والواقع انه لم يكن هناك طبيب في سالرنو إلا وقد استقى علومه ومعارفه من مؤلفات العرب ، كما لم يكن هناك أي كتاب جديد في العلوم أو في الطب خاصة إلا وتأثير التفكير العربي واضح فيه .

(الموصل) الدكتور فيصل ديدوب

(١) شمس العرب تنطق على الغرب زيفرد هرنكه ص ٢٩٩ .

التعريف والنقد

كتاب المعتمد في أصول الفقه

تأليف : أبي الحسين محمد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي

المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م

اعتنى بتهديبه وتحقيقه محمد حميد الله ، بتعاون محمد بكر وحسن حنفي

الجزء الأول ، دمشق : ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

والجزء الثاني ، دمشق : ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

لا يخفى أن الميزة طائفة كبرى من المسلمين ، ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ، وهم تفة القائلون بأن الله تعالى لا يعلم الأمور إلا بعد وقوعها . والذي يعمّ هذه الطائفة من الاعتقاد ، هو القول بأن الله تعالى قديم ، والقيدم أخص وصف ذاته ، وتفقوا الصفات القديمة أصلاً ، فقالوا هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا يعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة وممان قائمة به ، واتفقوا على أن كلامه محدث لخلق في محل ، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته ، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار ، في دار القرار . ومن أمعن النظر وتدبر كلام أئمة السنة المشاهير في باب أسمائه تعالى وصفاته ، يعلم اليقين أنهم كانوا أدقّ الناس نظراً ، وأعلمهم بصحيح المنقول ، وصريح المنقول ، وأن أقوالهم هي الموافقة لها ، ولهذا تألف ولا تختلف ، وتتوافق ولا تتفارق .

الإسلام يجمع الفِرَقَ ويعمّها

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الإسلاميين :
 اختلف المسلمون بعد نبهم في أشياء ضلّ فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم
 من بعض ، إلا أن الإسلام يجمعهم فيهمهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر
 الأصحاب ، وقال ابن تيمية في كتابه المقول والمنقول : ثم إنه ما من هؤلاء
 إلا من له في الإسلام مساع مشكورة ، وحنات مبرورة ، وله في الرد
 على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة
 والدين ، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل
 وإنصاف (١) .

وقد ترجم ابن خلكان لأبي الحسين البصري المعتزلي مؤلف هذا الكتاب
 فقال : كان إمام وقته ، وله التصانيف الفاتحة في أصول الفقه ، منها المعتمد ،
 وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ شرف الدين الرازي كتاب المحصول ، سكن
 بغداد وتوفي فيها (سنة ٤٣٦ هـ) .

والحق أنه كتاب ضخم غم ، من أوسع كتب الأصول وأهمها ، فقد
 بلغت صفحاته في جزءيه ، ألفاً وخمسين صفحة ، عدا الفهارس المستقلة في
 آيات الاستشهاد الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وفهرس عام لمواضيع الكتاب
 والأعلام والأماكن ، ومما تكرر اسم العلم في الصفحات والأسطر
 يشار إليه ، أو يدل عليه ، فقاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي مثلاً قد أشير
 إليه بالأرقام المتعددة بما يقرب من مائتي مرة !!

هذا وإن من القواعد القرآنية الآتي بعضها ، والمبادئ الكلية العامة
 التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبنى عليها الفقهاء أحكامهم ،

(١) من «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» ص ١١٦ .

فالقرآن الكريم في هذا الباب هو أصل الأصول ، ومصدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الإفتاء والقضاء إلى منزله ، فقال سبحانه : « قل الله يفتيكم » ، « فإله يحكم بينهم » ، وقضت به سنة النبي عليه الصلاة والسلام في النوازل والأحكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ، ومن تبعهم بإحسان ، أخذاً واستدلالاً ، واجتهاداً وقياساً ، فتولدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي زاه في مصنفاته ، ففي أول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب العقد بالفعل ، كإعطاء المال لمن يده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية ، وقوله « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهد كلها ، وقال : « والوفون بعدهم إذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت النظرية العامة في العقود ، ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدوها في كتبهم ، وما سككت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال .

ألا وإن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص ، في العقود والعهود ، والشروط والواجبات والالتزامات ، وهي دالة على معانيها ومقاصدها ، بعموم ألفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان ، وقد ذكر الإمام ابن القيم طائفة منها في (أعلام الموقعين) هي في نفسها قواعد كلية ومبادئ عامة ، مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية ، معللة بعلمها وأسبابها .

رتب كتاب « المعتمد » أبوابه على قواعد الأصول ، وبين الحقيقة والحجاز ، ووصف الحقائق الشرعية والعرفية ، وبحث في الأوامر والنواهي ، وعقد أبواباً للعموم والخصوص ، والمجمل والمبني ، وتكلم في الأفعال ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وبه ختم الجزء الأول . وأما الجزء الثاني فقد بدأ

فصوله في الإجماع وكونه حجة بشروطه ، والأخبار المتواترة وغيرها ، وما يترجح به أحد الخبرين إذا تعارضا ، ثم الكلام في القياس والاجتهاد ، وفي الحظر والإباحة ، وأخيراً في المفتي والمستفتي ، وكتاب زيادات المعتمد ، وكتاب القياس الشرعي . وصوّر في نهاية الكتاب صفحات من نسخه الاستانبولية واليمنية التي طبع عليها .

وأثبت الأستاذ المحقق محمد حميد الله في آخر الكتاب مقدمته التي بلغت أكثر من أربعين صفحة باللغة الفرنسية ، ذكر فيها أن هذا الكتاب قد امتاز بخاصتين ثنتين ، وهما كونه في أصول الفقه ، وكون مؤلفه من علماء المعتزلة ، وشرح هاتين الزيتين بنحو تسع صفحات ، ثم كتب فصلاً بعنوان : محلّ هذا المؤلف في تاريخ أصول الفقه ، وفصلاً آخر في صفات المؤلف وخصائصه ، وآخر في الشهادات العليا لهذا « المعتمد » الأصولي ، وشذرات بالعربية والفرنسية في أماكن التسخن الخطية من هذا الكتاب ، وتاريخ خطها ، أو وقفها ، وأسماء واقفيها أو مالكيها ، وهذا مثال من المکتوبات (ص ٣٦) : الحمد لله ، هذا من كتب الوقف منقولاً من ظفار ، بأمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ، حفظه الله ، وأحيا به معالم الدين ، وأمر بوضعه في المكتبة العامة الجامعة لكتب الوقف ، بمحروس جامع صنعاء المقدس التي أمر بعمارتها بأزاء الصومعة الشرقية ، بتاريخه (شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٨ هـ) ، وفي (ص ٣٨) : الحمد لله ، قد صار هذا المجلد من جملة كتب مولانا العلامة سيف الإسلام وزير الخارجية عبد الله بن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله ، يحيى بن محمد ، حفظ الله لنا أيامه ، (الحجة الحرام سنة ١٣٧٠) .

وفي هذه الصفحة زبدت زيادات ليست من العقل ولا من النقل في شيء ، ولت المحقق لم ينشرها ، إذ ليست من أصل الكتاب ، ولا من

مباحثه ، منها ما نصه : وروينا عنه صلى الله عليه وآله أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فيكا (كذا) ، فبابه أهله أن يسأله عن بكائه ، فوثب الحسين عليه السلام ، فقال : ما يكيك يا أبة ؟ قال : يا بني إني سررت بك اليوم سروراً ، لم أَسِرَّ بك قبله مثله ، فأثاني جبريل فأخبرني أنكم قتلاوان (كذا) مَصارعكم شتَّى فقال : يا أبة ، فمن يزورنا على تباين قبورنا ؟ ، فقال عليه السلام : قوم من أمتي ، يريدون بذلك بري وصلي ، إذا كان يوم القيامة أتيت إليهم . فأخذت بأعضادهم ، فأنجيتهم من شدائدنا وأهوالها ، وهذه الرواية ليس لها سند ، وهي مخالفة للواقع ، إذ أن الحسن عليه السلام لم يقتل ، وقال (قتلاوان) بدل (قتيلان) ، وبعد إيراد خبر ثان ، قال الكاتب : وأخبرنا رواية هذه الأخبار للأميرين الأوحدين السيدين يحيى ومحمد ابني أحمد ، قولا (كذا) الله تعالى توفيقها ، ثم نوّه بالعمد ومزياه ، وذكر مختصره وعزاه لمؤلفه ، وفي (ص ٤٠ و ٤١) ذكر كتاب تجريد العمدة ، واسم من ملكه شراء ، ومن انتقل إليه من بعد . وختم الأستاذ محمد حميد الله مقدمته بأداء واجب الشكر وعرفان الجليل ، إلى الأستاذ هنري لاوست لتقديمه دراسات قيمة ، حول هذا النص من مجموعة مصادر موجودة في المعهد الفرنسي العربي بدمشق (قال) وهو الذي يحمل إلينا دائماً أكبر وأثمن المساعدات .

النسخ ومعناه

إن اسم النسخ شائع في كتب أصول الفقه ، وقد كتب هذا الكتاب (العمد) فيه صفحات ، والنسخ : حقيقة الإزالة ، وله شروط معروفة في الأصول ، وقد سمّوا به ما ليس منه توسعاً وتسامحاً ، كتفصيل المجل ، وبيان المبهم ، وتخصيص العام ، وكالاستثناء ، وقد أجمع علماء الأصول

وعموم المفسرين على أن الآية التي لا تتعارض مع غيرها تبقى على إحكامها ، وإن النسخ والمنسوخ غير وارد إلا في الآيات القرآنية التي يتعذر الجمع بينها ، وجميع الآيات التي أوردت في هذا الباب ، يمكن الجمع بينها ، بدون إبطال الحكم في أية آية منها ، وإني مورد ثلاثة أمثلة لذلك بالكلم الوجيز .

١ - آية الدين (٢٨٢ - ٢٨٣) من أواخر سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ثم قال : « فإن أمن بعضكم بعضاً ، فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » فالظاهر من مجموع الآيتين أنه إذا أمن بعضهم بعضاً ، فلا تجب كتابة الدين ، وإلا وجبت .

٢ - وقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما ، فتذكر إحداهما الأخرى ٢٨٢ ، جمل تعالى المرأتين مكان الرجل الواحد في آتي الأموال والديون وآجلها ، لأن الأصل في مثل هذه الأعمال هم الرجال ، أما ما يختص بهن فقد فرق الرسول (ﷺ) بين رجل وامرأته بمجرد أن أخبرت امرأة موثوقة بأنها أرضعتها .

٣ - وقوله سبحانه : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، مع قوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » ٢٨٤ - ٢٨٦ ، يحاسبنا تعالى على ما يتأصل في نفوسنا من الصفات والملكات ، إن كانت خيراً أو شراً وسواء علمنا أظهرناها أم أضمرناها ، أما الخواطر السوانح البوارح التي تمر بالإنسان ، فيدفعها مستعيذاً بالرحمن ، فلا يحاسب عليها ، إذ هو لم يقصدها ولم يعمل بها « إن الذين اتقوا ربهم إذا مشهم طائف من الشياطين » ،

تذكروا فإذا هم مبصرون ، فكل آية باقية على إحكامها ، لا ناسخة ولا منسوخة .

وما يورده بعضهم من النسخ في آيات السلم ، وأن ليس لنير المسلمين إلا اعتناق الإسلام أو الحرب ، فهذا خطأ لا يحتمل الصواب ، بل الإسلام ، دين السلام ، لجميع الشعوب والأقوام ، وهو حرب على الأعداء اللثام ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فالآية صريحة في قتال المعتدين ، لا في من ألقى إلينا السلم وكف عن الحرب ، ولا فيمن لم يقاتل من النساء والشيوخ والمرضى ، فالآيات السلم والحرب كلها محكمة ، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

ووضع الندي في موضع السيف بالعلی مضرّ كوضع السيف في موضع الندي هذا وإنا تقدم أعطر الشكر ، وأطيب الثناء ، للأستاذ محقق الكتاب ومعاونيه ، والمعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، الذي نهض بطبعه على حسابه ، وقدم نسخاً منه إلى المجمع العلمي العربي ، رئيسه وأعضائه ، راجين أن تزداد هذه الروابط العلمية بيننا على الدوام . وكنا نود لو نقلت مقدمته الفرنسية إلى العربية ، إذاً لكانت فائدتها أعم وأشمل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

محمد بريجة البيطار



تفسير القرآن الكريم

للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي

المتوفى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٧ م

رواية أبي جعفر محمد ، عن أبي حذيفة النهدي عنه ، صححه ورتبه

وعلق عليه : امتياز علي عرشي ، مدير مكتبة رضا

رامبور ، الهند

طبع بإعانة وزارة المعارف لحكومة الهند (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م)

هذا الكتاب صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن الكريم وفهمه ،
فهو يفسره بأقوال الصحابة الكرام ، والتابعين ، ومن تبهم بإحسان ،
ولو عُني سائر المفسرين عناية أولئك الأئمة السابقين بالذكر الحكيم ، لجدنا
في عصرنا عهدهم ، وأعدنا لأمتنا مجدهم . قال أبو عبد الرحمن السلمي :
حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها
حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتملنا القرآن والعلم والعمل
جميعاً . فهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدد لنا عهداً بدراسة أولئك الأقطاب
الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض ، ومكن لهم فيها ، وأورثهم علوم
الأمم وحضارتهم . وهذا المنهج القديم هو الذي يطبع الدارسين بطابع
اللغة والإسلام والفضيلة .

والآن نوجز القول بوصف ما اشتمل عليه هذا التفسير الجليل مع
تحقيقاته وتعليقاته .

ويكاد يكون هذا التفسير مما يُسمى تفسير غريب القرآن ، فهو تفسير للمفردات ، لا للسور والآيات ، وإليك أمثلة منها :

١ — سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله جلّ وعزّ : «أو كصيّب من السماء» قال : السحاب فيه المطر^(١) (الآية ١٩) .

٢ — سفيان عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله جلّ وعزّ : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» قال : تطيعون^(٢) - (الآية ٢١) -

٣ — سفيان عن مجاهد «فلا تجعلوا لله أندادا» قال : عنداء ، «وأتم تعلمون» يا أهل الكتاب ، تعلمون أنه واحد في التوراة والإنجيل^(٣) ، (الآية ٢٢) .

هذه أمثلة من هذا السيفر الجليل ، وقد ذكر المصحح مراجع التفسير ، ونحن أغفلنا ما ذكره هذا المصحح الكبير من تراجم الرواة بالكلم الوجيز ، فقد سُمّي مراجعها من المعاجم التاريخية مشيراً إلى أرقام الأجزاء والصفحات كما في عمل كتب التفسير . وقد بلغ هذا التفسير (٤٨٨) صفحة ، منها (٢٤٤) صفحة ، وهذا هو النصف الأول ، الذي بلغ سورة الطور ، وهي آخر التفسير ، وأما النصف الثاني ، فقد عنوانه الأستاذ امتياز علي عرشي - وهو الذي صححه ورتبه وعلق عليه - بعنوان (الحاتمة) في تراجم

(١) روى الطبري ١١٤/١ عن سوار بن عبد الله الغنوي ، قال ، قال سفيان الصيّب الذي فيه المطر ، وليراجع ابن كثير ٥٤/١ والدر ٣٣ .

(٢) رواه الطبري ١٢٤/١ عنه بزيادة «لعلكم» قبل «تطيعون» - وليراجع الترقاطي ٩٦/١ والدر ٣٤ .

(٣) روى الطبري ١٢٦/١ عن الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ، وأتم تعلمون أنه إله واحد - وليراجع ابن كثير ٥٨/١ والدر ٣٥ .

رجال الثوري . قال : وأدرجت فيها كل من له ذكر في هذه الأحاديث والآثار ، سواء كان ذلك في أسانيدھا أو متونها - وربتها على الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والتزمت في التراجم على اختصارھا ، أن لا تقصر عن إظهار ما في الرواة من القوة والضعف عند أبواب الجرح والتعديل ، وذكرت من المآخذ والمراجع كل ما كان في يدي من المطبوعات والمخطوطات ، إتماماً لفائدة من يريد أن يكتب على أحد منهم مستقلاً منفرداً . وقد بلغت هذه التراجم (٢٩٩) ترجمة ، وطريقته فيها أنه يترجم للراوي ملخص ما ذكره ، مما تهم معرفته ، ثم ينوّه بالكتب التي تلخصها منها سواء أكانت مطبوعة أو مخطوطة ، مع الدلالة على أرقام الأجزاء والصفحات .

وفي آخر الكتاب استدراك مطولان ، أحدهما على الحواشي (أي التي على التفسير وهي النصف الأول من الكتاب) وثانيها على التراجم ، وهي النصف الأخير . وهذه المستدركات هي أسماء مراجع من كتب وأرقام لما فات المحقق ذكره في صفحاته ، مشيراً إليها ، ودالاً عليها ، ثم ختم الكتاب بأربعة فهارس ، أولها فهرس المآخذ والمراجع ، فعدّها منها (٢١) لكتب التفسير والقراءات ، وقد بلغت مع كتب الحديث والأصول والكلام (٥٦) ثم مع كتب التاريخ والسيرة والرجال (١٨١) ومع كتب اللغة والأدب (٢٠٥) . ثانيها فهرس الأشخاص والقبائل والأقوام ، هادياً إلى الأرقام ، مما تكررت هذه الأعلام ، ثالثها فهرس الأماكن والبلدان ، رابعها فهرس الكتب والألسنة . والحق أقول : إني لم أر كتاباً شرقياً أو غربياً أوسع استيعاباً ، أو أكثر عناية وإتقاناً من هذا الكتاب ، وتعليقات الأستاذ المصحح ليس عليها أثر للمعجمة ، بل هي مثل رائع في فصاحتها ، ولسمري إن هذا بركة القرآن المنزل الذي عرّب الأقطار ، وبلغ بلغة العروبة ما بلغ الليل والنهار .

ملاحظة مهمة

ذكر المصحح في مقدمته (ص ٣٥) خصائص هذه النسخة الوحيدة في الكتابة ، كعدم كتابة الألف في بعض المفردات ، وكعدم كتابة الهمزة والواو في بعضها الآخر . وقد نبه على هذا الاصطلاح لكيلا يشكل على القارئ إذا رأى ذلك .

• • •



[النسائيات] من الأحاديث النبوية الشريفة

مبوبة مشروحة شرحاً موجزاً وافياً ، مع تراجم الصحابة
تحقيق وشرح فضيلة الأستاذ الشيخ محمد صالح فرفور
الناشر : المكتبة الحديثة بدمشق

جعل العليم الحكيم حق الولاية العام في الإسلام للرجال والنساء على السواء ، وهي ولاية النصع والتذكير ، والتوجيه والتحذير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويدخل في هذا التضامن والتعاون على البر والتقوى ، وعظ النساء ، حتى للخلفاء ، والملوك والأمراء . وقد كان النساء يملن هذا ويعملن به كالرجال ، كما فعلت تلك التي ذكرت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) في أمر المهور ، وهو واقف على منبر الرسول (ﷺ) ، فاعترف بخطئه ، ورجع إلى قولها عن قوله . النساء ربّات البيوت ومربيات الأطفال ؛ بل هن أميرات الداخل ، ومما قلن المنازل ، والإسلام هو الذي أنزلن المنزلة اللاحقة بهن ، إذ قد

منح المرأة حقوقها ، وعرفها واجباتها ، وآية : «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة» قد ساوت بين الرجال والنساء ، في الحقوق والواجبات ، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة الشورية (لا الاستبدادية) ، إذ لا بدء لكل أسرة وجماعة من نظام ، ولا بدء لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل أولى بتطبيق النظام المنزلي وتنفيذه .

وكتاب (النسائيات) لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ محمد صالح فرفور جامع لما يجب للمرأة وعليها ، وقد فصل القول في هذا الموضوع وجمله في ستة أقسام ، 'متوِّجاً كل قسم بأحاديث نبوية ، مشكولة وممزوة إلى رواها من الصحابة الكرام ، وإلى مخرّجها في الصحيحين وكتب الشنن ، مشروحة شرحاً واضحاً بالكلم الوجيز ، وفي طليعة الكتاب تراجم الرجال المخرجين من أئمة الحديث الذين ورد ذكرهم في (النسائيات) ، وعقب كل حديث شرحه الموجز ، وترجمة الصحابي الذي رواه أو الصحابة . وهذه الأقسام الستة أولها في فريضة العلم ووجوب طلبه وتحصيله ، والثاني في العبادات المفروضة ، والثالث المحرمات في الإسلام في طريق الحياة الزوجية ، والرابع المحرمات في طريق الحياة العامة ، والخامس في الأخلاق الحميدة والندب إليها ، والسادس في الزهد والتواضع والتقوى ، وتحت كل قسم أبحاث متنوعة في موضوعه . وختم المؤلف كتابه بثلاث فهارس ، أولها في الأحاديث النبوية مع بيان موضوعها ، مقرونة بأسماء رواها من الصحابة ، والثاني للأعلام وتراجمهم بأرقامها ، والثالث في مواضيع الكتاب ، وذكر المصادر والمراجع .

والكتاب في جملة يصلح أن يدرس في الثانويات وفي كليات الشريعة ، وأن يكون أساساً من أسس الحياة المنزلية ، وتربية الآباء والأمهات ،

للأولاد بنين وبنات ، على أشرف الخصال ، وأفضل الفعال . أثاب المولى تعالى المؤلف ثواب العاملين المخلصين .

وهنا نستدرك الكلمات القليلة التي سها عنها المؤلف في جدول الخطأ والصواب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٣	لتلبس ثيابها	لتلبس .
٥٣	٦	وقل	« قل »
٥٣	٩	إلا لبعولتهم	« لبعولتهم »
٥٤	٥	مع بعضهم	بعضهم مع بعض
٦٤	٩	عن بعضها	بعضها عن بعض
٧٢	١٣	النساء أن يسجدوا	أن يسجدن
٧٦	٢	العاس	العاص
٨٠	٧	لكن ... وإقذار	وأقذاراً
٨٣	١٠	إن لكل أمة شيمة*	شيمة*
٩٨	١٦	من سلطانا	سلطانا
١٢٣	١	دعوى العرس	دعوة العرس
١٢٧	٩	وعلى شر*	وعلى شر*
١٤٦	٦	بسماله	بسماله
١٥٣	٧	والنخمة	والنخمة
١٦٢	١٢	ليكفرها	ليكفرها
١٧٧	٨	ويلبسون	ويلبسون



التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

« إن تاريخ العرب المسلمين الحربي ، مفخرة من مفاخر
تاريخ الحرب العالمي ، وهذا التاريخ إذا أحسن عرضه
وتشره غني بالدرس والعبر لكل عربي و لكل مسلم ،
بل لكل منصف من غير العرب والمسلمين ؛ فلماذا يستورد
العرب والمسلمون الدروس والعبر من تواريخ الأمم الأخرى
ويتركون تاريخهم الموثق وراءهم ظهرياً ؟ وإلى متى يكون
عالة على الأمم وأمتهم بأبجادهما الشائعة أخرى الأمم
بالتقدير والإعجاب ؟ ! » .

هذه الفقرة التي سلت من كلام طويل ، تتضمن دعوى ذات عرض
بالغ ، إذ أنها تؤكد أن التاريخ الحربي للعرب المسلمين يعتبر مفخرة في
تاريخ الحرب عند مختلف أمم العالم ، كما أنها تجزم بقى ذلك التاريخ
بالدروس القيمة والعبر المفيدة في بناء مستقبل زاهر لأمة العرب ذات المجد
الغابر والحضارة العريقة ، وهي تتضمن أيضاً ، حث علماء العرب والمسلمين
على دراسة تاريخهم دراسة عميقة ، وشر تراثهم شرأ علمياً يفتيان أمتهم
عن اللجوء إلى تواريخ غيرها من الأمم ، أو إلى دراسات غيرهم من العلماء
للاستعانة بكل ذلك في تحصيل الدروس واستلهاهم العبر .

فمن هو صاحب هذه « الدعوى » ؟ وهل « شروط الادعاء » متوافرة

فيه ؟ وما هي « البراهين » على صحة مدعاه ؟ وماذا صنع مما يدعو العلماء إليه ؟ وإلى أي حد « ووفق » فيما صنع ؟

من الأمور المتبوت فيها ، أن المؤرخين العرب والمسلمين - كما يقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، في مقدمة كتابه القيم (علم التاريخ عند العرب) - تركوا « ذخيرة » تمتاز بها المكتبة العربية ، وتفاخر بها في الميدان العالمي ، وتباهي بها من ناحية التوثيق الإخباري الذي يستند إلى الرواية والسند ، راوياً عن راوٍ ، بما لا نجد له نظيراً في تواريخ الأمم الأخرى (١) ، وقيمة هذه الذخيرة التاريخية ، لم تكن إلا بفضل الجهود الجبارة التي بذلها علماء العرب والمسلمين في تدوين التاريخ ، بعد أن وضعوا القواعد الدقيقة لهذا التدوين ، واشترطوا فيمن يتصدى لكتابة التاريخ شروطاً قاسية ، عبر عنها أحد كبار المؤرخين المسلمين ، هو الإمام تاج الدين السبكي صاحب كتاب (طبقات الشافعية) بقوله : « فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً ، عدلاً ، عارفاً بحال من يترجمه ، ليس يئس منه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغش منه . وربما كان الباعث له على الضمة من أقوام مخالفة العقيدة واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك (٢) » .

من هذا نجد أن المصادر الموثوقة لتاريخ الدولة العربية الإسلامية متوافرة في عصرنا هذا ، ولا عناء في دراستها واستنباط ذخائرها المفيدة في حياتنا المعاصرة ، بشرط أن تتوافر - فيمن يتصدى لذلك - الصفات العلمية والخلقية التي تجمل منه أهلاً للبحث والنقد والاستنباط ، لأن التاريخ وهو في جوهره عِلْم من أهم العلوم الإنسانية وأفيدها « يعوزه ما يعوز

(١) النظر ص ٣ ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .

(٢) النظر للرجع السابق لمحمد عبد النبي حسن ص ٢٨ .

سائر العلوم الأخرى من طب وهندسة وفقه وغيرها وأنه لا بد لصاحبه من أن ينشأ نشأة علمية خالصة يتربى فيها على الشروط الفنية التي يقتضيها كل علم (١)، كما أنه لا بد لمن يتصدى للاستنباط من التاريخ من « التضلع من الفلسفة والعلوم الاجتماعية والجغرافية للاستبصار بنورها والتذرع بوسائلها واستنتاجاتها في فهم الماضي وإيضاحه ، فلا بد للمؤرخ من فهم العقل البشري فهماً وافياً كافياً ، وعليه أن يتعرف إلى المحيط الذي عاش أو يعيش فيه الإنسان من وجهتيه الجغرافية والمادية (٢) ، فإذا ما وُجد مثل هذا العالم أمكنه أن يبدأ - كما يقول الأستاذ أسد رستم - باستعراض الحقائق وإدراك كنهها ، وله أن يكون في نفسه فكرة عنها أو نظرية منها يؤمن بصحتها ، فيحمل لواء التبشير بها والدفاع عنها .



بعد هذه المقدمة التمهيدية ، نستطيع أن نعود إلى الفقرة التي توجنا بها حديثنا هذا ، ونقول بأنها فقرة وردت في ثنايا تقديم كتاب أخرجته المطابع العربية في بغداد سنة ١٩٦٥ م (٣) ، وقد صنعه ضابط ولد في بيئة عربية صافية ، ونشأ في أسرة مسلمة متمسكة بقيم في الموصل شمالي العراق ، فلما أتم تحصيله الثانوي ، كان سنة ١٩٣٧ م في عداد طلاب الكلية الحربية في بغداد ، حتى إذا ما تخرج ضابطاً في الجيش العراقي ، كانت الروح الحربية والعلوم العسكرية قد استحوذت عليه فراح وراءها ، ثم كان سنة ١٩٤٧ م ضابطاً في كلية الأركان وفيها أخذ يتبحر في العلوم

(١) انظر أسد رستم في كتابه « مصطلح التاريخ » المقدمة ، بيروت ١٩٥٥ .

(٢) انظر للمرجع السابق ص ١٣٧ .

(٣) انظر مقدمة كتاب « الفاروق القائد » .

العسكرية ، على أيدي ضباط الجيش العراقي العظيم ، ولما تخرج من كلية الأركان أخذ يتدرج في المراتب العسكرية حتى حصل على مرتبة الأمراء في الجيش العراقي ، وكان في جميع مناصبه يتابع الدراسات العسكرية والمؤلفات التاريخية ، وبما أخرجته له مطابع بغداد الكتب التالية : « القضايا الإدارية في الميدان » و « التدريب الفردي ليلاً » و « المشير فون رونشتد » .

وعكف الضابط العربي المسلم على دراسة التاريخ الإسلامي ، وقد دفتته دراسات كلية الأركان ، إلى الوقوف على أخبار النزوات والحروب والارتواء منها ، وأخذ يتابع هذه الأخبار في جميع مصادرها ، في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي كتب السيرة والتاريخ ، وفي معاجم البلدان وكتب الجغرافية ، وبين ثنايا كتب الفقه والنظم الشرعية المختلفة ، فإذا به ينتهي إلى نظرية آمن بها ، فجعلها « دعوى » نخّصها في الفقرة التي يدور حديثنا حولها ، ثم أخذ يحدد معالمها ويقم البراهين على صحتها ويزود المكتبة العربية بما خطط له من مؤلفات ودراسات .



إن الضابط الذي تكلم عنه ، هو اللواء الركن محمود شيت خطاب أحد أعضاء المجمع العلمي العراقي الجديد ، وقد طلع علينا خلال السنوات القليلة الماضية بسلسلة من المؤلفات المبكرة في التاريخ الحربي الإسلامي ، وبجها يراعة العالم المتبع ، ورسم خطوطها رسم الخبير الضليع ، وإذا كان تدوين التاريخ الإسلامي تدويناً حديثاً يحتاج إلى عشرات العلماء المختصين ، فإن قيام ضابط بمفرده بالتصدي لحمل عبء الجانب الحربي من هذا التاريخ ، وهو جانب لعمري بالغ الأهمية جليل الفائدة ، يدل على شجاعة وإقدام فائقين ، وإذا كانت هاتان الصفتان غير مستغريتين في ضابط عربي ، فإن

ما أقدم عليه اللواء خطاب جدير بالإعجاب والتقدير ، لأنه بعمله ألقى ضوءاً جديداً على سائر جوانب التاريخ الإسلامي التي مازالت بحاجة إلى من يتفرغ لدراستها وعرضها عرضاً جديداً صادقاً يتفق وطموح العرب والمسلمين في نهضتهم الحديثة .

يذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب البواعث التي دفعتها إلى دراسة التاريخ الإسلامي قائلاً : « إن أنس فما أنس يوم كنت تلميذاً في الكلية العسكرية عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وضابطاً في كلية الأركان عام ١٣٦٧ - ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ - ١٩٤٨ م) وكان تاريخ الحرب أحد المواضيع التي تدرس في هاتين الكليتين المريتين في العراق البلد الإسلامي ، فقد ملأ ذلك التاريخ عقول التلاميذ والضباط فيها بفيض غامر من أسماء القادة الأجانب ... والمعجب أن بعض تلك الأسماء هم قادة جيوش الاستعمار في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) الذين أدخلوا الاستعمار إلى البلاد العربية ! ويكفي أن أذكر أن من محاضرات تاريخ الحرب المهمة في الكلية العسكرية موضوع : حرب العراق ، وهي الحرب التي استمر بها البريطانيون وادي الرافدين ! .. ولم أسمع حين كنت تلميذاً أو ضابطاً في هاتين الكليتين محاضرة واحدة عن قائد عربي مسلم مثلاً للقادة الفاتحين ... (١) ،

ويقول اللواء خطاب بمبدئ : « كانت أمنية غالية على القلب والعقل ماً ، تراودني منذ ما يزيد على العشرين عاماً خلت ، أن أتفرغ للكتابة عن تاريخ قادة الفتح ، الذين حملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ، إلى حدود سبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

(١) انظر مقدمة كتاب « الفاروق القائد » ص ١٠ .

لقد كنت أشعر شعوراً عميقاً بمظمة هؤلاء الرجال ، وأشعر بالحزن والأسى بحزبان في نفسي ، حين ألس أن هؤلاء الرجال - على عظمتهم في آثارهم وفي تضحياتهم - لا نعرف حتى أسماء أكثرهم ، وما نعرفه عن بعضهم لا يتجاوز بعض المعلومات السطحية المشوشة التي يشيع فيها التناقض والاضطراب (١) .

« وأخيراً - يقول اللواء خطاب - تيسر لي التفرغ المنشود الذي كنت أتمناه على الله ، فعكفت على المصادر القديمة والحديثة : أجمع أخبار قادة الفتح من شتات كتب (السير) و (المنازي) و (طبقات الرجال) وكتب التاريخ والأدب ، وكنت كلما وجدت اسم قائد فاتح أبادر إلى تسجيله في سجل خاص وأشير إلى كل مصدر ومرجع يتحدث عنه ؛ وفي النهاية تجمعت عندي مادة غزيرة عن بعض القادة وشذرات مقتضبة عن أكثر القادة .. (٢) » :

ولا يكتفي اللواء خطاب في بيان ما يتفياها من جهوده في تدوين تاريخ المسلمين الحربي ، بما ذكره في الفقرة التي نقلناها عنه في صدر هذا المقال ، بل تجاوز ما ألمع إليه من غايات عامة ، إلى التصريح بما يتوخاه ويرجوه من وراء جهوده قائلاً : « وكان من فضل الإسلام على العرب ، أنه وحد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، ووجههم للفتح ، فكان الإسلام بحق عقيدة منشئة بناءة زاد عنها حماة قادرون ، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم قوة جبارة ، ولن يعيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد أقولها كلمة صريحة حاسمة موجبة لقادة العرب خاصة ولقادة

(١) انظر مقدمة كتاب « تاريخ فتح العراق والجزيرة » ص ٧ .

(٢) للرجع السابق ص ٨ .

المسلمين عامة . إن التاريخ لم يخلد غير الذين وحدوا وجاهدوا : وحدوا الصفوف ، ولوا الشعب ، وكونوا قوة موحدة من قوى متفرقة ، وجاهدوا في سبيل مثل عليا لمصلحة أممهم ، ولمصلحة الإنسانية ، فالحياة تافهة ، إذا خلت من مثل عليا ... إن القائد الذي يقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب في الوطن العربي تهدي إليه ، وسيجد النفوس في دار الإسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاونون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر في الخريف (١) .

ولم ينس اللواء خطاب أن يشير إلى الروح التي سيطرت عليه في مؤلفاته فذكر في كتابه عن « الرسول القائد » قوله : « لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة ، توخيت منها إظهار الواقع العملي من قيادة محمد ﷺ ، ذلك الواقع الذي يستحق التقدير كل التقدير .

ولم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال الشركين ، لأن قيادتهم وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية في قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا ندس ما لاقاه الرسول ﷺ من مصاعب في القضاء على الشركين (٢) .

★ ★ ★

إن هذه المقدمة لا بدء منها - في رأينا - لأنها تعهد لنا عرض ما صنعه اللواء الركن محمود شيت خطاب حتى اليوم بما حمل نفسه عبء التبشير به والدفاع عنه ، وأملنا الآن خمسة مؤلفات هي :

(يتبع)

عبدالله الخطيب



(١) انظر ص ٢٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الثالثة .

(٢) انظر ص ١٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الأولى .

الشذرات

كتاب عدد صفحاته (٣٢٠) صفحة من القطع المتوسط
أخرجته (دار الكتاب الجديد) في لبنان عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
رئيس جمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي غني عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العلمية في الشرق العربي في عصرنا هذا ، وهو مع ما ناله من الألقاب العلمية حتى الآن ، صاحب أكبر مجموعة من معاجم الألفاظ والمصطلحات العلمية التي يصعب تقدير ثقلها وتحديد فائدتها ، حتى لقد عد صاحب الاختصاص الأوضح في هذه الناحية من نواحي المعرفة .

ولسنا بسبيل إحصاء مؤلفات الأستاذ وتعداد آثاره لولا ظهور كتاب جديد له ، هو من أحسن الآثار الأدبية التي ظهرت في هذه الأيام ، ولعل ما يلفت النظر هنا أن هذا الكتاب يختلف عن كتب الأمير الأخرى السابقة التي تناولت الشؤون اللغوية والمصطلحات العلمية لأن كتاب اليوم « الشذرات » الذي تقدمه للقارئ قد اشتمل على « مقالات ومحاضرات في الأدب والعلم والفلسفة » كما أشير إلى ذلك في عنوان الكتاب الملبث في صفحته الأولى .

وما يغري بقراءة هذا الكتاب أن يجد القارئ فيه ناحية جديدة كل الجدة ، طريقة كل الطرافة ، وهي ناحية الكتابة الأدبية الصرفة التي تصوّر أخلاق بعض الناس ، وترسم لك بعض المواقف والهواجس عند الكثير ممن عرفهم الأستاذ الكبير ؛ مما يمكن أن يدخل في عداد الكتابات الأدبية-التي سميت في المصطلح الحديث « الفن للفن » فهي كتابة فنية حقاً

تعنى بتصوير الآراء ورسم الأفكار ، ولا ترمي إلى إثبات نظرية أو تحقيق مفهوم علمي غامض .

هذا اللون من الكتابة يستبره النقاد أرفع ألوان الأدب لأنه أقرب إلى الشعر الذي يلتفت فيه إلى الصورة والنعمة واللمحة الخاطفة الأخاذة يتخلل كل ذلك ظرف ظاهر ، وتقدير سافر ، فيه كل المتعة والجمال .

والأستاذ الأمير في كتابه هذا يطلعك على ناحية هامة غير هذه ، هي النظرة الواسعة الشاملة ، والإنسانية التي تنتظم حياة الإنسان وما حولها ، ولو قرأت الموضوع الأول من الكتاب « الأزهار المدوسة » لأحسست بشفقة الكاتب ورحمته للأزهار التي داسها جاره وتركها « ذابلة ملقاة في الطريق » دون أن يستشعر الرحمة والمطف عليها .

ولو قرأت الموضوع الثاني « غرائب الصانعين » لأعجبك ما فيه من فكرة نقادة ولفتة أخاذة ، تحصي على الناس أخطاءهم وتعرف دخائل نفوسهم ، فلا يسجزها أن تعددها وأن تثبتها في مقال رائع .

ولو اطلعت على موضوع « حديث بقل وحمار » لضحكت ملء فمك للنكتة البارة الموقفة ، والوصف الذي يختار اللفظ ويستقيه فعل اللغوي التبحر والأديب التخصص ، ولأذكركَ هذا « الحديث » ما مرّ بك من قصص « كليله ودمنة » وآثار لافوتين في حكاياه عن الحيوان .

وبعد فإن هذا الكتاب الجديد الجميل إنما هو عدد من المقالات الأدبية والفلسفية والاجتماعية اختير من مقالات كثيرة ومحاضرات عديدة في شتى الموضوعات ، كتبت منذ سنين عديدة ونشرت في أم المجلات والصحف كالقطف والهلل والرسالة وغيرها ، وهو خلاصة طيبة ونجبة صالحة مما كتبه الأمير في أوقات فراغه من أعمال الدولة يوم كان موظفاً من كبار موظفي الحكومة ، وهو من أجدر الكتب بالقراءة والاطلاع .



فن الترجمة في الأدب العربي

كتاب عدد صفحاته (٢٣٨) صفحة من القطع الصغير
من منشورات «الدار المصرية للتأليف والنشر» في القاهرة عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ محمد عبد القني حسن

هذا كتاب فريد في بابهِ ، جديد في نوعه ، فإن فن الترجمة « لم يعالج
في الإنتاج الفكري العربي بكتاب واحد » كما قال مؤلف الكتاب الأستاذ
محمد عبد القني حسن ، بصراحة ووضوح .

والأستاذ المؤلف شاعر وكاتب ومؤلف ، عرفته المجلات العربية منذ
سنوات طويلة ، فقد جال قلبه في ميادين الفكر والفن جميعاً وكان في كل
ذلك موقفاً مستحقاً للإعجاب والإطراء . ونعتقد انه لقي في هذا الكتاب
« فن الترجمة » من الجهد والصبر ما لم يلقه في كتاب آخر من كتبه الكثيرة ،
لطرافة هذا البحث ، وقلة المراجع فيه ، وصعوبة العثور على الضوء الذي
يقود المؤلف إلى الحقيقة إن أعوزه النور .

ولقد حاول المؤلف منذ أول صفحة في الكتاب حتى آخر صفحة منه
أن يقدم للقارئ بحثاً علمياً عن الترجمة ، فبحث الموضوع لغوياً ، ثم تعرض
للمشتغلين في هذا البحث منذ الجاحظ حتى عصرنا الحاضر ، كما تعرض
لموضوع يمكن أن نسميه من باب التجوز « فلسفة الترجمة » فكتب عن
شروط الترجمة ، والترجمة بين الإغراب في اللفظ والوضوح ، والترجمة بين
الزيادة على النص والحذف منه ، والترجمة من حيث ترجيح المعنى على اللفظ
وبالعكس ، إلى غير ذلك من نواحي الترجمة التي يصعب الوصول فيها
إلى نتيجة خالصة سالمة من النقد ، وكان عمل المؤلف في إخراجها وكتابتها
عملاً شاقاً صعباً .

وقد كنا نتمنى لو أن المؤلف خص « تاريخ الترجمة عند الشعوب » ، أو عند العرب بفصل خاص ، بدلاً من أن تترك المعلومات التاريخية عن الترجمة مبثوثة في موضوعات مختلفة العناوين متعددة الاتجاهات ، كما أن لنا رأياً في ترجمة الشعر نسير فيه مع الجاحظ الذي قال بـ « عدم استطاعة الترجمة نقل الشعر » ، أو المادة الشعرية ، من لغة إلى لغة أخرى لأن السر كل السر في الشعر كائن في تقطيعه ونظمه ووزنه ، مما لا يمكن نقله ، فإذا حول كل ذلك ذهب حسن الشعر وسقط موضع التعجب منه .

والشعر العربي ، خاصة ، يمتاز بصعوبة قد لا نلقاها في شعر أمة أخرى حين نعرض لترجمته أو نقله ، لأن الشعر العربي ذو لفظ ظاهر الجرس ، بارز الواقع ، ترتبط فيه الكلمات برباط النغمة والموسيقى الصوتية ، قبل أن ترتبط بالمعاني والأفكار ، والترجمة مها نغ أصحابها لا يمكنها أن تنقل إلا الفكرة ، أما بقية عناصر الشعر التي تستر الفكرة واحدة منها ، فلا يمكن نقلها ، وهكذا فإن الشعر العربي إذا نُقل ، نُقل مشوهاً عطماً ناقصاً .

ويمكن أن نلجأ إلى الترجمة الشعرية أحياناً ، تجنباً لما سماه الأستاذ : « حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب أن لا يحجر عليها » ، على أن يقصد من هذه الترجمة إلى (علم الحرمان) من الاطلاع على آداب الأمم الأخرى ، وأن يكتفي فيها بنقل بعض الأفكار التي كتبت شعراً في اللغات الأخرى لكي لا يحرم منها من لا يعرف لغتها الأصلية وعلى أن يسمى هذا الجهد اسماً آخر غير « النقل » وغير « الترجمة » .

رغم هذه الملاحظات التي مرت بك فإن كتاب « فن الترجمة » يعتبر بحق فريداً في بابيه ، بل لعله فاتحة جريئة لكتب أخرى تتناول هذا الموضوع الهام عند أصحاب الثقافة العربية الحديثة . ولعل للأستاذ محمد عبد القوي حسن فضل السبق في ريادة هذا الموضوع ، أو هو رائده الأول في كتاب .



صور قروية

كتاب من القطع الصغير عدد صفحاته (١١٠) صفحات
من مطبوعات دار الكتاب اللبناني في بيروت عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ رياض المعلوف

هذا كتاب صغير الحجم أثبت فيه صاحبه الأديب والشاعر اللبناني المعروف رياض المعلوف بعض « الصور القروية » التي كتبها « بسواد العين » على حد تعبيره لأنه أحب لبنان حباً جماً وخاصة بلاده زحلة التي عاد إليها بعد أن زار عدداً من بلاد العالم لم يجد فيها الجمال والألفة التي أحسها في بلده القديم .

والقارئ يجد أن موضوعات الكتاب هي أقرب إلى الصور واللمحات منها إلى البحوث والمقالات ، فمضمون الكتاب منطبق على عنوانه وموافق لما قصد إليه المؤلف ، فإذا قلبت هذه الصفحات الصغيرة الأنيقة عثرت على عناوين مغرية تذكرك بلبنان وتحمل إليك صورة عنه متعددة الخطوط والألوان ، من مثل : السنوف والريبع ، حافوت الضيعة ، الصيف ، يوتنا في الجبل ، جرن الكبة ، والعنوان الأخير هذا يكاد يكون عنواناً لرحلة ذاتها فهي أشهر بلدة في الشرق بصنع هذا اللون الشرقي من الطعام ، كما أشار الكاتب في كتابه إلى حبه العميق للطيور فصور لنا عدداً منها ولو أن بعض هذه الطيور لا يعيش في لبنان كالطاووس والكناري .

ولا نندي السبب الذي جعل الكاتب يختار لكتابه « الصغير » هذا الحرف الكبير الذي جعله أشبه بالكتب التي تؤلف لقراءة الأطفال في

المدارس . كما لفت انتباهنا قصر هذه الصور التي لم يتجاوز أطولها الصفحات اثلاث أو الأربع من الكتاب الصغير .

على أن بعض هذه الصور قد بلغ حدّ التوفيق في اللغة والتصوير كما رأينا في « أنشودة النيم » التي تحدث فيها الأستاذ المؤلف حديث الشاعر عن سماء زحلة فوصف غيمها وصفاً لا يتقصه غير الوزن والقافية حتى يصير شعراً غنائياً جميلاً . يضاف إلى ما سبق لغة صحيحة ، وألفاظ رشيقة ، وبيان مشرق .

أ . ج



البيت في حياة العرب

كتاب في (٩٧) صفحة من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٦ .

تأليف الأستاذ عبد القادر عياش المحامي

الأستاذ عبد القادر عياش يمكن أن يعدّ من المختصين البارزين في البحث عن مظاهر الفن الشعبي في بلادنا وآثار هذا الفن ، وهو لكفاءته هذه انتخب عضواً في لجنة الفنون الشعبية لدى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق . وقد أصدر كتباً عديدة ، كما أن له مجلة خاصة هي « صوت الفرات » ، يشر فيها بين الحين والآخر مقالات وبحوثاً مستفيضة حول الفن الشعبي الذي يستغرق اهتمامه ويقتنع الميدان فسيحاً أمام قلبه .

أما الكتاب الجديد الذي أهدانا نسخة منه ، فيتعلق بموضوع يلفت النظر حقاً إلى بحث لا نعرف أن أحداً تطرّق إليه أو وقف عليه كتاباً بأسره ، فقد تحدث المؤرخون القدامى والمحدثون عن البيت في حياة العرب عرضاً ، ومرّ بهم البيت مروراً سافحاً فلم يتركوا له بحثاً خاصاً ، أو كتاباً منفرداً قبل كتاب الأستاذ عياش .

هذه مزية هامة ، وللكتاب مزايا أخرى منها أنه كتب بلغة سهلة وبتفصيل لا يتعب المتبع لهذا البحث الذي يهم أصحاب التاريخ والجغرافية والاجتماع على السواء ، أما أبحاث الكتاب فتلاثة عشر بدئت بالإهداء و انتهت بالمنازل والطلول في الشعر .

ونحن نعتقد أن كتاب الأستاذ عبد القادر عياش قد سدّ ثغرة في حياتنا الثقافية وفي أدبنا الشعبي .

أ. ج



آراء وأبناء



المرحوم عز الدين علم الدين التوخي

نائب رئيس جمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٨٩ - ١٩٦٦ م)

عز الدين علم الدين التوخي

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٨٩ - ١٩٦٦ م)

تجمع مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم ٢٤ حزيران سنة ١٩٦٦ بزميل كريم ، وعلامة كبير ، وركن من أركان اللغة العربية ، وعامل مخلص في دعم صرحها والدود عن سلامتها ، وهو المغفور له عز الدين التوخي الشهير بـ (شيخ السروجية) نائب رئيس المجمع ، وهو آخر الأحياء الذين أسسوا المجمع العلمي العربي بدمشق (بجمع اللغة العربية الحالي) ، ومن عملوا جاهدين في رفع شأنه ووفرة إنتاجه . كان رحمه الله حجة في اللغة العربية وقواعدها وآدابها ، يرجع إليه في حل معضلاتها ، ويُسْتَفْتَى عن غوامضها ، ماضئ بعلومه على مستفكر أو مستفيد ، يزودهم بإرشاداته ، ويستزيدهم بتواضعه . وكان معلماً حيث وجد ، في المدرسة ، أو في داره ، أو مقر عمله . سلك في حياته سبيل السلف الصالح ، يعمل خالصاً لربه وأمته ، زاهداً بالشهرة ، متجنباً آفاتها . وقد أنشأ على مقاعد التدريس جيلاً عاملاً ، يشيد أبداً بفضله ، ويترنم بذكره العاطر .

ولد رحمه الله سنة ١٨٨٩ م . ختم القرآن بدمشق في المدرسة الابتدائية السباهية ، ودرس مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية في المدرسة الرشيدية - الابتدائية والعالية - ثم انتقل بعد أخذ الشهادة الرسمية التركية إلى مدرسة الفرير الفرنسية ، ثم ذهب إلى مصر وطلب العلم في الجامع الأزهر ، ثم ذهب إلى فرنسا مع البعثة العلمية الأولى للمشتقية .

مكث في فرنسا ثلاث سنوات في مدرسة زراعية ، وبعد عودته عين بيروت معلماً لزراعة مركزها الزراعي ، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ، دعي لخدمة العلم ، وعندما شعر بسوء نية الأتراك وعزمهم على القدر بشباب العرب والتخلص منهم ، فرّ من الجيش التركي بحلب والتحق بشورة الملك حسين ، وعين في دولته وزيراً للزراعة ، وعاد إلى دمشق بعد أن دخلها الجيش العربي .

وفي دمشق ألفت وزارة المعارف مجلساً للمعارف كان من أعضائه الأولين . ثم تحول هذا المجلس إلى المجمع العلمي العربي ، وبعد المدوان الفرنسي واحتلال دمشق هاجر إلى العراق وعين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين الأولى ثم دار المعلمين العالية بغداد .

ثم عاد إلى دمشق فعين أميناً لـ المجمع العلمي العربي وأشرف على إصدار مجلته زمنياً ، ثم عين مدرساً للأدب العربي في بعض المدارس الثانوية ، فمفتشاً للغة العربية ، فمديراً لمعارف محافظة السويداء ، فأستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، فنائباً لرئيس مجمع اللغة العربية .

وهذا ثبت الكتب التي ألفها أو ترجمها أو حققها :

١ - الفتح المبين في شرح عينية ابن سينا الرئيس .

٢ - دروس في صناعة الإنشاء .

٣ - مبادئ الفيزياء جزآن .

٤ - قلب الطفل .

٥ - تحقيق (كتاب المتقي من أخبار الأصمعي) للإمام الربيعي .

٦ - (تكلفة إصلاح ما تفلط به العامة) .

٧ - (بحر العوام في ما أصاب فيه العوام) .

- ٨ — شرح (الإيضاح) للقزويني .
 - ٩ — إحياء المروض .
 - ١٠ — تحقيق كتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي جزآن .
 - ١١ — تحقيق كتاب (المثنى) لأبي الطيب اللغوي
 - ١٢ — تحقيق كتاب (الإتياع) " "
 - ١٣ — تحقيق (مقدمة في النحو) خلف الأحمر .
 - ١٤ — شارك في وضع (المعجم العسكري) بقسميه (الفرنسي - العربي والانكليزي - العربي) .
- رحم الله الفقيد وأجزل ثوابه .



الشيخ محمد رضا الشبيبي^(١)

(١٨٨٨ — ١٩٦٥ م)

نعت أبناء العراق في شهر تشرين الثاني ١٩٦٥ م علماً من أعلام اللغة العربية وهو العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي . وقد شق نفيه على زملائه وصحبه لمكانته العلمية والوطنية ، ولما كان يتحلى به من أخلاق رصينة . افتقدت بوفاته اللغة العربية رائداً من روادها وحامي دمارها وشاعراً من كبار شعرائها ، وكان رحمه الله منذ نشأته وطنياً مخلصاً ، وفياً لوطنه وعروبه ، مناضلاً عن حقوق بني قومه وسيادتهم . ولد المرحوم في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦ هـ ، ودرس فيها العلوم العربية على الطريقة المألوفة في كتبها المروفة ، وعلى هذا النحو تلقى المسائل العقلية والشرعية ، ثم مال إلى الدرس الحر والتفكير المجرد من تأثير العلم والمربي واتجه إلى درس الفلسفة ومذاهب أهلها ، والتمرس بالفنون والآداب وحصل منها جميعاً نصيباً وافراً انتفع بها ونفع الناس بشمراتها . واعتزافاً بفضلها وتقديرها لعله :

(١) له ترجمة رانية بالله نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثامن صفحة ٤٩٤

بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق .

- ١ — انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩٢٣ .
- ٢ — انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة في سنة ١٩٤٧ .
- ٣ — انتخب أول رئيس للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٤٨ .
- ٤ — انتخب رئيساً للمجمع العلمي العراقي الجديد بعد ثورة ١٤ رمضان من عام ١٩٦٣ .

آثاره :

للمرحوم آثار كثيرة مطبوعة منها :

- ١ — ديوان الشبيبي .
 - ٢ — مؤرخ العراق ابن الفوطي في مجلدين .
 - ٣ — أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية .
 - ٤ — رحلة إلى المغرب الأقصى .
 - ٥ — رحلة في بادية السماوة .
 - ٦ — أصول اللهجة العراقية .
 - ٧ — إحصاء العلوم للفارابي (تحقيق) .
- وله مقالات وأبحاث ومحاضرات كثيرة نشرت في كبريات المجلات العربية .
- تفمد الله الفقيد برحمته وجزاه كل خير عما أسداه إلى أمته ولقته ودينه من تقى وخدمات جليلة .



القائف والأضخومة^(١)

أبدى أعضاء لجنة المجلة الزملاء الأفاضل رأيهم في بعض من مصطلحاتي الجدد المنشورة في المجلد ٤٠ — الجزء ٢ — ص ٥٢٥ منها كلمة (قائف) لا يقابل Archéologue وكلمة (أضخومة) لا يقابل Corset .

وإني أشكرهم لملاحظاتهم ، فقد أتاحت لي فرصة إعادة النظر في الكلمتين الفرنجيتين أولاً ، فالاهتداء ثانياً ، إلى مصطلح جديد لا يقابل (الكورسه) أحسب أنهم يستحسنونه لما فيه من معنى يحقق التصحيح الذي نشدوه من (المشد) ويتفق مع المقصود من الكلمة الفرنجية على السواء .

(١) — القائف : (الذي يتبع آثار الأقدام ويعرفها أي آثار الأقدام الخ ماورد في الملاحظة) .

قلت : أليس (الاركثولوج) كذلك يتبع آثار القدماء المندفنة تحت الأرض بتقادم العهد ويقوم بشتى الدراسات فالحفريات ويكشف عنها ويعترف عليها ؟ فمصطلحي - في اليوم الحاضر - يوافق المقصود من الكلمة الفرنجية ويدل على الغرض .

(٢) — (الكورسه) : قلت ، لم أجد في شرح الكلمة الفرنجية في معجم لاروس (ذي المجلدين) ما يشير إلى (الهيف والتحول) وإنما يذكر (تعبيل القامة pour maintenir la taille) .

ويغلب على الظن أن نساء العرب في القديم لم يكن ذوات عجيزات فبدأ هن تعظيم المجيزة وتضخيمها ليروق منظرهن في عين بعولتهن .

(١) تحترم لجنة المجلة آراء الكتاب الشخصية وتترك البت فيها للقرءاء الكرام .
(لجنة المجلة)

فهن إذن يقو من اعتدال قامتن بهذه الاعظومات ... وانعكس الأمر الآن فنجد أكثرهن عظيمات المجيزات ، فيلجأن إلى (الكورسه) لضغط المجيزة بعض الشيء لتعديل القوام ... فاذا كانت (الاضخومة) لتعظيم الأرداف قديماً ، واليوم لم تعد تصلح للتعديل والتضييق ، فننقل أذن (أنحولة ، من التحول) أو ما هو أدل على المعنى من هذه ، كلمة (أردوفة ، من الرّدف وهو الراكب خلف الراكب ، وأردفه أركبه خلفه) فالأردوفة ، على هذا ، ما تركتها السيدة خلفها . وفيها معنى (ما يحقق للأرداف الغاية المطلوبة) .

فهل توافق اللجنة المحترمة على هذا المصطلح الجديد (للكورسه) المطابق للمعنى والواقع على قدر الإمكان ؟

أما أن يحاول إيجاد كلمة أو مصطلح ينطبق تمام الانطباق على معنى الكلمة الأفرنجية ، حذو القذة بالقذة ، فهو محاولة المحال إلا فيما هو أندر . هذا وأقدر دقة الملاحظة التي أبدتها الزملاء الكرام أعضاء اللجنة وحرصهم على تحري الصواب والأصلح فشكراً لهم جميعاً مرة ثانية .

الكواكبي



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٨ —

(٧٨)

مادة غ ز ل — غَزَلْتُ .

ورد في الكامل : غَزَلْتُ أُمَّ حَيْب ، أي أَحَبَّتْ أَنْ يُتَغَزَّلَ بها
لا يذكر اللسان هذا المعنى .

★ ★ ★

(٧٩)

مادة ص ل ع — صَلَّعَ .

ورد في الكامل لنصر بن حجاج البيت الآتي وفيه « صَلَّعَ » :
فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يُصَلِّعْنَهُ رَبُّهُ يَرْفَعُ رَفِيفًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلٍ
صَلَّعَ الرَّأْسَ = أزال شعره . أفقده الشعر ، صيَّره أصلع .
هذا المعنى لم يذكره ولكنَّه ذكر وكرَّر : « وَصَلَّعَ الرَّجُلُ
إِذَا أَعْذَرَ (تَبَرَّزَ) وَالتَّصْلِيعُ السَّلَاحُ (النَجْوَى) وَقَدْ صَلَّعَ إِذَا بَسَطَهُ
(فَرَشَ سِلْحَهُ) قَالَ ابْنُ بَرِّي صَلَّعَ الرَّجُلُ إِذَا أَحْدَثَ (تَفَوَّطَ) وَيُقَالُ
لِلْعِذْيُوطِ (الَّذِي إِذَا أَتَى امْرَأَتَهُ سَلَحَ) إِذَا أَحْدَثَ عِنْدَ الْجَمَاعِ صَلَّعَ » .

★ ★ ★

(٨٠)

مادة عرض - طول - قصور .

قال مفسراً: « العرض خلاف الطول » .

« القِصَر خلاف الطول »

فالنتيجة العرض هو القِصَر - وعلاوة على هذا: لم يفسّر شيئاً لأنّ التفسير بالتقيض والخلاف وبألفاظ من المادة عينها لا يجلو المعنى وهذه السقطة متكررة في اللسان آلاف المرات .

★ ★ ★

(٨١)

مادة ذكر - أنث .

قال مؤضجاً « الذكر خلاف الأنثى »

« والأنثى خلاف الذكر من كل شيء »

★ ★ ★

(٨٢)

مادة رأى - ريّة .

قال : الريّة موضع النّفس والريّج من الإنسان وغيره ولم يفسّر أفي

موضع واحدٍ هما أم لكلّ موضعٍ ؟...

★ ★ ★

(٨٣)

مادة أس ر - أسرى .

قال « وقملي جمع لكل ما أسيوا به في أبدانهم وعقولهم مثل مريض مرضى وأحمق حتى وسكران سكرى ، ولكن إذا كان وزن قملي جمعاً لا أسيوا به وجب أن يكون جمع مريض ومحمق وسكر - فكان عليه أن يقول « لكل من أصيب في بدنه وعقله » .

(٨٤)

مادة م ج ج - ميج .

قال : « ميج الشراب والشيء من فيه رماه » .

رماه تؤدّي معنى ميج في قوله مستشهداً : « وأخذ حسوة ماء من الدلو فمجبها في بر قفاضت » . وفي قولهم مجازاً « هذا كلام تمجبه الأسماع » ولكن متى وصلنا إلى قول الشاعر :

« ولا ما تمجج النحل من متمتع فقد ذقته مستطرفاً وصفا ليا »

وقول ابن أبي ربيعة :

« ميج ذكيك لك منها مفلجج رقيق الحواشي ذو غروب مؤشّر »

رأينا أن رمى لا يؤدّي معنى ميج .

(٨٥)

مادة أس ر .

قال الجمع أسراء وأسارى وأسارى وأسرى — قال ثعلب ليس الأسر
بإمالة فيجعل أسرى من باب جرحى في المعنى ولكن لما أصيب بالأسر
صار كالجريح واللديغ فكثير على فعلى كما كثير الجريح .
ظاهر بوضوح تام أو (كما كان يقال في سوربة على عهد الأتراك)
أشكاره بالى ، أن المصنف كتب عاهة فحوّلها الناشر إلى عامة وغفلت عنها
عين المصحح ، على أن الطالب قد يفهم أن عامة جمع عائم كما أن قائف
(من قاف يقوف) جمعها قافة وسائد جمعها سادة فتصير الجملة بلا معنى ،
هي مطبعية ولا شك ولكن أيها « المراجعون » ضرر الغلطة المطبعية مثل
ضرر الأصلية

★ ★ ★

(٨٦)

مادة أس ر — أَسَّرَ ، مؤسَّرٌ .

ورد لابن أبي ربيعة :

وحبسي على الحاجات حتى كاثها بقية لوح أو شجار مؤسَّرِ
'مؤسَّر' اسم مفعول من أسَّرَ للتكثير أو المبالغة في أسَرَ بمعنى ربط ،
واللسان الذي يذكر كَسَّرَ مبالغة في كَسَرَ لا يذكر أسَرَ — و « الناقلون »
نقلوا عنه 'عدم ذكر أسَرَ' .

★ ★ ★

(٨٧)

مادة أ س ر .

روى للمعجاج :

فأصبحت بنجوة بعد ضَرَرٍ مُسَلَّمَيْنِ من إيسارٍ وأسرٍ
 فقُسرَ «أصبحت بنجوة» [ولا يُطلب من صاحب المعجم أن يفسر كلمة
 في غير بابها] بقوله : «شَرِّفاً من ضيق» [بضم الشين وتضعيف الراء] .
 ولكنَّهُ لا يذكر شَرِّفَ ، مجهول الصورة الثانية من الرباعي القياسي ،
 في مادة ش ر ف ولا المعلوم شَرِّفَ بالمعنى الذي أرادَهُ عندما قال :
 «شَرِّفاً من ضيق» فالطالب مضطر إلى الاستنتاج أن شَرِّفَهُ = جعلَهُ
 يعلو ، رَفَعَهُ ، وذلك لِأَنَّهُ يقول تشرَّفَ الربأ = علاهُ وتشرَّفَ مطاوع
 شَرِّفَ مثل كثرَهُ = جعلَهُ يكثر : شَرِّفَهُ = جعلَهُ يتشرَّفَ أي يعلو
 الاستنتاج وُضع المعجم ؟

★ ★ ★

(٨٨)

مادة و م د .

قال « والوَمَدَ لثَقَ (ثاء ساكنة) وندى يحىء من جهة البحر إذا
 ثار بخاره وهبَّت بهِ الرياح الصَّبَا فيقع على البلاد المتاخمة له مثل ندى
 السماء وهو يؤذي الناس جدًّا لثَنَ رائحته » ..

(١) قال « لثَقَ » يسكون الـثاء — وفي مادة ل ث ق يورد لثَقَ بفتح
 الـثاء تسع مرات ويؤكد الفتح بقوله « لثَقَ بالتحريك » .

٢ - إذا كان البحر غربيً البلاد التاخمة له كالبحر الأحمر
والشواطئ المرية فهل تكون الريح الهابّة بالوَمَد رِيح الصَّبَا ؟

٣ - تهبّ الصَّبَا في الحجاز وسورية ولا تحيى بالوَمَد - وعندما خاطب
ابن الفارض رِيح الصَّبَا بقوله .

أَيُّ صَبَا أَيُّ صَبَا هَجَّتْ لَنَا سَحَرًا مِنْ أَيْنَ ذِيكَ الشَّدَايِ
هل عني بالشَّدَايِ نَتْنِ الرَّاحَةِ ؟

سبب الخطأ تعميم الخصص - ابن منظور نقل عن الأزهري وأبو منصور
(الأزهري) خصص البحرين وأما الناقل فعمّم فأخطأ والناقلون لم يعمّوا في
النلط هذا لأنهم نقلوا هذه المادة عن الفيروزابادي بالحرف الواحد .

★ ★ ★

(٨٩)

مادة ودع : مودوع .

قال : مودوع : « سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ ، مصدر على وزن مفعول مثل دمسور
وميسور الخ ومودوع : ذو سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ ، اسم مفعول ولا فِعْلٌ لَهُ كَقَوْلِكَ
مُدَّرَّمٌ كَثِيرُ الدَّرَامِ وَلَا تَقُولُ دُرِّمَ فُلَانٍ ، وَمَقْوُودٌ مُصَابٌ فِي قَوَادِمِ
وَلَا تَقُولُ فُئِدَةً . »

أَيْدِ قَوْلَهُ « وَلَا فِعْلٌ لَهُ » ، بِمِثَالَيْنِ : مُدَّرَّمٌ وَلَا تَقُولُ دُرِّمَ .
وفي مادة درم (حيث يضع « درم » كأنها مشتقة من درم) يقول
قال أبو زيد « ولم يقولوا دُرِّمَ » وقال ابن جني « لكنّه إذا وُجِدَ اسم
المفعول فالفعل حاصل » .

شهادة أبي زيد شهادة بالنفي وهي شهادة مردودة . فأبو زيد لم يسمع أنهم
قالوا كذا ، ولم يصل إلى علمه أنهم قالوا ولكن هل سمع أبو زيد كل
ما قالوه ؟ وهل انتهى إلى علمه كل ما قيل ؟

وشهادة ابن جني شهادة العقل المفكر الذي لا يدعي أنه وعى كل شيء بل يبنى قوله على أحكام أساسية لا تخالف النوااميس العامة ولا تنافي روح اللغة إذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل .

قد يكون الفعل المشار إليه قليل الاستعمال ولكن القول بعدم وجوده مناقض للوضع الأساسي وهو أن اسم المفعول يشتق من الفعل .

ولابن جني قول آخر : « يجوز للشاعر أن ينطق بما يشتهيه القياس وإن لم يرد به سماع » — هذا ليس تجويزاً للشاذ بل هو تقديس للأصول . وما جاوز الشواذ إلا السماع لأن السماع بُني على الرواية والرواية أصيبت بالنسيان والتبديل والحذف والزيادة عن غير عمد وبليت بالكذب المقصود أيضا ، وابن جني لم يخص الشاعر بالجواز قصد تفيه عن الناثر بل قال يجوز للشاعر لأن معظم الأدب العربي كان شعراً .

والثال الثاني « مفعود ولا تقول قئد » ، هذا قوله في مادة ودع ولكنّه في مادة ف آد يقول « فآد » يفآد » قآدأ أصاب فؤاده . فكيف يتفق هذا وقوله « ولا فعل له » أو « ولا تقول قئد » .

هذا بشأن المثاليين وأما مودوع فإنه قال فيها « مصدر على وزن مفعول » وكلهم خلا سيديه قالوا هذا القول ، والصحيح أنه اسم مفعول استعمال مصدرأ واستعماله شاذ فلذلك حُصِرَ في ألفاظ بينها ، وهي ألفاظ قليلة الاستعمال وقال أيضاً « ذو سكينه ووقار اسم مفعول لا فعل له » ، وكلام العرب دَعُ وِدَعُ ولا يأتي منه الماضي ولا المصدر (ودَعُ) ولا اسم الفاعل . الماضي : ابن منظور يقدم شواهد على ورود الماضي منه شذوذاً والواقع أن الوارد هو القياسي وأن قوله « هو الشاذ » فيذكر الآية : « ما ودّعك ربك وما قلى » . (سورة الضحى ٣) أي لم يقطع الله الوحي عنك — [وابن عباس يقول في تفسيره : « ما تركك منذ أوحى إليك » ، ولفظة

ودعك غير مشكّلة - والطبعتان العثمانية والمصرية تقولان ودّعك بتشديد الدال [على أن ابن منظور يقول «وعليه قرأ بعضهم» (ومنهم عروة بن الزبير) «ما ودّعك ربّك» بتخفيف الدال . فيموجب هذه القراءة (ولا تناقض في المعنى بين القراءتين) الفعل الماضي ودّع موجود في الاستعمال .

ثم أورد بيتاً لأبي الأسود الدؤلي :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودّعه

روى مثله عن الأصمعي لأنس بن زعيم :

ليت شعري عن أميري ما الذي غاله في الحب حتى ودّعه

وروى لشاعر :

وكان ما قدّموا لأنفسهم أكثر نقماً من الذي ودّعوا

وروى عن ابن بري لسويد بن أبي كاهل .

سلّ أميري ما الذي غيرته عن وصالي اليوم حتى ودّعه

وأشدّ لآخر :

فسمي مسعاته في قومه ثم لم يذكرك ولا عجزاً ودّع

ونقل عن ابن الأثير (النهاية) «وقد جاء في غير حديث حتى قرىء به» .

فبناءً على شواهدنا : الفعل الماضي الثلاثي موجود أو حاصل كما أصاب

ابن جني .

المصدر : أورد ابن منظور من حديث ابن عباس أن الرسول قال ليتبين

أقوام عن ودّعهم الجمعات أي عن تركهم إياها . فالمصدر موجود وقد

روى عن أفصح العرب .

اسم الفاعل : وأورد بيتين فيها وادع بمعنى تارك .

عن الفارسي : فأثيها ما أتبعن فأنني حزين على ترك الذي أنا وادع

لمعّن أوس : عليه شرب ليلن وادع العصا يساجها حمائه وتساجلته

فاسم الفاعل موجود أيضاً .

وكما أن الماضي من يدع بمعنى ترك موجود رغم قول بعض النحاة بعدم وجوده ، لنا أن نستنتج أن الفعل الماضي من هذه المادة ، بمعنى جعله ' ذا سكينه ووقار موجود أيضاً .

يقول : مودوع ذو سكينه ووقار . ولا فعل له' .

وابن جني يقول : اسم المفعول موجود فالفعل موجود ، — والفعل الذي اشتق منه اسم المفعول يجب أن يكون متعدياً .

الفعل اللازم ورد : ودع وداعة أو دعة' . كان ذا سكينه ووقار .
فهل في طبيعة اللغة أن يقال ودعة' أي صيره' ذا سكينه ووقار ؟
لأخذ مثالا قياسياً (غير فادر) : منع مناعة كان حصينا عزيزاً
(محارمك امنعها من القوم اني أرى جفنة قد ضاع فيها المحارم)
منعه' حماه' وصيره' حصينا عزيزاً .

فالماضي من مودوع موجود أمّا كثرة استعماله أو قلته' وإقبال الشعراء والكتاب عليه أو إشارتهم سواء فأمور متعلقة بعلم البلاغة أو بعلم المعاني والبيان .

★ ★ ★

(٩٠)

مادة هل ع — أهلك .

في مادة جزع يذكر تعدية هذا الفعل بالهمزة : « وأجزعه' غيره' » .
ولكنه' لا يذكر في مادة هلع تعديته' بالهمزة كأنه' أهلك غير موجود .
روى البرد للرياشي (وقدّر ابن المكرم البرد معروف)
حتى إذا انقطعت عني وسائله' كف السؤال ولم يولع' ياهلاعي

★ ★ ★

(٩١)

من مظاهر عدم مبالاة الناشر بالمراجعة والضبط ما يأتي :
 جاء في بداية الأول : « وُلِدَ في المحرم سنة ٦٩٠ و توفي سنة ٧٧١ » .
 وفي ختام الجزء : « وُلِدَ سنة ٦٣٠ في المحرم ومات في شعبان سنة ٧١١ » .

★ ★ ★

(٩٢)

الألف في الجزء الأخير في باب الألف (وهي الحرف الثامن والعشرون ،
 الحرف الذي لا يُبتدأ به ولا يقبل الحركات مطلقاً والذي يحتاج إلى حرف
 مفتوح 'يكتب قبله') قال : « الألف تأليفها من همزة ولام وفاء وسميَّتْ
 ألفاً لأنها تألف جميع الحروف » .

غريب إقبالهم على الأخذ بالظواهر ، بهيأة الكلمة ، وأعجب منه إقدامهم
 على الاستنتاج من الشكل الخارجي . « أو لم يقل الجند إنَّ أصل اسطرلاب
 أن رجلاً اسمه لاب كتب أسطراً في الفلك ؟ » أو لم يرد في القاموس وفي
 اللسان أن أصل « المد » [لفظة موروثه في الأُم الشاميَّة] أن يمدَّ الرجل
 يديه فيملأ كفتيه طعاماً ، « و ملء كفتي الإنسان المعتدل إذا ملأها ومدَّ
 يده بها [أي مدَّ يده بكفتيه] — هذا تعبير يحتاج تفسيره » إلى معجم
 كبير [ومثلها أمثال كثيرة .

سميَّتْ الألف ألفاً لأنَّ الذين وضعوا الأبجدية سمَّوها « أولف » ،
 وعندهم ورثناها وتصرفنا في لفظها موافقةً لطبنا .

★ ★ ★

(٩٣)

مادة هرر - تعقر.

في آخر مادة «هر» يورد بيتاً للمؤرج .
 يالك من قنبرة وقنبر كنت على الأيام في تعقر
 ويفسر كلمة تعقر في مادة هر (وهو ليس مطلوباً منه) بقوله أي
 «الصبر والجلادة والله أعلم» ، وجميل جداً إظهاره التقوى واتضاعته أمام
 علم الله تعالى .

لو قرأ طالب هذا البيت في كتاب ما ولم يفهم معنى تعقر فأين يطلب
 الكلمة؟ هل يطلب تعقر في هر؟ بل يطلبها في عقر فيقرأ تسع صفحات
 أكثرها لوك ، ولا يجد ما هو طالبيه - وان كان المصنف مكتفياً بقوله
 تعقر الشحم اكتنز كل موضع من الجسم شحماً ليخرج التفسير بالمجاز
 والمقابلة فلماذا فسر في هر بالصبر والجلادة؟

(٩٤)

مادة ح ن ن - مستحين .

استشهد بالبيت الآتي :

لقد تركت فؤادك مستحجناً مطروقة على الفصن تغشى

فقال في التفسير المستحين الذي استحجته الشوق إلى وطنه .

(١) فسر المستحين بفعل استحن وهذا ليس بمستغرب فإنه آفة
 علمائنا في القرن العشرين أيضاً إذ ترى الكبير منهم يفسر فعل اقتدى بقوله
 هذا من الاقتداء .

(٢) في البيت مستحِينٌ اسم فاعل ، صفة للفؤاد فيكون الفؤاد هو فاعل الاستحسان .

وفي التفسير يحوّل الفؤاد إلى الذي وقع عليه الاستحسان والذي قَعَلَ هو الشوق . فالتناقض بين الوضع في البيت والوضع في التفسير جليٌّ . والبيت صحيح والتفسير غير صحيح — وابن منظور نفسه يوردُ هذا الفعلَ فعلاً لازماً بقوله استَحْتَتِ الرياحُ واستحِنَّ استطرب كما فعل المجد بقوله استحِنَّ مثل حنَّ حيناً — على أنّه في تفسيره البيت حوّلَه إلى فعل متعدٍّ .

★ ★ ★

(٩٥)

مادة غ ف ل — اغتفل .

لا يذكر فعلَ اغتفلَ — وهو واردٌ في الكامل ومعناه ' اغتَم غفلةً ... ' ،
' تحذِرُ سؤولُ فأنا آَمَنُ ' أن يُغْتَفَلَ ، .

★ ★ ★

(٩٦)

مادة ج س و — جَسَاوَة .

لا يذكر لفظة جساوة — ومعناها الصلابة .

وردت في الكامل : ' ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه ' إلى القساوة
فقد اِجْطَلَطَ كلُّ بِكُلٍّ ، .

★ ★ ★ .

(٩٧)

مادة أرز — أرز ، رز ، رز ، أرز كله ضرب من البئر .
وهو الذي يقول بز البئر الحنطة والبئر أفصح من قولهم القمح والحنطة .

★ ★ ★

(٩٨)

مادة أرز — الأرز .

قال اللسان : « قال أبو عبيدة الأرز شجر صنوبر » .
« الأرز العرعر شجر بالشام ويقال لثمره الصنوبر » .
« وقال أبو حنيفة أخبرني الخبير أن الأرز ذكر الصنوبر » .

لا أبو عبيدة ولا أبو حنيفة ولا ابن منظور رأى شجرة أرز أو شجرة
صنوبر فتوم أبو عبيدة واتكل أبو حنيفة على « خبير » وعنهما نقل ابن منظور
فأخطأوا ، وفهمنا لماذا أخطأوا — ولكن متعجبي القرنين الأخيرين
التاسع عشر والعشرين ، [والثلاثة أبناء لبنان — الثلاثة عاشوا بين الأرز
والصنوبر] كان الواجب عليهم ولو في هذه التبعة فقط أن يرتفعوا عن النقل
الأعمى . ففي محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان الأرز هو الصنوبر
أو ذكر الصنوبر .

★ ★ ★

(٩٩)

في مادتي حلا وحكى يكتسب سُيْلَ : [الهمزة في الوسط ومتحركة
ترسم على حرف حركتها] — تخركت بالكسر فكتبت على ياء . هذا رسم الهمزة

على قاعدة . وفي مادة سأل يقول والمضارع يسأل : الهمزة في الوسط وحركتها فتحة فكتبت فوق ألف . وهذا على القاعدة ذاتها . ولكنه عندما يكتب تسئل في الشاهد (مادة حلا) فهل في استطاعته كان أو في إمكان أحد أن يضع قاعدة " لرسم همزة مفتوحة ومتوسطة وما قبلها ساكن على ياء ؟ وإن كان في استطاعته أن ينص " فلماذا رسمها في باب سأل يسأل على ألف ؟ قد لا يكون الخطيء ابن منظور فليُجِبِ الناشر .

★ ★ ★

(١٠٠)

الحقّة في النقل .

قال في مادة أثار : وأثرُ السيف (المثلثة ساكنة) تسلسله ودياجته . فإني إن أقع بك لا أهلك كوقع السيف ذي الأثر الفيرثد . روى الراوي الشاء بالفتح فقام ثعلب [وكان ندّ المبرّد] وقال إنغا أراد ذي الأثر (بالسكون) خرقه للضرورة . وقول ثعلب خلط بل علمك إن صحّ أنّه قال ، إذ لا ضرورة هنا في الوزن — ومع أنّ ابن سيده قال « لا ضرورة » أصرّ ابن منظور على نقل كلام ثعلب .

★ ★ ★

(١٠١)

مادة خ ض ع — اختضع .

قال : « اختضع ذلّ — خضع الرجل رقبته فاختضعت — يظلّ مختضعا أي مطأطأ الرأس — والاختضاع المرّ الشريف — والاختضاع سرعة سير الفرس . »

خمس مرّات يذكر فعل اختضع وهو فيها كلّها فعلٌ لازم ولا يُورده متعدياً - والقاموس مثله حتى انه لما قال اختضع خضع (وخضع يأتي متعدياً ولازماً) زاد مستدركاً كاختضوع (ووزن افوعل لا يكون إلا لازماً باستثناء اعرورى واحلولى) خوفاً من أن يفسّر اختضع يخضع لازماً ومتعدياً .
لكنّه في مادة دل ف ، يفسّر الدالف بقوله « الكبير الذي اختضعته السين » فهذا جعل خضع متعدياً ، وعلى فرض بجي « اختضع متعدياً ، فلماذا لم يذكر ذلك حيث يجب ذكره مفصلاً بل أبقاه لدلف فورد عَرَضاً .

★ ★ ★

(١٠٢)

مادة ث ن ي — اثنين .

قال : « والألف في اثنين ألف وصل فإذا كانت مقطوعة في الشعر فهو شاذ » كما قال قيس بن الخطيم :

إذا جاوز الإثنين سرّ فائته بنتيّ وتكثير الوشاة . قمين

(١) هو نفسه يقول في باب الألف : « الألف على ضربين لينّة ومتحرّكة فاللينّة تُسمّى ألفاً والمتحرّكة تُسمّى همزة . » معناه أن الألف القديمة التي كانت قبل الإصلاح العربي العظيم ، أي ألف السريان والفينيقيين واليهود ، قسمها العرب إلى قسمين : التي لا تُستعمل إلا لتمديد صوت الفتحة ولا تقبل الحركات عليها مطلقاً أي لا تتحرك ولذلك لا يصح تسميتها المتحرّكة — أمّا التي كانت تُهمز في الأُمّ الشامية وتحرّك كما لا يزال السريان والعبران يهمزونها ويحركونها ، فسُمّيت همزة ووُضِعَتْ لها علامة وصارت الهمزة الحرف الأول والألف صارت الثامن والشرين فلا يجوز لأحد بعد الإصلاح أن يعود إلى المختلط القديم فيسمّي الهمزة ألفاً .

(٢) قال « فإذا كانت مقطوعة ... » كلمة مقطوعة ضللت كثيرين لأنهم فهموا أن القطع هو ذلك الصوت الحلقى القاسي الذي عناء الرسول بقوله لا تنبر اسمي لما ناداه أحدكم أيها النبي . ولكن القطع في الهمزة شيء آخر كما سيجيء . وقسم العرب المصلحون الهمزة إلى همزة أصل كما في أخذ وسأل وقرأ وهمزة فصل كالتي في أكرم وهمزة وصل — ثم أطلقوا « همزة قطع » على القسمين الأولين فشملت التسمية همزة الفعل المهموز وهمزة الاستفهام وهمزة المضارعة وهمزة الزيادة وهمزة القلب أو البدل . وسميت « همزة قطع » لأنها تقطع ما قبلها عما بعدها في القراءة فتلغظ لفظاً واضحاً وإن سبقها مقطع فكلمة همزة تدل على نبر الصوت وكلمة قطع تدل على وظيفة الهمزة ، فهي بموجب وظيفتها قاطعة غير مقطوعة . كذلك همزة الوصل فوظيفتها أن تكون واصله ما قبلها بما بعدها فما قبلها موصل بما بعدها أو ما بعدها موصل بما قبلها لذلك تسقط لفظاً لا خطأ حيث يقع الالتباس وتسقط لفظاً وخطأ حيث يؤمن اللبس — ولكنها تثبت في الابتداء أي في أول الجملة أو في الكلمة المنفردة : أي تثبت خطأ ولفظاً .

فموجب الإصلاح العربيّ الفريد الذي لا مثيل له في لغة أخرى أغرية كانت أم شرقية ، كان على المصنّف أن يقول : « والهمزة في اثنين همزة وصل فإن أبدلت منها همزة قطع في الشّعر فهو شاذ » .

ثم يقول بعد الشاهد الثاني :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً على حدّ ثان الدهر منّي ومن مجلٍ

« وقد قطعها » الشاعر على التوم — ونقل المجميون عنه مع إيضاح على التوم فقالوا « على توم الأصالة » أي أن الشاعر توم أن همزة الوصل همزة أصل ، وهذا لا معنى له لأن الشاعر مها كان لا يتصور مثل هذا التصوّر . ولكن الشاعرين استعمالاً همزة القطع (شذوذاً) مكان همزة الوصل

محافظة على الوزن لأثثك إذا وصلت الزاي المفتوحة أو الراء المفتوحة
(في المثالين أعلاه) اختلّ الوزن وإذا قطعت الراء والزاي عن اللام والهاء
بلفظك الهمزة صحّ الوزن .

والمزج بين الألف والهمزة بعد الإصلاح ليس محصوراً في ابن منظور
بل هو عام — وابن فارس الذي فخر بأن العرب أوّل من همز يمزجها
أيضاً فكانه ضرب من « الإسكيزوفرنيا » [ولم أطلع على الاسم الذي وضعته
مدارس الطب العربية لهذه الحالة العقلية] : مفاخرة بالإصلاح وحين إلى
القديم المطرّح .

★ ★ ★

(١٠٣)

في مادة س ن ر يقول قال أبو عبيدة ... وأنشد :

سهيكن من صدى الحديد كأنهم تحت السنور جبة البقار
[بضم جيم جبة رفعا للشك]

ولم يذكر لمن البيت — فيكون قد شبه الجيش بجبة بائع البقر فلائته
كلام بلا معنى يقول إن فيه غلطة من الناشر — ولكن صاحب البستان نقله
كما هو ولو كان بلا معنى : كفاء أثه « هكذا ضبطه اللسان » كما يقولون .

وفي مادة س ه ك يستشهد اللسان بهذا البيت مرة ثانية ويقول قال النابتة
(يعني الدياني) ... تحت السنور جنة البقار .

فصار للبيت معنى : كأنهم الجين القاطنون في بقار (اسم موضع) ..

★ ★ ★

(١٠٤)

مادة هبق — الهَبْرَقِيّ .

قال الهَبْرَقِيّ من الثيران السنّ الضخم واستعاره صخر الغي للوعل
السنّ ، فقال بصف وعلاً [وقد استعار له اسم الهبرقي] .
به كان طِفْلاً ثم أسدّس فاستوى فأصبح كهنّاً في لهوم
ولكن أين الشاهد؟ وأين تمة البيت؟ أين الهبرقي .

المصحح اكتشف أن البيت ناقص فكتب على الهامش « كذا بالأصل
وهو ناقص فليحرّر » ولكنه لم ير أن كهنّاً بفتح اللام خطأ وأن الصحيح
الليهم بكسر اللام .

هذا البيت أولاء المصنّف في مادة ق ر ب — ق ر ه ب — وفي مادة ل ه م
تاماً وبلاد لهم مكسورة . فأصبح كهنّاً في لهوم قراهب — ولكن أين
الشاهد على الهَبْرَقِيّ؟

★ ★ ★

(١٠٥)

مادة س ب ب ب .

يذكر سبّ وسابّ واستسبّ ولكنه لا يذكر استبّ مع أنه استشهد
بقول فيه هذا الفعل ، في مادة ب س ت ق :
ولم يُستبّ ساكنها عشاء

وفي الكامل قال أبو العباس « وفي مجلسه لا يستبّ اثنان » .

★ ★ ★

(١٠٦)

مادة ه ب ل .

قال مستشهداً : « قال الهذلي .

لا تَقِهِ الموتَ وَتَقِيَّائُهُ خُطُّ لَهْ ذاك في المييل

البيت فيه فلسفة الهذلي في القدر ولو قال « لا تدفع الموت » لكانت لفتته صحيحة وما تغير شيء من نظره . ولكنه « نظرف فقال » لا تَقِهِ ، للمجانسة بين الفعل والفاعل وإذا لم يسمح له الوزن برفع المضارع جزمته في غير نهي فبدلاً من (لا تَقِهِ) قال لا تَقِهِ ، أي أنه فضل قسرة المجانسة على ثواب القاعدة ، واللسان روى هذا الإخلال غير متعرض وعن اللسان روى البستان فراد على الإخلال إفساد المعنى وكسر الوزن بقوله .

خُطُّ لك ذلك في المييل

★ ★ ★

(١٠٧)

الفساد الحاصل من التساهل في اللفظ مثل الفساد الحاصل من التساهل في الشرائع .

الخطأ مرفوض فلا يخرج عليه خطأ ثانٍ ولو نطق بها كبيرٌ — العين ، عضو البَصَر ، لفظة مؤنثة ، فلا يجوز تذكيرها بالمثل على بَصَر ولا على طَرَف . والشاعر الذي ينجل بالأصول من أجل الوزن أو القافية ليس شاعراً من الطبقة التي يستشهد بها في اللفظ . وإن جاز أن يذكر قوله في مبحث فلسفي . قال في مادة ص رد — صرخد : « قال الراعي .

ولَذَ كَطْعَمِ الصَّرْخَدِيِّ طَرَحْتُهُ عَشِيَّةَ خَمْسِ الْقَوْمِ وَالْعَيْنُ عَاشِقَتُهُ
واللَّذَ النُّومُ قَالَ ابْنُ بَرَسِيِّ وَرَوَاهُ ابْنُ الْقَطَّاعِ وَ « الْعَيْنُ عَاشِقَتُهُ »
(بَفَتْحِ الْقَافِ) قَالَ وَالضَّمُّ أَصَحُّ لِأَنَّ قَبْلَهُ .

وَسِرَّ بِالِ كَتَّانٍ لِبَسْتِ جَدِيدَهُ عَلَى الرَّحْلِ حَتَّى أَسْلَمَتْهُ بَنَاتُ قَهْ
وَالهَاءُ فِي عَاشِقَتُهُ تَعُودُ عَلَى النَّوْمِ وَذَكَرَ الْعَيْنُ عَلَى مَعْنَى الطَّرْفِ كَقَوْلِ
طَفِيلٍ « وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمَدِ الْحَارِيِّ مَكْحُولٌ » فَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا التَّخْرِيجِ بِالْحَمْلِ
عَلَى مَعْنَى كَذَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَذْنَاهُمَا طَوِيلَانِ ، عَلَى مَعْنَى مَسْمَعِيَّيْهَا — أَفْنِ
أَجَلَ بَنَاتِي يَقُولُ وَالْعَيْنُ عَاشَتْ وَيُثَبِّتُهُ اللِّسَانُ حِجَّةً لِمَنْ يَرِيدُ الْعَبَثَ بِلِ الْعَيْثِ .

★ ★ ★

(١٠٨)

مادة ص خ د . الصُّخْدُ .

قال صخرة صيخود صمَاء راسية شديدة — الملساء الصُّلْبَةُ لَا تَحْرُكُ مِنْ
مَكَانِهَا وَلَا يَعْمَلُ فِيهَا الْحَدِيدُ : « حَمْرَاءُ مِثْلُ الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ » قَالَ
ذُو الرُّمَّةِ « يَتَبَعْنَ مِثْلُ الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ » . وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ « ذَوَاتُ
الشَّخَابِيبِ الضَّمُّ مِنْ صِيَاحِيدهَا .

استشهد بعليٍّ وذو الرُّمَّةِ وَآخِرُ لَمْ يُسَمِّهِ ، فَمَا بَقِيَ عَلَيْهِ كَانَ إِلَّا أَنْ
يُورَدَ بَيْتُ حَكَمِ الشُّعْرَاءِ وَشَيْخِ عَكَازِ .

بِتَكْلَمِ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَةً لَدَنَتْ لَهُ أَرْوِي الْمَضَابِ الصُّخْدِ

وبعد رواية البيت أَنْ يُفْسِّرَ الصُّخْدُ أَيُّ أَنَّهُ يَفْسَحُ لَهَا فِي اللِّسَانِ .

★ ★ ★

(١٠٩)

مادة ق ذ ع — قاذع .

بمعنى الشتم ، يذكر قذع (ويُنكره الأزهري) وأقذع والصفات :
مُقذِع وقذع وقذيع وقذِر وأقذع بمعنى فاحش . ولكنه لا يذكر فعل
قاذع بمعنى شاتم أو هاجي ، وهذا الوزن (مبادلة الشاتم) وارد في شعر الديلمي :
قَبْلَكَ مَا شُيِّمْتُ وَقَانَعُونِي فَمَا زُرَّ الْكَلَامُ وَمَا شَجَانِي
القاموس يذكره : قاذعه = فاحشه وشاته .

★ ★ ★

(١١٠)

مادة ن ك ح — مرض الاسترخاء هو آفة المصاين بداء « هكذا ورد ،
ولو خالف المبادئ » .

قال وفي حديث معاوية « لست بشكحٍ طَلْقَةٍ ، أي كثير التزويج
والطلاق — والمعروف أن يُقال تُكْنَحُ لأن فُعْلَةً من أبنية البالغة لمن
يكثُر منه الشيء ولكن هكذا روي — انتهى .
أفلا شجاعة فيقول أخطأ الراوي أو أخطأ معاوية ؟ !

★ ★ ★

(١١١)

مادة ن ي ب — ناب .

قال « الناب المسنة من التوق ولا يُقال للجمل (المذكر) ناب » . ثم
قال « أعطاه ثلاثة أنياب جزائر » . هذا تناقض فتلاثة لا تكون إلا مع
المذكر وأنياب جمع لمؤنث . أمطبية ؟ فإن الناشر ؟ هذا مُعْجَم ! هذا مَرَجِج !

★ ★ ★

(١١٢)

مادة ذكر .

قال امرأة ذكيرة ومذكّرة ومتذكّرة = متشبهة بالذكور .
استعمال متشبهة صحيح لأنّ المرأة عاقلة — ويقول أيضاً وناقاة مذكّرة
متشبهة بالجل في الخلق والخلق . أما هنا فاستعمال متشبهة خطأ لأنّ
الناقاة لا تقارن فعل الإرادة والاختيار فتشبه بالجل في الخلق والخلق .
فالناقاة المذكّرة إنما هي الشبهة بالجل ولا يجوز الاعتذار بأنّه حمل الناقاة
على المرأة لأنّ هذا الحمل هو الخطأ بینه .

★ ★ ★

(١١٣)

مادة ف ه س — فهرس .

قال { عن الليث : الفهرس = الكتاب الذي تجمع فيه الكتب .
وعن الأزهري : ليس بعربي محض ولكنّه معرّب .

عبارة الأزهري فيها حشو — فقوله « ليس بعربي » كافٍ — وقوله
« معرّب » يفيد الشيء ذاته « ومحض لا تفيد شيئاً .

وأما جملة الليث فلا يفهم منها شيء — لنفرض أننا رأينا ، فهرس الكتاب ،
وأردنا أن نفهم معناها من المعجم — لنضع بطريقة إبدال مساوٍ بمساويه
كما في علم الجبر ، حدّ الليث لفهرس مكان فهرس في « فهرس الكتاب » ،
فالنتيجة تكون : الكتاب الذي تجمع فيه كتب الكتاب . فهل يتقدم عاقل على
إعادة طبع اللسان وذا الهذيان فيه ؟

★ ★ ★

(١١٤)

مادة ن ص ر .

قال : نَصَّرُ صنم وقد نقي سيويوه هذا البناء في الأسماء .
قال الأصمعي إنما هو [أي نبوخذ نصر الذي استولى على اورشليم]
بُؤْخَتْنَصَّر — وبُؤْخَتْ ابن ونَصَّر صنم وكان وُجِدَ عند الصنم ولم
يعرف له أب فقيل هو ابن الصنم .

متى كان الأصمعي عالماً باللغة البابلية ؟

نبو : اسم إله ومعناه العلي .

نَصَّر = الحد

نَصَّر = أعان — حمى — فالاسم معناه : نبو يحمي الحدود .

يتبع : (سنڀولو) توفيقى داود قريبان



تصحيح تاريخ وفاة

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الجزء الأول من المجلد
الحادي والأربعين الصادر بتاريخ (كانون الثاني ١٩٦٦ م = رمضان ١٣٨٥ هـ)
بحثاً بعنوان « قاسم بن ثابت الرقسطي وكتابه في غريب الحديث المسمى
بالدلائل » للأستاذ التنوخي ، وقد جاء في حاشية الصفحة الرابعة من المجلة
المذكورة أن النصر بن شميل كانت وفاته في سنة ٥٨١ هـ سهواً ،
فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان وابن خلكان في وفیات الأعيان
أن وفاته كانت سنة ٢٠٣ هـ أو ٢٠٤ هـ ، وقد نبه المجمع العلمي إلى هذا
الخطأ الأستاذ علي الفقيه حسن ، ولذلك ينشر المجمع بهذا التصحيح
التاريخي لإفادة القراء ، وليجزل للأستاذ الفاضل الشكر والثناء .



مجلة

مجمع اللغة العربية بمصر

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٦٦م جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦هـ

الموسوعة العربية الميسرة

مقدمة :

الموسوعة مصطلح عربي حديث لما يسمى بالفرنسية Encyclopédie أي جملة المعارف ، أو الكتاب الذي يتناول أسس جميع العلوم ، أو الذي يتناول جميع أجزاء علم من العلوم ، كقولنا أنسيكلويدية حقوقية أو زراعية وهكذا .

ومن المصطلحات العربية الحديثة لهذه الكلمة الفرنسية « المعلّمة » ، ومنها « دائرة المعارف » . فهذه ثلاثة مصطلحات معروفة لمسمى علمي واحد مشهور . وهذا الأمر دليل من الأدلة الكثيرة على حاجتنا إلى توحيد المصطلحات العلمية ، وهي الحاجة التي طالما بحثنا فيها .

والظاهر أن الشيخ إبراهيم اليازجي كان أول من سمي هذا النوع من المؤلفات بكلمة «موسوعات»، ذاهباً إلى أن طاشكبري زاده استعمل هذه الكلمة في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة». ولكن ما جاء في كتاب طاشكبري المذكور هو كلمة «موضوعات»، أما كلمة «موسوعات» التي رآها اليازجي فهي مصحفة، على ما كان أثبتته أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملي (١).

وكلمة موسوعة التي هي اسم مفعول من توسيع الشيء لا وجه علمي لها، فهي لا تدل على أنها تسع العلوم، وهي حديثة كما قلت لم أرها في معجم قديم ولم أصادفها في كتاب من كتب الأدب القديمة حتى في مثل قولهم موسوعة الأشياء لا العلوم.

أما «المعلّمة» فقد وضعها الأب أنستاس الكرملي. وهي أصلح بكثير من «الموسوعة»، فالمعلّمة على وزن مفعلة، صيغت قياساً من كلمة «علّم» الثلاثية، وهي تدل على المكان الذي تكثر فيه العلوم. ومثل هذا المكان قد يكون أداة أو يكون وعاء، فالمعلّمة وعاء العلوم. ويمجوز كسر ميمها لأن الوعاء ربما يحمل على أنه آلة للحفظ.

وأما اصطلاح «دائرة المعارف» فقد كان العلم بطرس البستاني أطلقه اسماً لسفره الجليل الذي يعاد اليوم تأليفه وطبعه في بيروت في حلة جديدة. وكان هذا الاصطلاح اسم علم لذلك المؤلف، ثم صار اسم جنس لكل معجم جامع للعلوم. ولهذا كان الأستاذ محمد فريد وجدي قد سمي معجمه العلمي الموجز «كنز العلوم واللغة»، وسماه بعد أن توسّعه «دائرة معارف القرن العشرين» الميلادي، أو «دائرة معارف القرن الرابع عشر» الهجري. وزى الذين ترجموا الأنسكلويدية الإسلامية قد سموها «دائرة المعارف الإسلامية».

(١) من بحث لأحمد تيمور باشا في هذه المجلة (المجلد الثالث سنة ١٩٢٣ ص ٥٦).

والكلمة الفرنسية من أصل يوناني . وهي مؤلفة من ثلاث كلمات بمعنى « في دائرة المعارف » ، فمصطلح « دائرة المعارف » هو إذن أصلح المصطلحات الثلاثة من حيث المعنى ، ولكنه مؤلف من كلمتين . ومن الأصلح أن يكون المصطلح كلمة واحدة تيسيراً للنسبة إليه ، فهل نختار « المدلة » أم نختار « الموسوعة » ؟ فالأولى لها وجه علمي صحيح كما قلت ، وهي تستعمل في العراق والشام . أما الثانية التي لم أر لها وجهاً علمياً فهي شائعة في مصر خاصة . وقد بدأت تشيع في غيرها . ويكفي لإشاعتها أن تجمي اسماً لمثل المعجم العلمي الذي تتكلم عليه (١) . وقد فتشت في « المعجم الوسيط » عن المصطلحات الثلاثة فلم أجدها . ولا أدري هل أقر بجمع اللغة العربية في القاهرة أحدها ، أم أقر غيرها ، أم لم يقر للكلمة الفرنسية مصطلحاً عربياً ما حتى الآن وهو ما أظنه .

ما هي « الموسوعة العربية الميسرة » ؟

للولايات المتحدة الأميركية ، في البلاد العربية ، خطة سياسية ترمي إلى بث ثقافتها بالاتفاق على ترجمة كتب أميركية إلى لساننا . وقد ترجمت حتى الآن كتب كثيرة مفيدة . وآخر ما اطلعنا عليه منها هذه المعلقة التي نشرت في سنة ١٩٦٥ .

وأداة النشر هي « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » ، فهي التي أنفقت على إنجاز قسم من المشروع ، كما أنفقت « مؤسسة فورد » الأميركية على

(١) صدر في سنة ١٩٦٥ م في بيروت معجم سمي « الموسوعة في علوم الطبيعة » . وصدر في بيروت أيضاً سميان أحدهما سمي « للرجع » ، والثاني « الرائد » ، ولعلنا نتمكن من إبداء رأينا فيها .

إنجاز قسمه الأكبر . وقد اتخذت مجلة أميركية أساساً للعمل ، وهي « موسوعة كوليبيا فاينكنج دسك » ذات المجلد الواحد .

ومن الطبيعي القول بأن فائدة الأميركيين في مثل إصدار هذه الموسوعة بالعربية إنما هو تعريفنا برجالاتهم من علماء وسياسيين ، وتعرفنا بتاريخ بلادهم وجغرافيتها وغير ذلك ، ونحن لا ننكر الاطلاع على ثقافة الشعوب الأجنبية أياً كانت بشرط أن لا يؤثر ذلك تأثيراً مضرًا في ثقافتنا العربية . أما فائدتنا من مثل هذه الموسوعة فهي أنها تطلعنا على بجمال معارف عصرية مختلفة ، عدا أنها تتيح لنا أن نضم إليها الكثير من معارف بلادنا العربية في القديم والحديث .

فمنذ بضع سنوات تألف في القاهرة مجلس سمي مجلس المديرين مهمته إصدار هذه الموسوعة مستعيناً بعدد من الخبراء الاختصاصيين بمختلف العلوم . وكان زميلنا في مجمع القاهرة المرحوم محمد شفيق غربال رئيس هذا المجلس . وفيه سبعة عشر عضواً ، معظمهم مصريون ، وكلهم من العلماء والأدباء المبرزين بسعة معارفهم . أما الخبراء فعددهم يقارب المائة . ومعظمهم مصريون أيضاً . وكل منهم اختصاصي بمادته العلمية .

صدرت الموسوعة سنة ١٩٦٥ م ، وقامت على أساس اطراح التفصيلات التي لاهمنا في الموسوعة الميسرة الأميركية الملحق إليها ، وعلى إضافة ماله صلة بنا من المعلومات في العلوم المختلفة ، فجاءت المجلد في مجلد واحد ضخمة يشتمل على ألفي صفحة كبيرة ونيف .

ومن الطبيعي أن لا يحجب هذا العمل الشاق خالياً من الأغلاط والهفوات والنواقص والزوائد ، وهذا ما أدركه القارئون عليه فقالوا في المقدمة : « إنها (أي الموسوعة) تطمح في أن تتلقى عشرات بل مئات من الملاحظات

والنقد الأمين المخلص الذي يتطلع إلى الكمال ، لا الذي يتلمس النقص أو يتصيد . إنها ترجو أن تكون هذه الطبعة المحدودة العدد بمثابة التجربة الأخيرة من تجارب المطبعة ، تعرض على القراء ليشاركوا بدورهم في أن تكون طبعتها المقبلة أقرب إلى الكمال ، .

وفي آخر المقدمة قالوا : « وكلنا أمل في أن تكون هذه الموسوعة العربية المبصرة مجرد البداية الطيبة المتواضعة في سبيل الموسوعة العربية الكبرى التي نأمل ألا تطول أعوام انتظارها ، .

إن كلاماً مذهباً كهذا الكلام يقوله واضعو المقدمة قد حداني على قلب صفحات من الموسوعة وإبداء ملاحظات موجزة جداً على ما استوقف نظري فيها .

ملاحظاتني على الموسوعة العربية المبصرة :

- ١ - جميع مواد الموسوعة غير مشكلة . وهذا نقص كبير أرى ضرورة تلافيه كلياً أو جزئياً ، ولا سيما في أسماء الأعلام الأجنبية وأسماء الأعيان المعتبرة .
- ٢ - من الضروري في نظري أن تكتب بحروف لاتينية أسماء الأعلام الأجنبية كأسماء الأشخاص وأسماء البلاد والمدن والمواقع الجغرافية ، وكذلك الأسماء العلمية للنبات والحيوان ، فقد جاءت كلها بحروف عربية غير مشكلة ، ولم تذكر بحروف لاتينية ، ولهذا أسمى من الصعب جداً معرفة صحة عدد كبير من تلك الأسماء . ولنضرب كلمة 'مغاث' مثلاً فاللغات معروفة في مصر . وجاء اسمه في الموسوعة بالثاء ، والصحيح بالطاء . ثم جاء اسمه العلمي هكذا « جلوسستيمون بروجيوري » فهل يستطيع غير العارف بهذا الاسم أن يحزر ماهي صحته ؟ وهو بالحروف اللاتينية Glossostemon Bruguieri . ولتذكر أيضاً الخيار مثلاً- ، فقد ذكروا أن اسمه العلمي « كيوكيوميس سباتيفس » ،

والصحيح « كوكوميس ساتيفوس » لأن الاسم العلمي ليس انكليزياً ، وهو بالحروف اللاتينية *Cucumis sativus* . ومثل ذلك كثير .

٣ — خبراء الموسوعة بالعلوم الزراعية المختلفة متفاوتون في معرفة مصطلحاتها العربية ، فمنهم من استعملوا مصطلحات صحيحة أو راجحة ، ومنهم من خبطوا في المصطلحات خط عشواء ، فترام يستعملون كلمات عامية بدلاً من الكلمات الصحيحة كقولهم مثلاً السنامكي والجهان والكرأوية والحمام الزاجل والصحيح السنا المكي وحب الهال والكرويا وحمام الزاجل . وفي مادة دفيئة قالوا الخضروات والصحيح الخضراوات . وفي مادة خرنوب ولوياء قالوا إنها من الفصيلة البقلية والصحيح من الفصيلة القرنية . وفي مادة الكراث المصري قالوا إنه من العائلة الزنبقية ، والصحيح من الفصيلة الزنبقية . وفي مادتي الفول والفول الرومي ذكروا أن الأول من الفصيلة القرنية والثاني من الفصيلة البقلية ! وجعلوها نوعاً واحداً هو فيسيافا *Vicia faba* . وفي مادة « سرايفو » ، جامعة ، قالوا الأحراش ، والصحيح الأحرار . وفي مادة نناع قالوا الزعتر والصحيح السمتر والصعتر . وفي مواد أخرى استعملوا كلمات المتك والمتاع والحسلة ، والصحيح المثبر والوزيم (أو المدقة) والنووية . وأطلقوا « عيش الغراب » على جميع الفطور السامة والتي تؤكل . والذي نعرفه أن هذا الاسم العامي في مصر يطلق خاصة على الناريقون الزراعي الذي يؤكل ، ولا يجوز استعماله بمعنى الفطر عامة .

ولم يتحروا في معجم الألفاظ الزراعية أو في غيره الأسماء العربية لبعض الفصائل النباتية بل ارتاحوا إلى سهولة التعريب . فالفستق عندهم من الفصيلة الأنقردية ، والصحيح الفصيلة البطمية ، والقلقاس من الفصيلة الأراسية ، والصحيح الفصيلة القلقاسية (أو اللوفية) . وأذن الحمار من الفصيلة البوراجينية ، والصحيح المنجمية وهكذا . ولا يجوز الاكتفاء بالأسماء العربية .

ولم يُذكر نوع الضأن ، بل قالوا الغنم ، ولا نوع الخيل ، بل قالوا الحصان . وسواء في هذا النوع من الحيوانات أو ذاك جعلوا سلاسلها أنواعاً ! الخ . الخ .

والخلاصة أن مواد العلوم الزراعية ولا سيما مواد النباتات الزراعية جاءت كثيرة الأغلاط ، فلعل القارئ على الموسوعة يختارون للطبعة القادمة بضعة علماء زراعيين قادرين على تمييز الصالح من المصطلحات ، (وكذلك في سائر العلوم) فالموسوعة لم تصنف للعامة بل للثقفين ، ولقتها يجب أن ترفع لغة العامة لا أن تهبط إليها ، ومن المؤسف أن هذه الحقيقة لا يراعيها كثير من المؤلفين بالعلوم الزراعية في البلاد العربية .

٤ — من الأمور الصعبة التي يجب الانتباه إليها تحديد الأعلام الجغرافية التي يفيد نقلها من الموسوعة الأمريكية إلى الموسوعة العربية ، وتحديد الأعلام الجغرافية العربية التي يفيد إضافتها إلى هذه الموسوعة العربية . فقد لاحظت مثلاً أنهم ذكروا نهر كوكا في أمريكا الشمالية ، ولم يذكروا نهر الخابور في سورية . وذكروا في مادة « ربوة » أنها تل في الولايات المتحدة ، ولم يذكروا ربوة دمشق حتى ولا غوطتها الشهيرة . وذكروا من المدن الصغيرة التي لا شأن لها بلدة شالون سورسون في فرنسا ، وبلدة أسكي شهر في تركيا (وقد عرقها) ، ولم يذكروا في سورية بلدة درعا ولا بلدة الحسكة وكل منها مركز محافظة . ومثل ذلك كثير (١) .

٥ — لم يتبعوا في بعض شؤون المصطلحات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

(١) للأستاذ الشيخ حمد الجاسر أحد أعضاء مجلس المراسلين مقال ثمين عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » نُشر في عدد الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ والثامن من أبريل « نيسان » سنة ١٩٦٦ من صحيفة « المدينة » التي تصدر في جدة ، ولا بد أن يكون القارئ على الموسوعة قد اطلعوا على ذلك المقال .

فمن جملة تلك القرارات مثلاً : « لا مجال للتنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد الثلاثة ، ولا حاجة إليها » . وعلى الرغم من ذلك نجد في الموسوعة مثل قولهم : « بَطْنُ قَدَمِيَّات » و « رأس قدميات » بدلاً من « بطنيات الأقدام » ، و « رأسيات الأقدام » . ومثل هذه الرطانات التي اقتبسوها غير قليل .

٦ - الشؤون التاريخية والجغرافية والقومية في كل قطر عربي لا يجوز أن يكتب فيها إلا علماء اختصاصيون من ذلك القطر ، ومن الشهود لهم بالمعرفة والتدقيق ، وإن يكن عددهم صغيراً ، ولو راعى القائمون على الموسوعة ذلك لما قالوا في مادة « الاستقلال العربي » ، حزب :

« قامت في سورية الكتلة الوطنية (١٩٢٨ - ١٩٤٨) برئاسة خالد العظيم » ! ولما كتبوا ما كتبوه من الخلط في مادة « حوران » كقولهم إن غالبية سكانها من الدروز ، وقولهم : « سادها الدروز اليمنيون وبنو حمدان وآل الأطرش » فتأمل ! .

٧ - رمزوا في الأعلام الأعجمية إلى الحرف اللاتيني (g) والحرف اليوناني (γ) بالحرف العربي (ج) . ورمزوا إلى الحرف (ز و dz) بحرف جديد أوجد في مصر حديثاً ، وكاد يشيع فيها ، ثم أخذ استعماله يقل ، وهو الحرف (چ) بثلاث نقط قرى في الموسوعة مثلاً :

جورچ أبيض بدلاً من جورج أبيض ، وچنيف بدلاً من جنيف . وعلى العكس من ذلك مثل « جارو » ، جريتا ، ومثل جازولين ، وجلاسجو ، وجليسرين وأمثال ذلك من الرمز إلى الحرف الأعجمي (g) بالحرف العربي (ج) . وسبب ذلك معروف وهو أن سكان القاهرة والوجه البحري ينطقون بحرف الجيم العربي غير معطش أي مثل الحرف (g) ، على حين أن سكان الصعيد في مصر وثمانية أعشار البلاد العربية الأخرى على الأقل تنطق به

معطشاً أو مخففاً (أي مثل zه أو ز بالفرنسية) ، وهذا هو النطق الصحيح به في القرآن الكريم أيضاً . ولذلك لا يجوز في تعريب الأعلام الأعجمية أن ينقل الحرف (g) اللاتيني والحرف (γ) اليوناني إلا بأحد حرفين : إما بالعين كما فعل علماءنا القدماء جميعاً ، وكما تفعل اليوم في سورية ولبنان وغيرها ، وإما بحرف جديد نضمه لها وأصلحه في نظري حرف الكاف له خطان مترضان بدلاً من خط واحد (گ) ، وهو المستعمل بالفارسية والأردو والتركية التي تكتب بحروف عربية . وقد قلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص ١٧٣) : د أما اعتبار الحرف العربي (ج) رمزاً للحرف اللاتيني (g) في المبررات فهو غير صحيح ، ومن الغلط أيضاً وضع ثلاث نقط في وسط الحرف (چ) وعده جياً معطشة في مثل كتابة جيولوجية التي نراها أحياناً في القاهرة ، فإن معنى ذلك عند سكان الصعيد وسكان سائر الأقطار العربية أن الجيم الشجرية أو المعطشة في القرآن وفي المؤلفات العربية قد أصبح لها حرف جديد هو الحرف (چ) ثلاث نقط . وبعد يؤمل أن يتنبه مديرو الموسوعة إلى هذا الموضوع الهام (١) .

٨ - لا أدري لماذا جعلت الموسوعة في مجلد واحد مع العلم بأنها تتألف من ألني صفحة رقيقة ونيف . فالمجلد الواحد ثقله صعب ، وهو ثقيل الحمل على أمثالي من الشيوخ ، وما الحكمة في عدم جعل هذا المصنف مؤلفاً من جزأين أو من ثلاثة أجزاء مثلاً ؟

٩ - الأغلاط المطبعية كثيرة ولا سيما في الأسماء العلمية العربية للنباتات والحيوانات . ثم إنني قلبت صفحات خمس نسخ من مجلدات الموسوعة فوجدت في

(١) انظر موضوع الحرف اللاتيني (g) في الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (من ١٧٢٠ - ١٧٤٤) .

ثلاث منها صفحات أيضاً لم تطبع ، ومع ذلك أدخلت تلك الصفحات في النسخ المذكورة بجاءت ناقصة .

١٠ — لم تذكر بعض المواد في مواضعها ، ففي مادة « الشهابي » مثلاً ذكروا أربعة أشخاص من أسرنا هذه ، ولكنهم ذكروا غيرهم في مواد أخرى كالرئيس فؤاد شهاب فقد ذكروه في مادة فؤاد ، وكحيدر الشهابي فقد جاء ذكره في مادة حيدر .

وقد لاحظ الأستاذ حمد الجاسر في مقاله الذي أشرت إليه ملاحظات أخرى من هذا القبيل ، فمن الضروري الانتباه إلى مثل ذلك .

الخلاصة : — هذه أهم ملاحظاتي على « الموسوعة العربية الميسرة » ، وعندى ملاحظات أخرى لم يتسع الوقت لإبدائها . وهناك رأي قديم لي نشرته منذ عدة سنين وهو أن تصنيف معجم إفرنجي عربي ومعجم إنكليزي عربي للمصطلحات العلمية يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة العربية ، وذلك لكي لا تجيء هذه الموسوعة مملوءة بمصطلحات عربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة (١) .

وبعد إن العملة التي نتكلم عليها مفيدة في جملتها ، على الرغم مما اشتملت عليه من أغلاط وشوائب . وعمل كبير كهذا العمل لا يمكن أن ينجيء في بادئ الأمر أي في أول طبعة خالياً من الهنات . ولنا ثقة بأن العلماء الذين يتولونه سيحرصون كل الحرص على أن تفي الطبعة الثانية أصلح من الطبعة الأولى .

مصطفى الشهابي



(١) أنظر الطبعة الثانية من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٤٧) .

لكل عصر لغة

إذا لم يكن تحول اللغة على اختلاف العصور أعظم خصائصها فإن هذا التحول ، ولا ريب في ذلك ، أوضح هذه الخصائص ، فلا نكاد نثر عصر من العصور إلا وجدنا لكل عصر لغة خاصة وأساليب خاصة ، فقد تشيع في زمن ألفاظ ثم تبطل هذه الألفاظ في زمن آخر ، وقد تستفيض فيه أساليب ثم لا نجد لهذه الأساليب أثراً بعده ، وقد يكون تحول اللغة في بعض الأحيان آية من آيات قوتها وحياتها ، فاللغة الجامدة التي لا تستجيب لبعض الحاجات قد يقل صلاحها للحياة على تراخي الأحقاب ، ففي كل عصر تولد أشياء وتموت أشياء ، ولا بد لهذه الأشياء التي تولد من ألفاظ تبتر عنها ، فالإسلام حول ألفاظاً في أوّل عهده عن وجه إلى وجه ، والنحو استعمل ألفاظاً على غير المألوف من معانيها ، وما يقال في الإسلام والنحو يقال في العلم والفلسفة والأخلاق والاجتماع وما شابه ذلك ، ففي هذه الآفاق نجد ألفاظاً ومصطلحات لم يكن لها من قبل المعنى الذي أرادها واضعوها .

الخلاصة إن لكل عصر لغة خاصة ، فقد تعيش طائفة من مفرداتها فيه ثم تموت في عصر آخر ، إني لا أحتاج إلى الإكثار من الشواهد في هذا الباب ، فكل واحد منا قد مرّ في خلال مطالعته بقليل أو كثير من هذه الشواهد ، وإذا كان لا بدّ من الاستشهاد فاني أقصر على اليسير منه . كنت أطلع معجم الأدباء فوجدت في أخبار أسعد بن المهذب الممتاني هذه العبارة : « فلما رأوا أنني لا وجه لي قيل لي : تحيّل ونجّم هذا المال

عليك في نجوم ... » . لست أخجل من الاعتراف بأنني لم أفهم معنى نجم ونجوم في هذا المقام ، ولما رجعت إلى القاموس المحيط علمت أن نجم المال ، مخففة ، ونجمه ، مشددة ، أدناه نجوماً ، والنجوم جمع نجم ومعناه الوقت المضروب ، فمن الذي يستعمل في عصرنا هذا نجم على النحو الذي استعملت عليه في القرنين السادس والسابع ، أو في القرون السابقة ؟ فتحن نقول في يومنا إذا ركب أحداً دين ولم يستطع دفعه مرة واحدة : قسطه ، بدلاً من نجمه ، ونقول : الأقساط بدلاً من النجوم ، فالنجم بمعناها الأول قد خفيت في عالم الاقتصاد والمال ، وهي لا تعيش إلا في عالم معروف ، فالنجم هو الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، أو الذي يستخرج من هذا النظر التخرص والأحاديث الملققة التي أشار إليها أبو تمام في قصيدته الخالدة :

أبن الرواية ، بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ليست ينبع إذا أعدت ولا غراب

من هذا كله يتبين لنا أن التنجيم بمعنى التقسيط قد عاشت في عصر من العصور ثم بطل استعمالها في عصر آخر . ولست ألبأ إلا إلى مثل آخر في هذا الباب ، ففي أخبار المماليك الموماً إليه وقع نظري على هذه العبارة : « ولما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً ، فقيراً ، ممججاً في البلاد » . لقد أصابني في فهم الممجج ما أصابني في فهم نجم ، ولما استعنت بالقاموس المحيط وجدت أن قولهم : أمج زيد معناه : ذهب في البلاد . وقد ورد في معجم الأدباء مجج بدلاً من أمج . وسواء أكانت هذه المادة أمج أم كانت مجج إن معناها القديم : ذهب في البلاد ، شرّد ، ولم تبق لهذه المادة حياة في عصرنا ، وما أكثر الشواهد في هذا الباب .

إلا أن هذه المواد التي شاعت في حِقْبَة من الحقب ، ثم بطل استعمالها على عمرٍ الأحقاب قد نستطيع أن نرى لأكثرها تفسيراً في معجمات اللغة ، مثل تفسير نجمٍ وأمَجٍ وغيرها ، أمّا المصيبة في عصرنا فأتا نمرٌ بتعابير لا نفهمها ونحن نعيش مع أصحابها ، ولست أبالغ في قولي إذا قلت إن أكثر هذه التعابير المستحدثة إذا وقفت عليها فإني أسأل عن معانيها فريفاً من أصدقائي الذين يتصلون بالحياة العامة وبمطالعة صحف هذا العهد أكثر مني ، وما أكثر هذه التعابير وما أكثر الذين لا يفهمون معانيها . رجعت وأنا أكتب هذا المقال إلى دفتري الذي أدوّن فيه لغة هذا العصر فوجدت في جملتها قولهم : محاولاً مسح الماء عن وجه الزعيم الروديني ... وقد استعملت هذه الجملة على المجاز ولم تستعمل على الحقيقة ، ولو استعملت على الحقيقة لما أشكل عليّ معناها ، إلا أن استعمالها على المجاز قد غمّض معناها ، فإذا كنت أعيش في العصر الذي شاع فيه هذا التعبير ولم أفهم معناه فما قولنا في العصور الآتية ، كيف يستطيعون أن يفهموا بعد خمسين سنة أو مائة سنة أو أكثر معاني ما يتحدث من التراكيب ، ولا نرى معجاً من معجمات العصر يشرح معاني هذه التراكيب ، فما هي نتيجة هذا كله ؟ إن العصور الآتية يتعدّر عليها فهم طائفة من لغة الحاضر ، فإذا كان تحوّل اللغة على عمرٍ الأحقاب قد بدّل في بعض الأحيان على قوة هذه اللغة وحياتها فإن هذا التحوّل إذا أفرطوا فيه واشتطوا قد يؤدي إلى غموض اللغة بحيث يدقّ على الأذهان فهم أكثرها .

وإذا كان لكل عصرٍ لغة تتحوّل من زمنٍ إلى زمنٍ أفلا نجد للمصور كلها لغة تكاد تكون ثابتة ؟ أفلا نجد أن اللغة الهلّة ، البسيطة ، هي لغة المصور كلها ، الخالدة على وجه الدهر ، ولا أدلّ على هذا الخلود من بقايا الفصح التي لا تزال تعيش في أيماننا على أفواه العامة وقد حرّ عليها

ألف سنة أو أكثر . فإذا كنت مولماً بهذه البقايا ، حريصاً على التقاطها وجمعها ، فالسبب في هذا الولع وهذا الحرص سهولتها وبساطتها من جهة ، ثم دلالتها على أمور كثيرة من أمور العمران والاجتماع وغير ذلك . فمن هذه البقايا قولنا في لقتنا المامة : رجع لونه ، نجد في أخبار إسحاق ابن إبراهيم الموصللي في معجم الأدباء أنه وقع بينه وبين إبراهيم بن المهدي شيء من التشاتم ، وقد استخف كل واحد بالآخر ، فرفع الأمر إلى الرشيد وقال له إبراهيم بن المهدي : يا أمير المؤمنين ! شتمني وذكر أمي ، واستخف بي ، فغضب الرشيد ، وسأل خادمية عن القصة وكانا حاضرين ، فجلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهى إلى ذكر الخلافة ، وقد كان الموصللي قال لإبراهيم بن المهدي : أرجو ألا يخرجها الله تعالى ، أي الخلافة ، عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ، فلما انتهى الخادمان إلى هذا القول سرّي عن الرشيد ورجع لونه ...

إن مثل هذا التعبير ، رجع لونه ، شائع في لقتنا المامة ، فهو حي ، قوي ، لم يذهب من حياته وقوته شيء على طول السنين ؛ فكثيراً ما يساور أحداً بعض الغضب أو بعض الخوف وما مائل ذلك فيربد وجهه ويصفر ، ثم يهدأ صاحب هذا الوجه وتدخل الطمأنينة عليه فنقول : رجع لونه ، فهذا التعبير من التعابير الثابتة في كل زمن ، لم يتحول معناه عن وجهه إلى وجه ، وهو سهل ، بسيط ليس في استعماله انحدار عن أفق البلاغة ، إن رأس البلاغة إنما هو البساطة ، فالذين يميلون في عصرنا إلى تراكيب معقّدة ، لا تفهم معانيها ، إنما يعدّون عن البلاغة ، ويهم كلامهم فلا يفهمه من يأتي بعدهم في مستقبل الأيام ، فإذا كان لبقايا الفصاح مزية فإن من بعض مزاياها السهولة والبساطة ..

ومن هذا القيل قولنا اليوم في عاميتنا : طار نومه ... فقد جاء في ترجمة الوزير صاحب في معجم الأدباء كلام لأبي حيّان على صاحب ، فقد قصّ أبو حيّان قصة طريفة لا سبيل إلى تلخيصها ، وردت فيها هذه العبارة : « فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى وصل ودخل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عبّاد ذلك ، فطار نومه وقال : أي شيطان هبط علينا » . فقد عاشت جملة أبي حيّان : طار نومه ، حتى يومنا هذا ، أفيسطيع أحدنا أن يقول في مثل هذه الحالة التي يفلب فيها علينا القلق أو الاضطراب ولم ينم في الليل أبلغ من هذا القول : طار نومي . على أن لبقايا الفصاح وجهاً آخر غير السهولة وغير البساطة ، فقد نجد في بعضها ما يصوّر لنا ناحية من نواحي العمران والاجتماع وغير ذلك ؛ إني لا أستمع الآن على توضيح هذه الفكرة إلا بثلاث مواد : برّاني ، جوّاني ، طرّاحة .

كنت أطلع قبل كتابة هذا المقال كتاب معجم الأدباء ، فوقع إليّ في ترجمة الممتّاء ما سماء ياقوت : نواذر الحادّة ، قال :

« وكان له نواذر حسنة ، حادّة ، منها ما حدثني به صاحب القاضي الأكرم ، قال : ركبنا وخرجنا يوماً نسير بظاهر حلب ، فكان خروجنا من أحد أبوابها ، ودرنا سور البلد جميعه ، ثم دخلنا من ذلك الباب ، فقال : اليوم تسيّرنا تدليك ، قلت : كيف ، قال : من برّا ، برّا ... » . إني لا ألتفت إلى هذه النادرة مقدار التفاتي إلى هذه اللفظة : برّا ، برّا ؛ إنا نقول اليوم في لغتنا العامّة : برّا ، أي أخرج ، وقد جاء في القاموس المحيط : من أصلح جوّانيه أصلح الله برّانيه ، وتوسّع الشارح في حاشيته في شرح هذه الجملة واستند إلى من فسرها على هذا الوجه : من أصلح

سريره أصلح الله علانيته ، أخذ من الجو والبر ، فالجو كل باطن غامض ، والبر المتن الظاهر . وسواء أكان هذا الكلام من كلام المولدين أم كان من كلام فصحاء العرب في البادية إني لا أدخل في هذا الاختلاف ، فالذي يهمني إنما هو لفظ : برّاني ولفظ : جوّاني ، وقد عاش هذا اللفظ في عصرنا ، فالبرّاني في لغتنا العامة معناه : الخارج ، والجوّاني معناه : الداخل ، فنقول : الجرح برّاني ، أي في ظاهر جسم الإنسان ، والجرح جوّاني ، أي في باطن جسمه ؛ وفي دمشق حارة يسمونها : البحصّة البرّانية والبحصّة الجوّانية ، إلّا أنّنا نلفظ الجوّانية بضم الجيم ، وهي بالفتح ، وبعض دور دمشق القديمة التي كان يملكها طبقة من الوجوه والأثنياء تحتوي على برّاني وجوّاني ، فالبرّاني يستقبل فيه صاحب الدار ضيوفه من الرجال في الصباح أو المساء ، وهو يفصل عن الجوّاني الذي تقيم به النساء ، فهذا البرّاني يدلّنا على نمط من عيشة طائفة من الموسرين والوجوه في دمشق قبل خمسين سنة أو أقل أو أكثر ، فقد كانوا يجلسون فيه ، فيتحدّثون ويسمرون بدلاً من جلوسهم في المقاهي أو المجالس العامة ؛ أمّا في العمران الحديث فقد بطل هذا البرّاني ، فالدور كلها تشتمل على قم واحد لا غير ، فيه بهو للضيوف غير منفصل عن أصل الدار .

هذا ما تعلّق بالبرّاني والجوّاني ، أمّا اللفظة الثالثة فهي : الطرّاحة ، فقد جاء لياقوت في ترجمة إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق المروزي ما يلي : فلما وقف عليه نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحة ، فأعظمت ذلك وخدمته وورود الطرّاحة في هذه الجملة يدلّ الإجلال عليها على نوع من التكريم ، لم أجد في القاموس المحيط ذكراً للطرّاحة ، والذي تعلمه أن الطرّاحة

إنما هي نوع من فرش البيت ، تبسط على الأرض للجلوس عليها ، وقد تكون مربعة أو مستديرة أو مستطيلة ، يحشونها بالقطن أو بالصوف ، يجلسون عليها في حالة التبدل ، لما في الجلوس عليها من راحة ، وقد كنا في دمشق نستملمها في دورنا القديمة ، في الصيف نضعها في المساء في صحن الدار ونجلس عليها ، وفي الشتاء نضعها بالقرب من المدافئ التي تتحلق حولها فنجلس عليها أو قد نسند ظهورنا إلى مخدات على الحيطان ، فالطراحة كانت تدخل في أصل فرش الدار ، أمّا اليوم في العمران الحديث فأكثر الجلوس يكول على الكرسي ، أو على ما يسمونه : الديوان أو الكنبية ، فليس في الدور الحديثة صحن دار يجلسون فيها في الصيف على الطرّاحات ، وقد تشتمل بعض هذه الدور على غرفة يسمونها : غرفة القعود ، وقد توضع الطراحة في هذه الغرفة .

★ ★ ★

أفراينا كيف ان طائفة من بقايا الفصح التي تعيش على أفواهنا في عصرنا هذا تفصح لنا في بعض الأحيان عن نمطٍ من أنماط العمران أو الحياة الاجتماعية وأشياء هذه الأمور ؟ فإذا شئت أن أختم هذا المقال فلست أختمه إلاّ بما يلي : إذا كان لكل عصر لغة خاصة ، وأساليب خاصة قد يذهب بعضها بذهب العصر الذي ظهرت فيه فإن اللغة التي تصلح لكل العصور إنما هي اللغة السهلة ، البسيطة ، مثل قولنا : رجع لونه ، وطار نومه ، ونظير هذه الطبقة من بقايا الفصح .

شقيق جبري

أدب الفقهاء

- ٨ -

الأخلاق والآداب :

وشعر الأخلاق والآداب أو الوصايا والحكم في أدب الفقهاء ينبوع ثر ، ومعدن غني بالأعلاق النفيسة والجواهر الكريمة ، إذ كانوا هم مصدر الآداب ومُعَيِّدي قواعد الأخلاق ، ما بين شرعية وسياسية . فالمتشرعون منهم يستمدون من الأصولين العظميين اللذين اشتملا على أحسن الهدى ، وهما الكتاب والسنة . والمتفلسفون يأخذون خير ما عند أصحاب التعاليم وعلماء الأخلاق ، بما يتوافق ومبادئ الدين الحنيف الذي يقول رسوله الأكرم ، ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وبذلك يكون الشعر الصادر من الفقهاء في هذا الباب من أمثل هذا الشعر من حيث المضمون ، لاحتوائه على زبدة ما جاءت به الشريعة وأيدته الحكمة من قواعد السلوك ومعاملة الناس بعضهم لبعض ، وأما من حيث الشكل فهو على ما سنرى وما رأيناه في غيره ، « حسن بناء وإحكام صنعة » .

ولعل خير ما تؤيد به قولنا هذا هو شعر الفخر الذي قاله فقهاؤنا رحمهم الله ، فهو يسير على وتيرة غير التي يسير عليها غر الشعراء الذي يستحيل في بعض الأحيان إلى بهلوانية أدعى ما تكون إلى السخرية منها إلى الإعجاب ، وذلك بما يتضمنه من الادعاء الفارغ والتطاول الذي لا حذله ، في حين أن غر العلماء ينحو منحى تهذيبياً ويمثل الاعتزاز بالعلم والهمة العالية

والخلق الكريم ، ولذلك أدخلناه في الشعر الحكيم ولم نجعله باباً مستقلاً
كما هو في شعر الشعراء غير الفقهاء .

ولنستمع إلى ما يقوله الإمام الشافعي في هذا الصدد :

عليّ ثياب لو 'يُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهم أكثر
وفيهن نفس لو يقاس بيمضها نفوس الوري كانت أجل وأكبر
وما ضربنصل السيف اخلاق غمدته إذا كان عضباً حيث وجهته فرا

فهو يفخر بنفسه ويعتز بها ويقارنها بنفوس من يرى من البشر المتنافسين
في الدنيا المتهاالكين على الأطماع ، فترجح بها وتسمو عليها ، لأنها ليست من
بآبتها ولا من وادها ، إذ يتنا هذه مطلبها الكمال وتطلّعها إلى معالي الأمور ،
إذا بتلك إغما تستهويها المادة وليس لها مطلب غير الدينار والدرهم اللذين
توصل بها إلى قضاء مآربها الوضيعة ، والظهور بمظاهر العظمة الكاذبة من
لباس فاخر وزينة متناهية ، لم يكن للشافعي رحمه الله منها إلا ثياب
بسيطة تراد للستر لا للباهة بحيث لو عرضت للبيع في السوق لما تجاوز
سومها الفلس الواحد من بخس ثمنها ووكس قيمتها . ولكن متى كانت قيمة
الشافعي وأمثاله فيما يلبسون أو يأكلون أو يسكنون ؟ وأن هم الآن أولئك
الذين عايشوه من أهل الثراء الواسع ، والمآكل والملابس ، والدور والقصور ،
والخدم والحشم ، والرياش والآثاث ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا ؟

إنها ملايين النفوس وأعداد الثروة من الناس ، لا نعرف لهم اسماً ولا تقف
منهم على أثر ؛ تمتعوا بزيينة الحياة الدنيا وكانت هي غاية مرادهم ، فذهبوا
ولم يتحدث عنهم رائع ولا غاد ؛ والشافعي في ثيابه الرخيصة وتقسه العالية ،
ما يزال على مر العصور وتماقب الأجيال ، خالد الذكر ، عالي القدر ،
ملء سمع الدنيا وبصرها .

فهذا نفر يقتن بالتوجيه ، ويوحى بعمان من السمو والعظمة لا يعرفها
إلا أهل العلم ، ولذلك جعلناه من أمثلة شعر الأخلاق والآداب .
ومن شعرهم السائر الذي بلغ الغاية في الاعتزاز بالعلم وترفع حملته
عن الابتذال ، قول القاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب
كتاب الوساطة بين المتني وخصومه :

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى	ولكن نفس الحر تحمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كما	بدا طمع صيرته لي مسلماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
أشقى به غرساً وأجنيه ذلة	إذن قابع الجهل قد كان أحزماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظماً
ولكن أهانوه فهانوا ودثسوا	محياء بالأطماع حتى تخبها

تمثل هذه الأبيات قيمة شعر الفخر في أدب الفقهاء سواء من حيث المعنى
أو الأسلوب ، فهي تعبر بأحسن عبارة عن أعظم المشاعر التي يحس بها
من أكرمهم الله بالعلم فأغنام عن كل مطلب سواء ، وصاروا بحيث لا يفرهم
المال ولا يفرهم المنصب ، لأن الأجواء التي يخلقون فيها تكشف لهم عن
عولم في منتهى الروعة والجمال ، تملأ نفوسهم غبطة وسرورا ، وتغمر قلوبهم
رضاً وطمأنينة ، فما المال وما المنصب بازاء السعادة التي يجنونها في الانقطاع
إلى العلم وحياته المهنية ؟

والناس يرون عزوفهم عن تجمعاتهم الالهية ، وعدم خوضهم فيما يخوض
فيه غيرهم من الأباطيل ، فيصفونهم بالانقباض والشذوذ ، والحال أن وقار
العلماء يتنهم من النزول إلى حضيض الابتذال ، فإذا كان غيرهم من
ذوي السلطة والنفوذ يتصنع ويتكلف للمهابة والتوقر ، فإن سميت العلم

قد أحاطهم بهالة من التعظيم والاحترام تنحسر عنها الأبصار . وإذا كان هذا شأن العلماء الحقيقيين ، فإن غيرهم من المدعين لا نصيب لهم من هذا الشرف ، لأنهم لم يصونوا العلم ولم يعظموه ، ورضوا أن يكونوا مطية للجباية وأعواناً للمتسلطين لقاء ما ينالونه من 'فتات موائد' ، فهم قد 'حرموا لذة العلم و'حرموا معها عزته ، وهؤلاء هم الذين ينضم القاضي الجرجاني في اليتين الأخيرين من القطعة ، اللذين هما مغزى نثره ، وصرح به ليكون أبلغ في التوجيه والإيحاء .

ومن هذا المعنى قول أبي الحسن النعماني البصري أحد مشيخة القرن الخامس :

إذا أعطشتك أكف اللبثام كفتك القناعة شيعاً وريثاً
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا
أيئاً بنفسك عن باخل تراه بما في يديه أيأ
فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحيا

وهي أبيات قليلة النظير في الخوض على علو الهمة وشرف النفس وعدم التشوف لما في يد الغير وصيانة ماء الوجه من أن تكدره أو تستنزفه الحاجات والأطماع ، ولعل شاعراً غير فقيه لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه الأبيات في بلاغة معناها وجزالة مبناها ، لأن رصيد الشعر مليء بالسؤال والرجاء والأمل ، فلا يتفلت من يكون هو رأس ماله من تأثيره فيه والإنفاق منه إذا اضطر ذلك ، بخلاف الفقيه الذي يعرف حكم الشريعة في السؤال ، ويروي قول الرسول (ﷺ) : «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فياً كل خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» ، وقوله : «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى 'يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» .

فإنه يستقي من ماء غير آسن ، وإذا قال شعراً في وجوب الاحتفاظ بالكرامة الشخصية فلا يكون إلا هكذا .

وحكى السبكي في الطبقات أن البرقاني كان يقول في صاحبنا النعماني :
« هو كامل في كل شيء لولا بأو فيه » . ونحن نقول بهذا البأو الذي
يملي على صاحبه هذه الآيات الرائعة ...

ومن شعر عبد المهيمن الحضرمي وهو من شيوخ ابن خلدون ، وكان
كاتب الملامة للسلطان أبي الحسن المريني قوله ، وفيه لزوم على ما لا يلزم :
أبت همتي أن يراني امرؤ على الدهر يوماً له ذا خنوع
وما ذاك إلا لأني اتقيت بجز القنعة ذلّ القنوع
القنوع السؤال ، وبما حجب لنا رواية هذين البيتين هنا أن صاحبها كان
في حياته العملية عند قوله هذا ، ولم يكن متبجحاً بكلام لا ظل له من الحقيقة
كما هي عادة الشعراء غالباً ^{لم تر} أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون
ما لا يفعلون فقد حدث أن السلطان أبا الحسن المريني الشهير أغلظ له
القول ذات يوم ، وهو يلي كتابة علامته ، فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره
أمام السلطان وقال : « هذا الجامع بيني وبينك » ، وقام مغاضباً له ، فحجل
السلطان وندم على ما صدر منه وترضاه وأفضل عليه :

وشكذا صدق فعله قوله وطابق سلوكه غفره ، وتلك هي أخلاق العلماء .
ونعرض للشعر المخصوص بالوصايا والحكم مكتفين بهذا القدر من شعر
الفخر ، وللشافعي في الباب أبيات عامرة منها قوله في الإخوان الميثاليين :
أحب من الإخوان كل مواتٍ وكل غضيض الطرف عن شراتي
يوافقني في كل أمر أريده ويحفظني حياً وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليت أني أصبته فقاسمته مالي من الحسنات
تصفت إخواني فكان أقلهم على كثرة الإخوان أهل تقاتي

ومنها في النصيح العام :

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً بما حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً	وشيمتك السباحة والسخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور	ولا يؤس عليك ولا رخاء
ورزقك ليس ينقصه الثاني	وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء

ومنها في الحث على السفر :

ما في المقام لدي عقل وذو أدب	من راحة فدم الأوطان واغترب
سافر تجد عيوضاً عن تفارقه	وانصب فإن لذيذاً لعيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده	إن سار طاب وإن لم يسر لم يطب
والأُسْدُ لو لا فراق الغاب ما اقترست	والسهم لو لا فراق القوس لم يصب
والتيثر كالشرب ملقى في أماكنه	والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه	وإن تغرب ذاك اعتز كالذهب

إن هذه القطع من شعر الشافعي أشهر من أن تعرف فهي تجري على كل لسان ، وذلك لسهولة وسلامة منطقها ، فالتناس يتمثلون بها في كل مناسبة ، وتلاميذ المدارس يستظهرونها لأنها مما يلقنونه في محفوظاتهم ، ولذلك اقتصرنا عليها وإلا فإن الأمر كما قال في الطبقات الكبرى : « ولا معنى للإكثار من ذكر شعر الشافعي رضي الله عنه وهو شيء قد طبّق الأرض » .

ومن شعر أحمد بن المعدّل السائر مسرى الأمثال :

ولست بنظار إلى جانب الفنى	إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لنو صبر على ما يثوبني	وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ومن شعر عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك . وقد شد الرحلة
إلى لقاء الإمام بالمدينة من بلده مصر ، وهو كثير الإنشاد بين أهل العلم :
أقول وزممتُ للرحيل ركائي أعيدمي لفقدي ما استطعت من الصبر
أليس من الخسران أن ليالياً تمرّ بلا نفع وتحسب من عمري
ومقطعات العلماء في غرض الأدب والحكمة كثيرة ، بل إن منهم من
لم يكن ينظم الشعر إلا في هذا الغرض ، كمنصور الفقيه وقد ترجمنا له
وذكرنا نماذج من شعره ، ومحمود الوراق وهو ممن أكثر وأطاب في هذا
الباب ، وكان من أهل العلم والرواية ، أخذ عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي في
خلافة المعتصم ، وإحسانه ، وشرف منزعه يكاد لا يخلو ديوان من دواوين
الأدب من إنشاد مقطعاته الجميلة ، ونحن لموافقة المقصد نورد منها بعض العيون
تقديراً لعمّله الأدبي الجليل وإشاعةً لنصحته الخالص المثل .

فمن ذلك قوله في التحذير من التائب في الذنوب :

يا ناظراً يرو بعيني راقداً ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنوب واحد
وقوله وهو من الأمثال السائرة :

تعمي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع
وقوله في مداراة الأصدقاء :

دار الصديق إذا استشاط تغضباً فالغيظ يخرج كامن الأحقاد
ولربما كان التغضب باعثاً لثاب الآباء والأجداد

وقوله في معنى كاد الفقر يكون كفرا :

لبستُ صروف الدهر كهلاً وناشئاً وجربتُ حالتي على العسر واليسر
فلم أرَ بعدَ الدين خيراً من الفنى ولم أرَ بعدَ الكُفر شراً من الفقر
وقوله في معنى إنما الأعمال بالخواتم :

أخاف على الحسن التقي وأرجو لذي الهفوات السي
فذلك خوفي على محسن فكيف على الظالم المعتدي
على أن ذاك الزينغ قد يستفيق ويستأنف الزينغ قلبُ التقي
وقوله في الحص على الاتفاق :

تمتع بمالك قبل المات وإلا فلا مال إن أنت متا
شقيتَ به ثم خلقتَه لنفركُ بعداً ومُسحاً ومَقْتا
فجادوا عليك بزور البكاء وجدتَ عليهم بما قد جمعتا
وأرهنهم كل ما في يديك وخطوك رهناً بما قد كسبتا
وقوله في عدم عيب الفقر :

يا عائب الفقر أما تزدجِرُ عيبُ الفنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الفنى لو صح منك النظر
أنك تعصى كي تنال الفنى ولستَ تعصى الله كي تفتقر

وبعد هذه النبذة من شعر الشيخ محمود الوراق تتعرض للون آخر من شعر أصحابنا الفقهاء في المواعظ والنصائح ، وهو ما يوجهونه إلى أبنائهم خاصة وإن كان مضمونه عاماً يصلح للجميع . إن هذا البحث يجب أن يأخذ بأطراف الموضوع وإن لم يستوعبه كل الاستيعاب . فمن الضروري أن نلم بهذا النوع من الشعر الحكيم أيضاً .

فما اخترناه منه قولُ يَمُوتُ بن المَرْزُوق النحوي الأديب الراوية المشهور ، ابن اخت أبي عثمان الجاحظ ، يوصي ولده المهتلل :

مهلهل' قد شربت' شطور دهرى^(١) وكأخفى به الزمن العنوت'
 وجاريت الرجال بكل ربع فأوجع' ما أجُنْ عليه قلبي
 كفى حزناً بضاعة ذي قديم وقد أسهرت عيني بعد غمض
 وفي لطف الميمن لي عزاء وإن يشتد' عظمك بعد موتي
 تحب' في الأرض وابغ بها علوماً وإن بخل العليم عليك يوماً
 وقل بالعلم كان أبي جواداً 'قير' لك الأبعاد والأداني
 ومنه قول الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي ينصح ابنه
 أو ابن أخيه على ما قيل :

أبا بكر دعوتك لو أجتأ إلى ما فيه حظك إن عقلت
 إلى علم تكون به إماماً مطاعاً إن أمرت وإن نهيت
 ويجلو ما بينك من عشاها ويهديك السيل إذا ضلت
 ينالك نفعه ما دمت حياً ويبقى ذخرك إذا ذهب
 وتحمل منه في ناديك تاجاً ويكسوك الجمل إذا اعترى
 هو العصب' المهتد ليس ينبو تصيب به المقاتل إذا^(٥) ضربنا

(١) أي جريته وعرفته .

(٢) الرؤساء .

(٣) غاطلة .

(٤) و (٥) لهما « إن » ليظم الوزن .

(لجنة اللغة)

وكثر لا تخاف عليه لصاً خفيف الحمل يوجد حيث كتنا
يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفتاً شددنا
إلى أن يقول :

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باع وقال الناس إنك قد سبقتنا
فلا تأمنُ سؤالَ الله عنه بتويخ : علمتَ فهل عملتَنا ؟
فرأس المال تقوى الله منا وليس بأن يقال لقد رأستنا
وأحسن ثوبك الإحسانُ لا أن ترى ثوبَ الإساءة قد لبستنا
إذا ما لم يفدك العلمُ خيراً نغير منه أن لو قد جهلتنا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتنا

وهي قصيدة طويلة نجتزئ منها بهذا القدر ، ونلاحظ أنها مع وصية يموت ابن المزرع تعبر عن أئوبة حانية واهتمام شديد بمستقبل الولد الناشئ ، وحرص على حيازة جميع الخير له وجعل طلبه العلم هو أول ما يهتم به الناشئ ، ولعل ذلك مما يمتاز به عن نصائح الشراء لأولادهم ، فإن العلم في الإسلام من أم الواجبات ، ولهذا يأخذ به المشايخ أولادهم ، وذلك إلى ما تركيز عليه النصيح من تقوى الله والعمل بالعلم وعدم الاقتان بالدنيا ، وقد خلصت هذه الروح إلى عصرنا هذا فتأثر بها من قال شعراً في وصية ابنه من أهل العلم كالمرحوم عبد الله باشا فكري في أبياته الشهورة :

إذا نام غيرٌ في دجى الليل فاسهر وقم للمعالي والموالي وشم
وأخيراً نومي إلى مطولات أصحابنا الفقهاء الأدباء في الوصايا والحكم ، التي ضاهروا بها أحسن مطولات الشراء وفاقوها بما مزجوا به نصائحهم من مبادئ التريية العالية التي تحرص على تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وفتح القلوب المغلقة لما جاء به الإسلام من خير ویر وإحسان .

وفي طليعة هذه المطولات نونية أبي الفتح البستي الرائعة التي لا كفاء لها في الحسن والجمال ، فقد جمعت إلى النصائح الغالية والآداب الرفيعة متانة الأسلوب والتفنن في الأداء مما يجعلها فريدة في بابها . وكان البستي من مشايخ العلم والرواية فضلاً عن رسوخ قدمه في الأدب ، سمع الكثير من ابن حيّان وروى عنه الحاكم وغيره ، وكان صديقاً لأبي سليمان الخطابي الذي سبقت ترجمته .

ونحن لا زوي مطولة أبي الفتح كلها لاشتهارها وعدم 'خلو أي ديوان أدبي منها ، ولكننا نحب أن نضع اصبع القارىء على أبيات منها تثبت ما قلناه صدرَ هذا البحث فيما يمتاز به شعر الفقهاء الحكيم من كونه يحوي زبدة الآداب والأخلاق التي أتى بها الشرع وحسنها العقل ، وإن كان جميع ما قدمناه من كلامهم يدور في هذا الفلك . فمنها المطلع الذي يقول فيه :
 زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
 وكل وجدان حظ لا ثبات له فإن معناه في التحقيق فقدان
 إن التزهيد في الدنيا من مقاصد الدين ، أي دين كان ، ولكن عرّضه في شكل عملية حساية كهذه الصورة التي قدمها لنا البستي في مطلع مطولته هو من نتائج الفكر الفلسفي ، وبذلك يكون مزج بين التعاليم الشرعية والوضعية ليخرج هذا المطلع البارع .

ويتبادى صاحبنا في مزج الحكم الفلسفية بالنصائح الدينية فيقول :
 يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما هو (١) خسران
 أقيل على النفس فاستكمل فضائلها فأت بالنفس لا بالجسم إنسان
 ويأتي بعد ذلك بجملة من الآيات تتضمن حكماً عملية في السلوك

(١) لها: فيه . (لجنة المحلة)

والأخلاق ينتدشها بقوله من يفعل كذا يلق كذا فتذكرنا آياته هذه بنظيرتها في معلقة زهير الذي حكم له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه أشعر الناس لتلك الأبيات التي يقول فيها ومن ومن . وكنا حريتين أن نقد مقارنة بين أبيات زهير وأبيات صاحبنا لولا مراعاة الأدب اللازم لمقام الخليفة الثاني وحكمه .

ثم يقول البستي جامعاً بين قولهم (رأس الحكمة مخافة الله) والآية الكريمة : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ استغنى في بيت واحد بحكم البناء حسن التصوير :

وما رضيعاً لبيان حكمة ومقى وساكناً وطنٍ مال وطينان
ويطّيح إلى الوصية التقليدية وهي العلم والعمل فيقول في إيماء جميل :
يا أيها العالم المرضي سيرته أبشيراً فانت بغير الماء ريتان
ويا أخا الجهل لو أميت في لجج فانت ما بيننا لاشك ظمان
ويحتم بهذا البيت الفذ الجامع :

وكل كثر فان الدين يحيرهُ وما ليكسر قناة الدين جيران
وهناك مطولة ثانية سارت كل مسار واشتهدت أي اشتهار ، وهي لأحد أدباء الفقهاء أيضاً نفي به القاضي عمر بن الوردى ، وتعرف بلامية ابن الوردى أو بأول كلمة منها وهي (اعتزل) لأنها تبدأ هكذا :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ويطلب على هذه المطولة طابع الحكمة المرية المظلمة بتعاليم الدين ، فهي بمد هذا للطلع الذي بين عن نظرة قهية إلى الغناء وما يليه ، تؤكد على الإعراض عن حياة اللهو والمجون وتحذر من الاستهتار في الهوى والتصايي ، وإن كان قد لوحظ على ابن الوردى أنه في بعض أبيات هذا القسم بعيداً مغترّباً يعض ما حذر منه أكثر منه محذراً . ثم تهج المطولة نهج

الحكمة العربية في الاعتبار بالماضين وإتيان الموت على الأولين والآخرين :
 كَتَبَ الموتَ على الخلق فكم قلَّ من جيش وأفنى من دول
 أين غرودُ وكنعانُ ومن ملك الأرض ووثى وعزل
 وتخرج بعد ذلك على الوصية بطلب العلم والتفنن فيه ، والاشتغال بالأدب
 وعدم ابتذاله وقول :

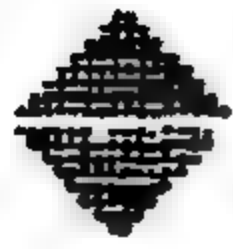
أنا لا أختار ثقيل يد قطعها أجمل من تلك القبل
 'ملك كسرى عنه تقي كثيرة وعن البحر اجتزاء بالوشل
 ثم تنبه على سخافة الافتخار بالأصل والفصل في هذه الآيات الميرة :
 لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
 قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد 'ينني الزغل
 قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل
 ثم تشير إلى مسؤولية الحكم وتنقير منه بهذين البيتين السائرين :
 لا تدل الحكم وإن هم سألوا رغبةً فيك وخالف من عدل
 إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
 وبعد وصايا أخرى عامة يحتم ابن الوردي مطولته بهذه الآيات متحدثاً
 عن شخصه :

أيها العائب قولي عيئاً إن طيبَ الورد 'مودر بالجمعل
 عدي عن أسهم لفظي واشتمل لا 'يصينك سهم من 'تمل
 لا يفرثك لين من فتى إن للحيات لينا 'يستزل
 أنا كالخسيز مور صب كره وهو لدن كيفاً شئت انقتل
 غير أنني في زمان من يكن فيه ذا مال هو المولى الأجل
 واجب عند الورى إكرامه وقليل المال فيهم 'يستقل
 كل أهل العصر 'غمر وأنا منهم فارك تفاصيل الجمل

وهذا حكم خطير واعتراف أخطر منه . ونشير إلى أن لامية ابن الوردي بالخصوص تعطي صورة غير مرضية عن عصره ومجتمعه ، وبما أن هذا الجانب لا يهمنا فلأننا لم نتعرض له .

وبحمل القول فإن ما أوردناه في هذا الباب من شعر الفخر وشعر الآداب والأخلاق ، كله مما يشهد لأصحابنا الفقهاء بقوة المعارضة في الأدب ، ورسوخ الملكية في الشعر ، ويجعلهم يقفون في صف كبار الأدباء والشعراء من غير طبقهم ولا يترك مجالاً لانتقاد يميز كلامهم من كلام عامة أهل الأدب وقالة الشعر إلا انتقاداً مفرضاً لا نصفه فيه .

عبد الله كنون



تظرات في المعجم الوسيط

- ١٥ -

عاشراً : تعريف الملل والنحل والمذاهب المختلفة (*)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
المِلَّة	الشريعة أو الدين ، كَلِمَةُ الإسلام والنصرانية ؛ وهي اسمٌ لما شرعَ الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى العادة في الدنيا والآخرة . و — الدِّيَّة . (ج) مِلَلٌ .	هذه التعريفات وردت في المعجم الوسيط ، وهي إلى جانب عدم تنسيقها كوحدة تستعمل في موضوع واحد ، ترد عليها ملاحظات عديدة أهمها : ١ — المِلَّة في العربية : السُّنَّة والطَّريقة ، ومن المجاز المِلَّة : الطريق السلوكي ، ومنه : مِلَّة إبراهيم عليه السلام خير الملل ، ومن ذلك كَلِمته : المِلَّة : الشريعة أو الدين ، وصاحب

(*) ليس المقصود من نظراتنا في هذه التبعة ، قد التعريفات الواردة في المعجم الوسيط فحسب ، بل المقصود جمع ما وقع نظراً عليه من تعريفات متعلقة بموضوع واحد ليتمكن الناقد من ملاحظة الاختلاف في تعريف الكلمات للمثالة ، من حيث الصياغة ، أو من حيث انتفاء ألفاظ كل تعريف منها ، وذلك بسبب الثقل عن معجمات مختلفة ، أو بسبب تعدد واضعي التعريفات ، وملاحظة نقص الواجب تلافيه ، أو الزيادة الممكن الاستغناء عنها في الطبعة القادمة ، ومن كمال صنع المجامع في العصر الحديث ، بعد التخطيط لها بحسب نوعها والغاية منها ، تعاون عدد من العلماء المختصين كل حسب اختصاصه ، في وضع التعريفات المختلفة ، ثم انفراد الواحد منهم في الإشراف على تنسيق التعريفات المتعلقة بالموضوع الواحد ، ليكون العمل دقيقاً متكاملًا ومنسجماً بضمه مع البعض الآخر .

القاموس يشير إلى ترادف الكلمات الثلاث ،
 أما الراغب فقال : المِلَّة : اسم لما شرعه الله
 تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى
 جواره ، والفرق بينها وبين الدين ، أن المِلَّة
 لا تضاف إلا للشيء الذي تستند إليه ولا تكاد
 توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة
 ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها .
 من هذا نجد أن المعجم الوسيط أغفل بعض
 معاني الكلمة الأصلية ونقل شرحاً يمكن الاستغناء
 عنه . ولقد كان من المستحسن أن يكون
 التعريف كما يلي :

المِلَّة : السنة والطريقة أو الطريق السلوكية .
 و — الشريعة أو الدين . و — الدِّين .
 (ج) مِلَّةٌ .

٢ — التَّحِلَّةُ في الأمهات : الدَّعْوَى ،
 والدَّيَانَةُ ويقال ما نَحَلْتُكَ أي ما دينك ؛ والتَّحِلَّةُ :
 المذهب ، يقال — كما في المعجم الوسيط — اتَّحَلَ
 مذهباً كذا : أي انتسب إليه ودان به .

لقد أغفل المعجم الوسيط بعض معاني هذه الكلمة ،
 وكان من المستحسن أن يكون تعريفها كما يلي :

التَّحِلَّةُ ... الدَّعْوَى و — الدِّينُ

والمقيدة والمذهب . م (٣)

التَّحِلَّةُ .. الدِّينُ والمقيدة ؛
 يقال : ما نَحَلْتُكَ ؟

<p>٣ - كلمة (دين) في العربية ذات معان كثيرة وكثها - كما يقول ابن فارس - ترجع إلى جنس من الاتقياد والذل ، وقد فات المعجم الوسيط إثبات بعضها ، رغم أنه أشار إلى أكثرها ، إن في تعريف الكلمة أو في تعريف كلمة (دينة) أو عند الكلام على فعل (دان) ، ومن ذلك المعاني التالية ،</p>	<p>الدين ما يتدين به الإنسان . و - اسم لجميع ما يبذل به الله . و - المِلَّة . و - الإسلام</p>
<p>الدين ... الغلبة . و - القهر . و - الإكراه . و - الداء . و - الذل . و - الجزاء . و - العبادة . و - الطاعة . و - الاستعلاء . و - المواظب من الأمطار أو اللين منها .</p>	
<p>٤ - نقل المعجم الوسيط تعريف الشرع والشرعية عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف المعنى الذي آلت الكلمات إليه ، فيصبح تعريفها كما يلي : الشرع : الشرعية . و - الطريق ... الشرعية : ما شرعه الله لعباده ، و - مجموعة القواعد والأحكام الملزمة . و - علم على الشرعية الإسلامية ...</p>	<p>الشرع ' الطريق ' . و - ما شرعه الله تعالى الشرعية ما شرعه الله لعباده من المقائد والأحكام ...</p>

٥ - أحسن المعجم الوسيط بإثبات تعريف حديث لكلمة (مذهب) ، غير أن التعريف المذكور لا يرد عند الفلاسفة فحب ، فالمذاهب معروفة في العلوم والفنون على اختلافها ، لذا فمن الدقة لو أبدل المعجم بقوله : (عند الفلاسفة) القول : (عند العلماء) أو (في العصر الحديث) .

٦ - في تعريف كلمة (الطريق) أثبت المعجم الوسيط المعنى التالي : مسلك الطائفة من المتصوفة ، وكان من المستحسن أن يثبت في تعريف كلمة (الطريقة) أنها : — إحدى الطرق الصوفية .

٧ - تعريف كلمة (الفرق) بنقصه الدقة . وكان من المستحسن أن يكون كما يلي :
الفرقة : الطائفة من الناس تدين برأي أو مذهب واحد . — مجموعة من الأفراد يشتركون أو يقومون بعمل واحد ؛ يقال : فرقة التمثيل الخ .

المذهب الطريقة . و — المعتقد الذي يُذهب إليه .
و — (عند الفلاسفة) : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة . (مع) .

الطريقة الطريق . و — السيرة . — المذهب ...

الفرقة الطائفة من الناس ؛ يقال : فرقة التمثيل ، وفرقة الألباب ، وفرقة الطائي ...

الطائفة الجماعة والفرقة ...
و — جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يتنازون به ...

المَدْرَسَةُ ... و — المَذْهَبُ
(مو) . يقال : هو من مدرسة فلان : على رأيه ومذهبه .
٨ — لقد كان من المستحسن أن يضاف إلى معنى كلمة (مدرسة) المُولَد ، المذكور في المعجم الوسيط ، المعنيان التاليان : و — الطريقة . و — السلوك .

الإسلامُ « في الشرع » : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ .
الأديان السماوية ثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية ، وجاء التعريف بهذه الأديان واتباعها في المعجم الوسيط متفاوتاً غير منسق ، فتعريف (الإسلام) جاء كما يعرف في « الشرع » دون أي ذكر لكلمة (مسلم) ، بينما عرفت (النصرانية) بأنها دين المسيح عليه السلام ، و (اليهودية) بأنها ملة اليهود .
النَّصْرَانِيَّةُ دين المسيح عليه السلام .
النَّصْرَانِيَّةُ من تعبَّد بدين النصرانية ..
النَّصْرَانِيَّةُ دين عيسى بن مريم عليه السلام .
النَّصْرَانِيَّةُ المنسوب إلى دين المسيح عليه السلام .
النَّصْرَانِيَّةُ المنسوب إلى دين اليهود .
لقد كان من المستحسن أن ترد التعريفات المتعلقة بالأديان الثلاثة ، في مثل المعجم الوسيط ، متماثلة ، كأن تكون كما يلي :
المُسْلِمُ : واحد المسلمين .
الإسلامُ : دين أتباع محمد ﷺ .

اليهودُ	بنو إسرائيل . قيل إنهم سمُّوا كذلك باسم يهوذا أحد أبناء يعقوب .
اليهوديُّ	واحد اليهود . و — المنسوب إلى اليهود ..
اليهوديَّة	ملة اليهود .
اليهوديُّ	اليهوديُّ
النَّصْرانيُّ	واحد النصارى .
النَّصْرانيَّة	دين أتباع المسيح عليه السلام .
اليهوديُّ	واحد اليهود .
اليهوديَّة	دين أتباع موسى عليه السلام .

المذاهب المتمدة عند أهل السنة من المسلمين أربعة هي : مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، ومذهب الإمام مالك بن أنس ، ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ومن التدقيق في تعريفات المعجم الوسيط نلاحظ الأمور التالية :	الحنفيُّ	تابع مذهب أبي حنيفة ، وم المذنبية . (ج) أخاف .
أولاً : لم يرد أي ذكر لمذهب الإمام مالك بن أنس في مواد المعجم ، بينما وردت الإشارة إلى مذهب الإمام الشافعي في كلمة (تشقق) فقط ، أما مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد بن حنبل فقد ذكرنا مرتين !	تحنَّف	انتسب إلى مذهب أبي حنيفة .
	الحنبلِيُّ	من يقلِّد مذهب الإمام أحمد بن حنبل . (ج) حنابلة . و — التشديد في رأيه وسلوكه . (محدثه) .
	تحنَّبلَ	قلَّدَ الإمامَ ابنَ حنبل في مذهبه . ويقال :

ثانياً : فقد الإمام الأعظم أبو حنيفة « إماميته » في المعجم ، بينما احتفظ بها الإمامان الآخران !	تحنبل فلان : تشدد في رأيه وسلوكه (محدثه) .
ثالثاً : استعملت في التعريفات المذكورة ألفاظ مختلفة لمعانٍ واحدة بدون أي موجب ، فالتحنف انتساب ، والتحنبل تقليد ، والتشفع تمذهب !	تشفّع تمذهب في الفقه بذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي .
رابعاً : لقد عُرف الإمام أحمد بن حنبل بشدته في التمسك بالنصوص ، والتمسك بالنصوص مزية في الشرع ، واستعار (العامة) كلمة « الحنبلة » لوصف التشدد في الرأي والسلوك ، ويغلب أن يكون التشدد بالرأي الشخصي عيباً من أهم العيوب ، ومع هذه المفارقة كان من المستحسن ، وقد أثبت المعجم الوسيط المعنى المستعار ، أن يشير إلى مزية الإمام أحمد بن حنبل تنزيهاً له عن العيب المستفاد من الفعل المشتق من اسمه .	الثنّة .. وأهل الثنّة : هم القائلون بخلافة الشيخين عن استحقاق ، وهما أبو بكر وعمر ؛ ويقابلهم الشيعة .



أبو يعقوب الخُرَيْمِي

- ٢ -

(٦)

أما عن شعره فقد عد من رواه الجاحظ وأحمد بن عبيد بن ناصح ،
وذكر ابن النديم للخريمي ديواناً في مئتي ورقة (١) . وقال ابن عساكر :
« له ديوان معروف » (٢) ويبدو أنه كان معروفاً لدى الخاصة ، ولم يكتب
له ذبوع وانتشار ، ولم تعدد نسخه ، لأننا لا نعلم عنه شيئاً غير هاتين
الكلمتين ، ولا بد من أنه اختفى مبكراً كما اختفى ذكر الشاعر والحديث
عنه ولم يكن له حظ من الشهرة (٣) .

لهذا ، كان على الباحث الحديث أن يجمع ما بقي للخريمي من شعر متناثر
هنا وهناك في بطون عشرات الكتب ، وقد تتوفر ، كما رأينا ، « كمية »
لا بأس بها . وإنا إن كنا نأسى على أن لم يكن للخريمي مكان لدى الأصهباني ،
قد رد علينا بعض الموض الطبري في روايته للرأية كاملة ، ثم الحصري
في بائية ولامية ، ثم ابن عساكر وفضله جليل .

(١) ابن النديم ١٦٤ - وهو بهذا يدل ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ولا تعدد جلة الأشعار التي أوردها له أنه يستفي
من الديوان .

(٣) ينظر ابن رشيق ١ :

ولئن اختلفت بعض الروايات في نقل الشعر ، فإن ذلك قليل ، وإن جملة ما وصل إلينا موثوق النسب إلى صاحبه ؛ ولم يختلف إلا في قصيدتين : الأولى يمكن أن تكون له فقد ذكر ابن المعتز وهو يتكلم على الخريجي أنه « هو القائل يفتخر :

ثقي بجميل الصبر مني على الدهر ولا تثق بالصبر مني على الهجر
أصاب قوادي بعد خمسين حجة عيون الأطباء العفر في البلد القفر
ثم ذكر ثمانية أبيات وقال : « وقد روى قوم هذه القصيدة لأبي سعد قوصرة ، وليست بثي وإنا هي للخريجي » (١) .
أما الثانية ، وعدتها سبعة أبيات ، ومنها :

وناديت من مروٍ وبلغ قوارساً لهم حسب في الأكرمين حبيب

• • •

وإن أبي ساسان كسرى بن هرم مؤثر وخاقان لي - لو تعلمين - نسب
فإن النقد الداخلي والخارجي ينبغي كونها للخريجي ويدل على تسرع في نسبتها إليه ، وتحمله بذلك من الشعبية ما يسهل أن يستنبط منها ، لأنها لم ترد في مصدر قديم أو شبه قديم وإنما رواها ، أو روى بعضها ، أناس متأخرون جداً ، أقصد إلى أنهم من معاصرينا أمثال أحمد أمين وأحمد الشايب ومحمد نبيه حجاب وأحمد محمد الحوفي (٢) ؛ ومنهم من لم يرجعها إلى مصدر ،

(١) ابن المعتز ٢٩٣ - ٢٩٤ . وقد يضاف من نسبتها إلى الخريجي أنها لا تدل على مجموع نفسه ، وإن داعي فخره ودفاعه « عن لؤي بن غالب » ضيف . وأبو سعد قوصرة هو عيسى بن خالد الذي ادعى أنه من بني مخزوم ينظر عنه ابن المعتز ٢٩٥ وما ملق به محقق كتابه ٤٩٨ ، ٥١٧ . وقد ذكر ٤٩٨ أن نسبة القصيدة تنوزعت بين اللؤلؤ بن غيلان وأبي سعد وأعرابي من طيء .
(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، الشايب ٢٣٣ ، حجاب ٣٠٦ ، الحوفي ٤٥١ .

ومنهم من أرجعها إلى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١)، ولكنك إذا عدت إلى هذا الكتاب لم تر أياتاً للخريبي من هذا النوع ولم تجدها لأي شاعر آخر . ثم إن الآيات تدل على أن ناظمها « فارسي » يفخر بكسرى . وما كان الخريبي (الصفدي التركي) كذلك .

وليست القصيدة ، بعد ذلك ، بذات بال فنياً ، ولا تدل على النفس الذي عودنا إياه الشاعر « المفتري عليه » فأين هي مثلاً من لاميته التي قال فيها :
« أَبِالصُّغْدِ بِأَسْ إِذْ تُعَيِّرُنِي مُجَلُّ » .



إذا نظرنا في هذا الذي اجتمع لدينا من شعر الخريبي وأخباره رأينا أن الشاعر لم يكن مقلداً وأنه خاض فيما خاض فيه معاصروه من قضايا وقال فيما قالوا فيه من أغراض ؛ وأنه قد تميز ، أكثر ما تميز ، بالمدح . وكان المدح الوسيلة التي يكسب بها قوته بل يكسب بها ما زاد على القوت من مال وجاه ، وأنه بعد أن مرّ بدور غير قصير من التجربة والخطأ ، وقصد بدافع الحاجة مَنْ لا يستحق القصد فدعاه ذلك إلى شكوى الزمان ، بلغ عثمان الخريبي فاستنّ له طريقاً في المدح قائمة على الاختصار على الكرام نفساً ويدياً ، وعلى التقرب منهم حتى يصبح رفيقاً أنيساً عندهم . وصديقاً أثيراً لديهم ، وهم يحققون له رغبته دون أن يذل ماء وجهه .

(١) حجاب ، الحوفي .

والمح بروكلان ١٩ : ٢ ، برون ٢٦٨ : ١ إلى هذه القصيدة (البائية) منسوبة إلى الخريبي . ومن يدري فقد يكون الأصل في الخطأ يرجع إلى كولنجر ، فهو من أقدم من بحث في الشعوية وذكر الخريبي في كلامه بكتابه « دراسات إسلامية » للطبوع في Halle بمجلدين عام ١٨٨٩ - ١٨٩٠ (وإليه أشار برون عندما أطلق حكمه ، ومثله بروكلان) .

وكان يزجي المدح إليهم في مناسبات شتى فيجود ويعجب وتسير آياته
لا تحتوي صياستها العالية من معان طريفة مبتكرة حيناً ، ومولدة أحياناً ،
وهي سائرة ، في كل حين ، على النهج العربي المألوف للشعر المختار فتكون
بذلك استمراراً للتراث وجزءاً منه . ولا بد من أن كبار الشعراء كانوا
يعجبون بها وقد يتأثرون ولا نقول يسرقون .

وإذ يقول الخريجي :

شَفَعْتَ مَكَارُمَهُ لَهُمْ فَكَفَّتْهُمْ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
يقول أبو تمام :

طَوَى شَيْمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَقْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
ويقول المتنبي :

إِذَا عَرَضْتُ حَاجٌ إِلَيْهِ كَفَفْتُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ (١)

وإذ يقول الخريجي :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٍ حَقِيرٍ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ خَطِيرٍ
يقول المتنبي :

تَظُنُّ مِنْ قَدْرِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (٢)

وإذ يقول الخريجي :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يَقْلِدُونَهَا بَادِيًا وَمُعِيدَهَا

(١) القاضي الجرجاني ٣٢١ ، البيان ٢ : ٢٤٣ .

(٢) القاضي الجرجاني ٣٥٤ ، البيان ٤ : ٦٥ . وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ ،

٣١٢ ؛ البيان ٣ : ١٨٧ .

يقول المتنبي :

من القاصمين الشكر بيني وبينهم لأَنَّهُمْ يُسَدُّ إِلَيْهِمْ بَأْنُ يُسَدُّوا (١)
ويتصل بمدح الخريمي ذكره المدوح بعد مر الزمان كما فعل في لامية
أثنى بها على عثمان الخريمي وهو يعاتب الوليد بن أبان :
.. جزى الله عثمان الخريمي خيراً ما جزى صاحباً جزل المواهب مفضيلاً
كفى جفوة الإخوان طول حياته وأورث مما كان أعطى وخوفاً (٢)
ويتصل به التشوق إلى المدوح إذ يبعد عنه كما فعل في بائته التي بحث بها
إلى الحسن بن التختاخ في مصر (٣) .

ثم إنه يرثي بمدوحه بشعر حسن فيه أسف ولوعة وفيه ذكر حسن
وإطراء . فإذا يموت هؤلاء الذين يألفهم ويتقرب في مجلسهم وينال عطاياهم
يؤلمه الفقد ويحزنه ويبعثه على الوفاء . وقد رثى كثيراً على النهج الذي سار
فيه لدى المديح وعلى مألوف العرب في اللفظ والمعنى ، وإذا خرج عنه
في الاستمارة فانه لا يخرج إلا قليلاً قليلاً بحيث لا يحسن ؛ وقد سارت له
في الرثاء أبيات وقصائد . ولنا أن نستعيد العينة الثانية التي قالها في خريم
ابن أبي الهيثم لذي تمكنه لغة ونصاعة ومعنى وعاطفة وصورة ؛ إنها
أبيات لا تصدر إلا عن شاعر كبير وقد أعجبت الشعراء والنقاد والباحثين
على مر العصور .

- (١) القاضي الجرجاني ٣٧١ ، البيان ٢ : ٢٠٧ ، ونظر البيان ٢ : ٢٨٧ .
(٢) روى القصيدة المصري ٢ : ١٠٧٠ - ١٠٧١ ، وذكر ابن قتيبة البجلي ٢ : ٧٣١ .
.. قائل : « ولعثمان يقول أبو يعقوب » والصحيح أن يكون « وفي عثمان يقول
.. أبو يعقوب » لأنه لم يوجه كلامه إلى عثمان .
(٣) رواها المصري ٢ : ١٠٧٢ - ١٠٧٣ .

« قال أحمد بن عبيد .. مات حميد الطوسي فرثاه علي بن جيلة ، فلقيته
فقلت له : أنشدني مرثيتك حميداً ، فأنشدني :
نماء حميداً للسرايا إذا غدت تزدادُ بأطراف الرياح وتوزع
حتى إذا أتى على آخرها .. قلت له : ما ذهب على النحر الذي نحوته يا أبا الحسن ،
وقد قاربته وما بلغت . فقال : وما هو ؟ قلت : أردت قول الخريجي في
مرثيته أبا الهيثم [كذا] :

وأعدته ذخراً لكل ملة وسهم النساء بالذخائر مولع
فقال : صدقت والله ، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع في اللحاق به ،
لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراد ما كان يطمع أن يقاربه في
هذه القصيدة » (١) .

« وذكر أحمد بن عبيد بن ناصح أنه قال لأبي تمام ، وكان يحجي المسجد
الجامع ينشد أشعاره ... أخبرني عن قولك :
كأن بني نهان يوم وفاته نجوم سماء خرو من بينها البدر
أردت أن تصف حسن حالهم بعده أو سوء حالهم ؟ قال : لا والله ،
سوء حالهم ، لأن قمرم قد ذهب . قلت : والله ما تكون الكواكب أحسن

(١) الأصبهاني ١٨ : ١١٣ - ١١٤ . وقد جاء في الرواية : « .. حتى إذا أتى على
آخرها فقلت له » والناسب أن يقول « حتى إذا أتى على آخرها قلت » أو
« .. حتى أتى على آخرها فقلت » . وورد كذلك : « في مرثيته أبا الهيثم »
وللناسب أن يقول « في مرثيته ابن أبي الهيثم » .

وعلي بن جيلة هو الشاعر المعروف بالسكوك مدح أبا دلف وحميد الطوسي ...
توفي سنة ٢١٣ .. ينظر عنه ابن قتيبة ٢ : ٧٤٢ - ٧٤٦ ، ابن اللعز
١٧١ - ١٩٣ ، ٥١٣ - ٥١٦ ، ... يزيدان - تاريخ آداب اللغة العربية

حالاَ إلا إذا لم يكن معها قمر ، ألا قلت كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي :

بقية أقمار من الغرِّ لو خبت لظلَّت معدَّة في الدُّجى تتسكعُ
إذا قرُّ منهم تنوَّرت أو خبا بدا قمر من جانب الأفق يلعب
قال : فوجم وسكت ، (١) .

وكان محمد بن يزيد يقول : لو سئلت عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم اختر على أبيات الخريمي :

ألم ترني أبني على الليث يتَّه وأخو عليه الترب لا اتخشعُ
وأعدده ذخراً لكلِّ ملِّمةٍ وسهم المنايا بالذَّخائر مولى
ولاني ، وإن أظهرت مني جلالة وصانعت أعدائي ، عليه لموجع
ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ، ولكن ساحة الصبر أوسع ، (٢)
ولا بد من أن يكون المتنبي قد وقف على هذه السنية وأعجب بها وتأثر قائم أو أخذ (٣) .

هذه السنية من روائع الشعر العربي ، وهي تشهد بأن الخريمي من شعراء الرثاء المجددين . ولكن معاصري الشاعر لاحظوا تفوق مديحه على رثائه فاستغربوا وسألوه في أكثر من مناسبة ، وكان يجيب جواباً يكاد يكون

(١) الرزباني - اللوشح ٣٠٦ - ٣٠٧ : « قال أحمد بن محمد الحلواني ، ذكر أحمد

ابن عبيد » وينظر الرزباني - اللوشح ٣٢٣ : « أخبرني الصولي قال ، عاب قوم على أبي تمام قوله : .. » وينظر القاضي الجرجاني ٢٠٣ .

(٢) السكري - ديوان ٢ : ١٧٥ « وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى . واسم للبرد محمد بن يزيد - وهو من للكبريت لشعر الخريمي .

(٣) ينظر القاضي الجرجاني ٢٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، التبيان ٣ : ١٠ ، ٣٣٣ .

واحدًا : « كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينها
بون بعيد » (١) .

★ ★ ★

ونظم الخريجي في أغراض أخرى ، وإذا لم يكن فيها ذا مكانة خاصة
فإن له في بعضها ما تحسن الإشارة إليه ، ففي الفخر إذ دافع عن نسبه
وامتدح شعره تحدث عن حسن الضيافة يبيتين سارا مثلاً وكأنها نموذج
الفخر للكرم العربي وقد أثبتنا أبو تمام على رأس الباب من كتاب « الوحشيات »
وتناقلها الناس من بعده وتداولتها الكتب ، وهما :

أضاحك ضيفي قبل إزال رحله ^١ ومخصيب عندي والمحل جديب ^٢
وما الخصب للأضياف أن يكثر القيرى ^٣ ولكتما وجه الكريم خصيب ^(٢)
وفي الحكمة ورد له البيت والبيتان ، وحاول أن يظهر بمظهر الحكيم
الذي يضع آراءه العامة في قالب مخصوص ، ولكنه لم يعد المعاني المألوفة
في الشعر العربي فأخرجها المخرج المألوف دون تميز وإبداع ، وإذا قيل
إن المتنبي تأثر بهذا القول أو ذاك ، وقيل انه إذ قال :

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب
فقد قال الخريجي قبله :

إذا أنت لم تحم القديم بمحدث من المجد لم ينفعك ما كان من قبل ^(٣)

(١) ينظر ابن قتيبة ١ : ٢٣ - ٢٤ ، ٢ : ٧٣٢ ؛ ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ ،
ابن عدي ٥ : ٣٢٧ ، الجهني ٢٦٨ وينظر الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .
ورأي البحتري يخالف رأي الخريجي ، فقد كانت سرائره في أبي سعيد محمد الثوري
وولده « أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن
تفضل المراني المدائح » - الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .

(٢) أبو تمام ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، الجاحظ - البيان ١ : ١١ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ؛
عيون ٣ : ٢٣٩ ، العباسي ١ : ٢٥٤ .

(٣) القاضي الجرجاني ٣٧٠ - ٣٧١ ، البيان ٢ : ١٥٥ ؛ وينظر القاضي الجرجاني
٣١١ والبيان ٣ : ١٨٧ . وينظر لأمثلة أخرى من الحكمة ابن قتيبة
٢ : ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

فقد يدل هذا على مكانة ماللخرمي ، وقد يدل على أهمية وذكر اتصل بالمتني وشرح شعره وبالوساطة بينه وبين خصومه ، ولكن المعاني شائعة ذائعة سبقت للخرمي ولحقت بالمتني .

وخير من هذه المعاني في رفع مكانة الخرمي ومنحه صفة من صفات التفرد بين شعراء العربية أيات له ذات دلالة اجتماعية ونفسية وعقلية ، هي :

ما أحسن الفيرة في حينها وأبجح الفيرة في كل حين
من لم يزل متشهماً عرسه مناصياً فيها لرب الظنون
أوشك أن يفرها بالذي يخاف أن يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها وضعها منك إلى عرض صحيح ودين
لا تطلع منك على ريسة فيتبع المقرون جمل القرن (١)

أما النزل فعلى الرغم من قول ابن المعتز فيه : « له في النزل ملح كثيرة » (٢) فإنا لم نظفر له بما يؤيد هذا القول (٣) . وليس له في الهجاء ما يستحق الذكر ، ويظهر أنه ودّع « الشكوى » مبكراً بعد أن اتصل بثمان الخرمي ثم عاد لها مؤخراً عندما تزايدت عليه المصائب ، وكان من أقسامها قده البصر فنظم في ذلك غير قليل مصوراً آلامه وهمومه وجوّد في بعض ما قال وسار أكثره .

إن جيد الخرمي غير قليل ولكن أبرزه وأجدره بالبقاء والاحترام رائيته الرائعة البارعة التي صور بها آثار الفتنة بين الأمين والمأمون وما جرّت من ظلم ونهب وخراب .

قالوا ولم يلب الزمان ينسداد ولم تثر بها عواثرها

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .

(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .

(٣) ينظر ابن المعتز ٢٩٤ ، ٤٤٣ - ٤٤٤ ؛ البصائي ٦ : ٣٢٦ .

وقد حفظ الطبري غير قليل مما صلب هذه الفتنة من شعر ، ولكن ليس
 بين هذا الشعر ما يسمى سمو رائية الخريجي وليس فيه ما يقرب منها .
 وروى المسعودي قصيدة رائية للأعمى [المروفي بعلي أبي طالب] مطلعها :
 تَقَطَّعَتِ الأَرْحَامُ بَيْنَ العِشَائِرِ وَأَسْلَمَهُمْ أَهْلُ التَّقَى والبَصَائِرِ
 وفيها :

فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور ذليل وقاهر (١)
 وموضوعاتها تشبه موضوعات قصيدة الخريجي ولكنها بعيدة عن أن تدرك قصيدة
 الخريجي فهي أضعف عاطفة وأقل خيالاً وهي أدخل في الشعر التعليمي منها
 في الشعر الشعري .

ومن يدرينا ، فلمل ابن الرومي اطلع على قصيدة الخريجي وتأثر بها
 وهو ينظم ميمته عن البصرة وما فعل بها الزنج (٢) .



يعرض الخريجي معانيه بلغة سليمة ثرية مختارة اللفظ جيدة السبك
 مترفعة عن الرذول السفساف عليها غير قليل من رشاقة ونخامة . وقد دل
 على أنه فقه اللغة العربية وضبطها وأدام النظر في روائع نصوصها وحفظ
 الكثير من هذه الروائع حتى أصبحت جزءاً منه ولا بد من أن تكون

(١) المسعودي ٣ : ٤٠٩ - ٤١٠

(٢) وقد انتبه إلى ذلك بروكلمان ٢ : ٤٦ فقال : « وينسج ابن الرومي على منوال
 الخريجي فيجتري أيضاً على وصف المواقف التاريخية كما في شكايته من غلبة
 الزنج على البصرة » - تنظر القصيدة في المختارات التي عملها الكيلاني من ديوان
 الرومي ، ومطلعها :

ذاد حق مقلتي لقيث النصار : شغلها عنه بالتموع السجاسم

الشم والجزيرة وبتعداد مما زاد لفته عقلاً وتهذيباً ، حتى أمكن أن يعد شعره مصدراً للغة العالية ، وقد تجد عنده تميزات تستغربها ، إلا أنك لا تستطيع أن تغزوها إلى جهل أو ضعف أو تهاون لأنه يشعر بمكانته ويقنعك بأنه أستاذ في فنه . ولم يكن عبثاً أن يقف عبد القاهر الجرجاني طويلاً في « دلائل الإعجاز » عند بيت الخريمي .

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليه . ولكن ساحة الصبر أوسع مقرر أن الأحسن إظهار المفعول عند مجيء المشيئة بعد « لو » (١) .

★ ★ ★

وكان في عصره منهجان من الشعر : الشعر الذي لزم عمود الشعر ، والشعر الذي شرع يفارق العمود على يد بشار وأبي نواس ، أو فارقه فعلاً ، دون إغراق ، على يد مسلم بن الوليد إذ كان قصده ينأى إلى البديع بما فيه من غريب الاستعارة والجناس والطباق (مهاداً للمفارقة الكبرى على يد أبي تمام) . ولم يشأ الخريمي أن يعتمد خارج إمكانه أو ينأى عن مدى شخصيته وظروف تكوينه ومستلزمات بيئته لذا بقي عمودياً أو بمعنى أدق قريباً من العمود ، فلم يعتمد عنه إلا في حدود ضيقة هي الحدود التي يسمح بها المعنى ولا يبدو بها غريباً مستغرباً كما في قوله :

وفارقت حلو العيش إلا صبابةً عليها خطوط الحادثات تحوم (٢)
فهاً له ذلك أن يبقى معدوداً في المطبوعين ، وحفظه من أن يتكلف القول فيما لم يكن له فيجره إلى ضعف ووهن ومخفق .

(١) عبد القاهر الجرجاني ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ابن مسكر ٢ : ٤٣٧ .

وحين جاء أبو تمام ثم البحري ، ووقع النقاش في عمود الشعر ، ثم اشتد هذا النقاش واحتد ، وجاء الآمدي للموازنة ، أوضح مذهب الخريجي وهو يوضح مذهب البحري ؛ قال : « ... من فضّل البحري ونسبه إلى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة وقرب المأثري وانكشاف المعاني ، وجم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . ومثل من فضّل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام .

إن البحري أعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام . فهو بأن يقاس بأشجع السلمي ومنصور [النمرى] وأبي يعقوب [الخريجي] المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ... » (١)

إذاً كان الخريجي يمثل منهاجاً من الشعر ، وقد أقر ذلك الآمدي ، ثم القاضي الجرجاني ، إذ قال وهو يقدم للوساطة بين المتني وخصومه : « إنك لا تدعي لأبي الطيب طريقة بشار وأبي نواس ولا منهاج أشجع والخريجي ، ولو ادّعيته فأنما كنت تخادع نفسك أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين : إما أن تدعي له الصنعة المحضة فتلحقه بأبي تمام ... فإن ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جنبه مسلم ... » (٢) .

وكان المبرد معجباً بالخريجي وقد حدد مبكراً فن الخريجي إذ قال :

(١) الآمدي ١ - ٦ .

(٢) القاضي الجرجاني ٥٠ - ٥١ .

« كان شاعراً مفلحاً مطبوعاً مقتدرًا على الشعر » ، وقال : « كان « جيد الشعر مقبولا عند الكتاب وله كلام قوي ومذهب متوسط » (١) .

ولم يبالغ المبرد ولم يخرج بأحكامه عن الاعتدال . وكذلك كانت جل الأحكام التي صدرت في الخريبي ، فقد قال ابن المعتز : « وهذا الخريبي من الحسين المجيد للشعر » (٢) . وقال ابن الجراح : « انه « شاعر متقدم مطبوع له أشعار طوال ومدائح ، وكلامه عذب حسن » (٣) وكان الخطيب البغدادي مقتصدًا جدًا في الكلام فاكتفى بأن قال : « أما أبو يعقوب فشاعر «محسن » واكتفى ابن عساكر بأن أعاد أحكام غيره مرتين منسوبة ومرة غير منسوبة (٤) . ويبدو أن أباحتم السجستاني كان شديد الإعجاب بحيث سمح لنفسه أن يقول : « الخريبي أشعر المولدين » (٥) .

ولا شك في أن الخريبي نفسه كان يبي شعره ، ويدرك منزلته ويعرف ما يأخذ وما يدع ، وقد مدح مرة قصيدة له فقال :

هاكها غراء تسري في الداجي كل بيت عاثر منها تسير
حلّة جبرها ذو مقّة بالهوى يسدي وبالود ينسير (٦)

(١) ابن المعتز ٢٩٣ « وحدثني المبرد قال ... » . الحصري ٢ : ١٠٧١ « قال المبرد ... » ابن عساكر ٧ : ٤٣٣ ... ولاحظ ان المبرد مما كان يفضل البحتري - الأمدى ١ : ٢١١ .

(٢) ابن الجراح ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

(٤) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٥) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدثني الكرائي قال سمعت أباحتم ... » ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ .

(٦) ابن الجراح ١٠٤ .

ومدح أخرى فقال :

دونك غراء كالوذيلة لا تثقّد في بلدة سائرها (١)

وكان الناس يستحسنون شعره فيسألونه :

— ما بال شعرك لا يسمعه أحدٌ إلا استحسّنه وقبلته طبيعته ؟ فيقول :

— لأنني أجاذب الكلام إلى أن يساهلني عفواً فإذا سمعه إنسان سهل

عليه استحسانه (٢) .

وفي جوابه توضيح علمي للمقصود بالشعر المطبوع ودليل على عملية الخلق الأدبي لديه .

ثم إنه لا يكره نفسه على النظم ولا يسمح للعوامل الطارئة أن تغريه بالقول ، روى الحافظ : « قال لي أبو يعقوب الخريجي : خرجت من منزلي أريد الشهاسية فابتدأت القول في مرثية لأبي التختاخ ، فرجعت والله وما أمكنتي بيت واحد » (٣) .

ولم يكن ذلك سحجاً فهو أمرؤ يحترم فن الشعر ويفهم حقيقة القول ويتشبت بمفهوم للبلاغة ، ولا غرو أن كان الراوية الذي أوصل إلينا تعريف ابن المقفع للبلاغة والقائل : « لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ،

(١) الطبري III ٨٧٩ .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن المبارك قال : قلت لأبي يعقوب ... »

(٣) الجاحظ - البيان ١٠١ - ٢٠٩ - ولعل الأصل لأبي علي التختاخ أو لابن التختاخ .

ومنها ما يكون في الاحتجاج ... فعادة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى إذا أعطيت كل مقام حقه وقت بالذي يجب في سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنه لا يرضيها شيء . وأما الجاهل فليست منه وليس منك ... (١) .

إن الخريمي شاعر من كبار شعراء العربية ، وتأكد أنه كان معروفاً مشهوراً ، ولم يكن ذلك باطلاً ، إلا أن الملاحظ أنه كان معروفاً لدى الخاصة أكثر منه لدى العامة ، وأن ذكره تضاعف واختفى مبكراً حتى أن أديباً من أواسط القرن الخامس ، وهو ابن رشيق ، تنبه إلى ما لحق الخريمي ، ولحق أمثاله ، من حيف فقال متألماً : « الاشتهار بالشعر أقسام وجدود » (٢) ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من أجله أو إنصافه ولم يرد له شيء يستحق الذكر في مجموع كتابه .

ألا إن أبا يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي شاعر جدير بالإعجاب ، جدير بالاهتمام .



(١) الجاحظ - البيان ١ : ١١٥ - ١١٦ . وينظر السكري - المتاعين ١٤ ،

المصري ١ : ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن رشيق ١ : ٢٤٣ .

(٢) ابن رشيق ١ : ١٠٠ (باب الشاهير من الشعراء) وفيه « .. ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزي أشهر من منصور النعري وكاثوم الثاني وأبي يعقوب الخريمي وأبي سعيد الخزومي » .

المصادر والكتب الحديثة

- الآمدي — (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٧٠) .
 الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . تح . السيد أحمد صقر ، ج ١ ،
 القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٥) ١٩٦١ .
- ابن الأثير — (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ... الشيباني الجزري ، المتوفى
 سنة ٦٣٠) .
 الكامل في التاريخ . القاهرة (إدارة المطبعة النيرية — صحح أصوله الشيخ
 عبد الوهاب النجار) ١٣٥٧ .
- ابن تقي بردي — (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، المتوفى سنة ٨٧٤) .
 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة (مطبعة دار الكتب
 المصرية) ١٩٢٩/١٣٤٨ .
- ابن الجراح — (أبو عبد الله محمد بن داود — وزير ابن المعتز ... المقتول سنة ٢٩٦) .
 الورقة . تح . عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . القاهرة (دار
 المعارف — ذخائر العرب — ٩) ١٩٥٣ .
- ابن حزم — (أبو محمد علي بن سعيد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
 جمهرة أنساب العرب ، تح . ليثي بروقنسال ، القاهرة (دار المعارف —
 ذخائر العرب — ٢) ١٩٤٨ .
- ابن خلكان — (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٦٨١) .
 وفيات الأعيان . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (مطبعة السعادة ،
 نشر مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٨/١٣٦٧ .
- ابن دريد — (أبو بكر محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٣٢١) .
 الاشتقاق . تح . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (نشر مكتبة الخانجي
 — مطبعة السنة المحمدية) ١٩٥٨/١٣٧٨ .

- ابن رشيق — (أبو علي الحسن القيرواني ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
العمدة في محاسن الشعر وتقده . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة
(ط ٢ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة) ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .
- ابن عبد ربه — (أحمد بن محمد ... الأندلسي : المتوفى سنة ٣٢٨) .
العقد الفريد . تح . أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري . القاهرة
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .
- ابن عدلان — (عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي ، المتوفى سنة ٦٦٦) .
يرى الدكتور مصطفى جواد (في مقالة نشرها في العدد السادس ، ص ١٥٢
من مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨ / ١٩٥٩) انه شارح ديوان
المتني باسم التبيان ..) — ينظر التبيان ، العكبري .
- ابن عساكر — (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ... الشافعي ، المتوفى سنة ٥٧١) .
التاريخ الكبير نشر بتهديب عبد القادر بدران . دمشق (مطبعة روضة
الشام) ١٣٣٠ .
- ابن قتيبة — (أبو محمد عبد الله بن مسلم .. الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦) .
الشعر والشعراء . بيروت (نشر وتوزيع دار الثقافة) ١٩٦٤ .
(مع المقابلة بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة (دار احياء الكتب
المرية - عيسى الباي) ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ومخطوطة مكتبة شيخ الإسلام
بالمدينة برقم ١٤٠) .
- عيون الأخبار . القاهرة (دار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية)
١٣٤٣ / ١٩٢٥ — ١٣٤٩ — ١٩٣٠ .
- ابن كثير — (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،
المتوفى سنة ٧٧٤) .
البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٣٢ .

- ابن المعتز — (أبو العباس عبد الله المقتول سنة ٢٩٦) .
طبقات الشعراء تم . عبد الستار فرّاج . القاهرة (دار المعارف —
ذخائر العرب — ٢٠) ١٩٥٦/١٣٥٧ (كانت الطبعة الأولى بتحقيق عباس
إقبال في سنة ١٩٣٨) .
ابن منظور — (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، المتوفى سنة ٧١١) .
لسان العرب . القاهرة ، بولاق ١٣٠٠ .
ابن النديم — (أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم ... صنع كتابه سنة ٣٧٧ ؟
وتوفي سنة ٣٨٥) .
الفهرست . تم . Gustav Flügel ، ليزك ١٨٧١ (في الطبعة المصورة التي
عملتها مكتبة خياط (روائع التراث العربي) بيروت د . ت (١٩٦٤) .
أبو تمام — (حبيب بن أوس المتوفى ٢٣٢) .
كتاب الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى) علق عليه عبد العزيز اليميني
الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر . القاهرة (دار المعارف —
ذخائر العرب — ٣٣) ١٩٦٣ .
أحمد أمين — ضحى الاسلام . الجزء الأول . ط ٥ ، القاهرة (مكتبة النهضة
المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ (كانت الطبعة
الأولى في سنة ١٣٥١/١٩٣٣) .
الأصبهاني — (أبو الفرج علي بن الحسين ... ، المتوفى سنة ٣٥٦)
الأغاني . التزام ساسى . القاهرة مطبعة التقدم ، وطبع الفهرس بمطبعة
الجمهور ١٣٣٢ .
بروكلان — (كارل) . تاريخ الأدب العربي . نقله إلى العربية الدكتور
عبد الحليم النجار . ج ٢ ، القاهرة (جامعة الدول العربية — الادارة
الثقافية — دار المعارف) ١٩٦١ .

برون Browne (E. G) — Aliterary History of Persia. Cambridge, the University Presse 1950.

- البغدادي — (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، المتوفى سنة ٤٦٣) .
 تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٩ / ١٩٣١ .
 البكري — (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المتوفى سنة ٤٨٧) .
 التنبيه على أوهام أبي علي القالي . القاهرة (ط ١ ، مطبعة دار الكتب
 المصرية ، على نفقة اسماعيل يوسف دياب) ١٩٢٦ / ١٣٤٤ .
 يومي — (السباعي) ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ (في العصر العباسي بالشرق)
 ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي (١٣٧٢ / ١٩٥٣) .
 التبيان — التبيان في شرح الديوان (ديوان المتنبي) القاهرة . تح . مصطفى
 السقا ، ابراهيم الاياري ، عبد الحفيظ شلي . ملتزم الطبع والنشر شركة
 مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — تراث العرب — ٣ : ط ٢ ، ١٣٧٦ /
 ١٩٥٦ ينظر ابن عدلان والمكبري .
 الجاحظ — (أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى سنة ٢٥٥) .
 الحيوان . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ
 — الكتاب الأول — مكتبة مصطفى البابي وأولاده) ١٩٣٨ / ١٣٥٧ =
 ١٩٤٧ / ١٣٦٦ .
 البيان والتبيين . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ —
 الكتاب الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٨ / ١٣٦٧ —
 ١٩٥٠ / ١٣٧٠ .
 البخلاء . تح . طه الحاجري . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب —
 ٢٣) ١٩٥٨ . وفي ذيله تعليقات وشروح — ينظر الحاجري .
 الجرجاني — ينظر القاضي ، وينظر عبد القاهر .
 الجهنياري — (أبو عبد الله محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣٩) .
 كتاب الوزراء والكتاب . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الاياري ، عبد الحفيظ
 شلي . ط ١ ، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٩٣٨ / ١٣٥٧ .

- الحاجري — (طه) محقق الجاحظ — البخلاء (ينظر) ، وقد ذيل عليه في
المجلد نفسه بـ « تعليقات وشروح من ص ٢٤٧ — ٤٣٨ » .
- حجاب (الدكتور محمد نبيه حجاب) ، مظاهر الشعبية في الأدب العربي حتى
نهاية القرن الثالث . القاهرة (ط ١ ، مكتبة نهضة مصر) ١٣٨١/١٩٦١
(والكتاب رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ عمر دسوقي) .
- الحصري — (أبو إسحاق إبراهيم بن علي ... القيرواني المتوفى سنة ١٣٤١ أو ٤٥٣) .
زهر الآداب وثمر الألباب . تم . علي محمد البجاوي . القاهرة (ط ١ ،
دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٢/١٩٥٣ .
- الحوفي — (أحمد محمد) ، أدب السياسة في العصر الأموي . القاهرة (ط ١ ،
مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ .
- الخطيب — ينظر البغدادي .
- الذهبي — (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ... ، المتوفى سنة ٧٤٨) .
كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تم . علي محمد البجاوي . القاهرة
(دار إحياء الكتب العربية — عيسى الباي الحلبي) ١٣٨٢/١٩٦٣ .
- رفاعي — (الدكتور أحمد فريد) ، عصر المأمون . القاهرة . (ط ١ ، مطبعة دار
الكتب المصرية) ١٣٤٦/١٩٢٧ .
- الزبيدي — أبو الفيض السيد محمد مرتضى بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٠٥) .
تاج العروس من جواهر القاموس . القاهرة (المطبعة الوهيبية)
١٢٨٦ — ١٣٠٧ :
- الزركلي — (خير الدين) ، الأعلام . القاهرة (ط ٢ ، عشرة أجزاء) مطبعة
كوستانتينوس وشركاه . ١٣٧٣/١٩٥٤ — ١٣٧٨/١٩٥٩ .
- السجستاني — (أبو حاتم سهل بن محمد ، الموفى حوالي سنة ٢٥٠) .
المعمرون والوصايا . تم . عبد المنعم عامر . القاهرة (دار إحياء الكتب
العربية — عيسى الباي) ١٩٦١ .

الثايب — (أحمد) ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . القاهرة
(ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ (كانت الطبعة الأولى ١٩٤٥) .

الصفدي — (صلاح الدين بن ابيك ، المتوفى سنة ٧٦٤) .

نكت الهميان في نكت العميان . وقف على طبعه أحمد زكي بك . القاهرة
(المكتبة التجارية ، المطبعة الجمالية) ١٩١١/١٣٢٩ (أعدت مكتبة المثنى
بمقداد طبعه على الأوفست بطهران ، د . ت) .

الصولي — (أبو بكر محمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٣٥) .

كتاب الأوراق — قسم الشعراء ، عني بنشره ج . هيورث دن ، القاهرة ،
(ط ١ ، مطبعة الصاوي) ١٩٣٤ .

الطبري — (أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠) .

تاريخ الأمم والرسل والملوك . تح . دخويه De Goeje ، لندن ١٨٨٩-١٩٠١
(أعادت نشره مصوراً على الأوفست مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤) .

العباسي — (عبد الرحيم بن أحمد المتوفى سنة ٩٦٣) .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . تح . محمد محي الدين عبد الحميد ،
القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٤٧/١٣٦٧ .

عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١) .

دلائل الإعجاز في علم المعاني . صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد
محمود الشنقيطي . القاهرة (ط ٤ ، دار المنار) ١٣٦٧ (كانت الطبعة
الأولى سنة ١٣٢١) .

المسقلاني = (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى سنة ٨٥٢) .

لسان الميزان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر اباد الدكن ،
١٣٢٩ — ١٣٣١ .

تهذيب التهذيب ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٥ .

العسكري — (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥) .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تم . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي) ١٣٧١ — ١٩٥٢ .

المكبري — (أبو البقاء عبد الله المتوفى سنة ٦١٦) ، ينظر التبيان وابن عدلان .

الفيروز آبادي — (محمد الدين محمد بن يعقوب ، المتوفى سنة ٨١٧) .

القاموس المحيط . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٨ — ١٩١٣ .

القاضي الجرجاني — (علي بن عبد العزيز ، المتوفى سنة ٣٦٦) .

الوساطة بين المتني وخصومه . تم . محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد

البجاوي (ط ٣ ، دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي)

(الطبعة الثانية بتاريخ ١٣٧٠ — ١٩٥١) .

القفطي — (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦) .

إنباء الرواة على أنباء النحاة . تم . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة

(مطبعة دار الكتب المصرية) ج ١ ، ١٣٦٩ — ١٩٦٠ .

القلقشندي — (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة ٨٢١) .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تم . إبراهيم الأيساري . القاهرة

(الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ .

الكندي — (أبو عمر محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٣٥٠) .

ولاية مصر . تم . الدكتور حسين نصار . بيروت (دار صادر — دار بيروت)

١٣٧٩ — ١٩٥٩ .

لسترنج — بلدان الخلافة الاسلامية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس

وكوركيس عواد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي — مطبعة الرابطة)

بغداد ١٣٧٣ — ١٩٥٢ .

اللفوي — (أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللفوي الحلبي ، المتوفى سنة ٣٥١) .
مراتب النحويين . تم . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (مكتبة نهضة
مصر ومطبتها) ١٣٧٥ - ١٩٥٥ .

المبرد — (أبو العباس محمد بن يزيد ... المتوفى سنة ٢٨٥) .
الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ج ١ ، تم . زكي مبارك
١٩٣٦/١٣٥٥ ، ج ٢ ، ٣ . تم . أحمد محمد شاكر ١٩٣٧/١٣٥٦
(مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .

الفاضل تم . عبد العزيز الميمني (تقرأ المقدمة للتحقق من مؤلف الكتاب)
القاهرة (دار الكتب المصرية - مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٥٦/١٣٧٥ .
عמוד مصطفى — (الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، ج ٢ ، ط ٢ ،
(مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٩٣٧/١٣٥٦ (كانت الطبعة الأولى سنة
١٩٣٣/١٣٥٢) .

المرزباني — (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، المتوفى سنة ٣٨٤ أو ٣٨٥) .
الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء . القاهرة (جمعية نشر الكتب العربية -
المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ .
معجم الشعراء .

المرزوقي — (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٤٢١) .
شرح ديوان الحماسة . نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، القاهرة
(ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥١/١٣٧١ —
١٣٧٢ - ١٩٥٣ .

السمودي — (أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٤٦) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تم . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة
(مطبعة السعادة) ط ٣ ، ١٩٥٨/١٣٧٧ .

- المقريزي — (أبو العباس تقي الدين بن علاء الدين ... المتوفى ٨٤٥) .
 المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تحقيق Gaston Wiet ، المعهد
 الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩١٠ .
- الميداني — (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة ٥١٨) .
 مجمع الأمثال . تم . محمد عبي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ،
 ط ٢ ، ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .
- النوري — (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ... المتوفى سنة ٧٣٢) .
 نهاية الأرب في فنون الأدب . القاهرة (دار الكتب المصرية) .
- الوشاء — (أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٢٠) .
 الموشى أو الظرف والظرفاء . تم . كمال مصطفى . القاهرة ، ط ٢ (مطبعة
 الاعتماد — التزام مكتبة الخانجي) ١٩٥٣/١٣٧٢ .
- ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦) .
 معجم البلدان . بيروت (دار صادر — دار بيروت) ١٣٧٤ — ١٩٥٥ .
 معجم الأدباء (ارشاد الأرب إلى معرفة الأديب) . القاهرة (دار المأمون)
 ١٩٣٦/١٣٥٥ — ١٩٣٨/١٣٥٧ .

الدكتور علي جواد الطاهر

الرياض — جامعة الرياض



طُرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٦ -

(المجلد الثاني)

- ٨٦ : ٢ الصواب : قام يستوف كما في اليتيمة والوفيات . واليت
الثاني مثل سائر ، (٩ / ٢٥٩ : ٤) .
- ٨٦ : ١٤ الصواب : هكذا تزول .
- ٨٧ : ٤ البنية ١٦٠ . وللعروضي هذا كتاب على ديوان المتنبي كما في
الصبح المنبي ١٣٥٠ هـ ص ١٦١ .
- ٨٨ : ١٩ مسكويه هذا له ترجمة في حكام القفطي ١٣٢٠ هـ ص ٣٣١
والشمة رقم ٨٣ ، (١ / ٥ : ٥) .
- ٨٩ : ٨ لعل الصواب ابن العميد أبا الفضل ، (١٣ / ٥ : ٥) .
- ٩٠ : ٦ اليتان في الإيجاز مصر ٢٢٧ وخص الخاص ١٦٤ والشمة
٨٣ واليتيمة ٣ : ٧ ، (٩ / ٧ : ٥) .
- ٩٠ : ١٥ ومن الكلمة يتان آخران في خص الخاص ١٦٤ . هذا وفي
الشمة قبل البيت (ومنها) والصواب كما فيه أعدن ... وردت .
- ٩١ : ٢ الشمة : فان ترمس بي ، وفيه في البيت العاشر والحظ كتابهم ،
وفي البيت ١٢ تمطمه وارى كلها الصواب ، (٥ / ٩ : ٥) .

٩١: ١٦ جاورِ يَذا نِ خِرَ دَ هذا أصله للحكيم اوشهنج الملك تَمَّه
مكويه وقد طبعت أصله في مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٣٤٧ هـ ١٢٩٥ - ١٣٩
و ١٩٣ - ٢٠٢ ، (١٤/١٠ : ٥) .

٩٢: ١٢ الصواب : والسَخَفُ به لكن .

٩٤: ٢ الصواب : فَنَم رائد .

٩٦: ٤ الصواب : مَلِكة .

٩٦: ٥ الصواب : ليستعمل في المهم .

٩٦: ١٥ في كتابه . لم أجده في طبعتي اليتيمة والشمّة ، (١٥/١٩ : ٥) .

٩٦: ١٧ الصواب : والإبداع .

٩٧: ١٤ الصواب الداهنزا أي سعد انظر له الشمّة رقم ٩٩ والشمّة

ص ١٠٦ . والحوالي لا أعرفه وإنما هو جرجاني ، (١٠/٢١ : ٥) .

٩٧: ١٥ لعله : ثم شوّقنا إلى مشاهدة الفضل .

٩٨: ٧ لعله ولا أبدى بأفق ، (١٢/٢٢ : ٥) .

٩٨: ٩ الصواب : أن يَجْرُ أوليائه على شك الرد . فبحق .

٩٨: ١٨ الصواب : كتاب الإنشاء .

١٠٠: ٩ الصواب : والصاد خاء ، يريد الخيانة .

١٠٠: ١١ الصواب : ويتلوه فاء . يريد السخيف .

١٠٢: ١ لترجمته حواشي چهار مقاله ٢٤٤ طبعه جيب وورد ذكره

في اليتيمة ٤: ١٦٥ ، (٦/٣١ : ٥) .

١٠٢: ٢ مضى في ترجمة الصخري أبو محمد محمود بن أرسلان ،

(٧/٣١ : ٥) .

١٠٢: ٤ الثمالي : هذا لم أجده في كتابيه اليتيمة والشمّة ، (١٠/٣١ : ٥) .

١٠٢: ٩ لعله : الحسولي في المذهب ، (٤/٣٢ : ٥) .

- ١٠٢ : ١٢ الصواب : من عناء ، (٨/٣٢ : ٥) .
- ١٠٣ : ٥ في ذيل أبي شجاع ص الأصل ٤٢٧ غريب بن محمد بن مقن ،
(١٣/٣٣ : ٥) .
- ١٠٣ : ٩ لترجمة المرزوقي في البنية ١٥٩ وما إليه .
- ١٠٤ : ٧ لترجمة الثعلبي الوفيات رقم ٢٩ طبقات القراء ٤٦٢ الشذرات
٤٢٧ هـ الشافية ٣ : ٢٣
- ١٠٥ : ٣ الخطيب ٢٢٥١ البنية ١٥٥ الشافية ٣ : ٢٤ ، (٨/٣٨ : ٥) .
- ١٠٥ : ٩ الصواب : وكتبت عنه ، (٧/٢٩ : ٥) .
- ١٠٥ : ١٤ الصواب : المهدي منسوب إلى المديّة ترجمته في بنية
الملتص ٣٥٠ .
- ١٠٦ : ٤ لترجمته بنية الملتص ٣٥٤ والمطمح الجواب ٢٤ ، (٣/٤١ : ٥) .
- ١٠٦ : ٦ شهيد ككيت .
- ١٠٧ : ٤ لترجمته البنية ١٦٨ .
- ١٠٧ : ١٦ اليداني لترجمته الوفيات رقم ٥٩ البنية ١٥٥ النزهة ٤٦٦
ورأيت خط يده بالقراءة على نسخة من اصلاح المنطق بنور عثمانه ٤٦٩٢
مكتوبة سنة ٣٩٥ هـ ، (١/٤٥ : ٥) .
- ١٠٨ : ٢ جامع الأمثال سماه مؤلفه بجمع الأمثال . والسامي طبع ابران
سنة ١٢٧٤ هـ وهو في معنى مقدمة الأدب للزخري ، والأغوذج ونزهة
الطرف مطبوعان ، (١/٤٦ : ٥) .
- ١٠٨ : ٥ رأيت بخرانة أحمد الثالث ٢٧٨٦ شرح الكلمات المشككة في
السامي لأبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في ٩٠ ق (٥/٤٦ : ٥) .
- ١٠٨ : ١٦ الصواب : محمود بن أبي المالحي الخواري ويأتي في ترجمته الجوهري
أيضاً وترجمته عن ياقوت في البنية ٢٩٠ . وخوار كغراب من أعمال الري .

- ١٠٩ : ٦ الصواب : فشاً .
- ١٠٩ : ٦ الوفيات : أياهل ترى صُبْحاً ، (٩ / ٤٨ : ٥) .
- ١١٠ : ١٩ في خريدة المهاد (نسخة فهرست ليدن الثانية ٢ : ٢١٨) أنه توفي سنة ٥٣٣ هـ ولذي الفضائل مرثية إلى مضر الطيب كلتان في صوان الحكمة رقم ٨٤ ، (٢ / ٥٢ : ٥) .
- ١١١ : ١١ في مشيخته . وفي الأنساب أيضاً . (٦ / ٥٤ : ٥) .
- ١١١ : ١٦ التحليل هذا له ترجمة في التمهيد ١٨٥ ، (١٣ / ٥٤ : ٥) .
- ١١١ : ١٧ الصواب : (عن محمود الصوفي) لا غير وهو المذكور آنفاً والصواب في الأنساب ، وفيه : عن أبي عبيد الفرغاني ، (١٤ / ٥٤ : ٥) .
- ١١١ : ١٨ في حدود الحج في البنية ١٦٢ في حدود سنة ٤٦٠ هـ ومات بروفجأة يوم الأحد ثامن جمادى الأولى وقيل ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ هـ وفي الأنساب (سنة ... وثلاثين وخمسمائة) ، (١٥ / ٥٤ : ٥) .
- ١١٢ : ١ البنية ١٦٩ .
- ١١٢ : ١٢ المثل في جمهرة العسكري بومباي ٢٧ مصر ١ X ٧٠ والمستقصى والحريري للقائمة ٤٧ وطرار المجالس المجلس ٣١ . وأصل المثل في الجمل . (١٤ / ٥٦ : ٥) .
- ١١٢ : ١٥ الصواب : فيحضره ، (٤ / ٥٧ : ٥) .
- ١١٣ : ١٧ عنه البنية ١٥٨ .
- ١١٤ : ٩ مطلع قصيدة للمتنبى والعامل في الظرف (تذكرت) أو (بحر الحج) بدل اشتغال عن (ما بين الحج) ، (١٣ / ٦٠ : ٥) .
- ١١٥ : ٥ البنية عنه ١٧٠ .
- ١١٥ : ١٠ الصواب الحالات فيه معا ، (٣ / ٦٣ : ٥) .

- ١١ : ١١٥ البنية ١٧٠ عنه .
- ١٦ : ١١٥ البنية ١٧١ عنه .
- ١١ : ١١٦ الخطيب ٢٥٨٠ طبقات القراء ٦٦٣ الفهرست ٣١ .
- ١٢٣ : ٦ هذا الخبر في النشوار ١ : ٥٣ وفيه : (بن عبيد الله بن قنّاش)
وأبو جعفر هو الذي أخبر صاحب النشوار . وفيه خبر آخر للبص في مجلس
ابن دريد رواه أبو جعفر أيضاً . وأما ابن البازيار ففي حلب يوجد درب
البازيار وهو منسوب اليه وهو الزقاق المعروف الآن بزقاق الزهراوي حقه
صديقنا الراغب الطباخ ، (٨/٨٠ : ٥) .
- ١٢٥ : ٣ عنه البنية ١٧٢ .
- ١٢٦ : ١٤ الصواب : خادمه والخادم للمرأة الخادمة كالحامل ، (١٠/٨٧ : ٥) .
- ١٢٧ : ٣ ابن عساكر ٢ : ١٠٩ الفهرست ١١٣ القوات ١ × ٨ .
- ١٢٧ : ٤ الفهرست وابن عساكر : وقيل أبو جعفر بدل (أبو بكر) ،
(٢/٨٩ : ٥) .
- ١٢٨ : ٥ ضرطة وهب مثل انظر ثمار القلوب ١٦٤ وفيه كلمات لابن
الرومي وأبي علي البصير وغيرهما أيضاً ، (١٣/٩٢ : ٥) .
- ١٢٨ : ٨ عبدان النصراني أخو صاعد أو عبدون كما سيأتي .
- ١٢٩ : ١٤ الصواب : عليك من الزمان . كما في القوات ، (١٢/٩٥ : ٥) .
- ١٣٠ : ٨ الصواب : عيٍ وخيبٌ ، (٤/٩٧ : ٥) .
- ١٣٠ : ١١ اضل من دليل . مما فات مجاميع الأمثال ، (٩/٩٧ : ٥) .
- ١٣١ : ١ الصواب : حتوفها ، (١٠/٩٨ : ٥) .
- ١٣١ : ٣ الصواب : لذافة أيام . ابن عساكر .
- ١٣١ : ٤ المرزباني قلت وعنه ابن عساكر أيضاً ، (١/٩٩ : ٥) .
- ١٣١ : ٥ الصواب : ما من ، (٣/٩٩ : ٥) .

- ١٣١ : ١٣ مجل أنساب الأشراف وأخبارهم هذا هو اسم الكتاب كما ثبت بآخر نسخة عاشر رقم ٥٩٧ منه وهي النسخة الفريدة ، (٥ : ٩٩ / ١٥) .
- ١٣٢ : ١٠ الصواب : ولم يفعل ، (٥ : ١٠١ / ٩) .
- ١٣٢ : ١٤ الصواب : بالرثا .
- ١٣٣ : ١ الفهرست ٧٤ أصل الزيدي ٩٩ الخطيب ٢٦٨١ المروج (المكتفي) تذكرة الذهبي ٢ : ٢١٤ الوفيات رقم ٤١ التزهة ٢٩٣ البنية ١٧٢ أصل مراتب التحويين ١٥٥ القراء ٦٩٢ المنتظم ج ٦ رقم ٦٢ .
- والصواب : يحيى بن زيد بن سيّار ، (٥ : ١٠٢ / ١٠) .
- ١٣٣ : ٨ الزيدي : على ابنة ابنته وكذا المسمودي ، (٥ : ١٠٥ / ٤) .
- ١٣٣ : ١٩ الصواب : لصمعه .
- ١٣٤ : ١٩ الصواب : من باب كما في الفهرست والوفيات والزيدي .
- ١٣٥ : ٦ الصواب : ابن تسلّم . الزيدي ، (٥ : ١٠٩ / ١٠) .
- ١٣٥ : ١٦ مجلسه مع الراشي في مجالس أبي مسلم ، (٥ : ١١٠ / ١٠) .
- ١٣٦ : ٢ المجالس : إنما أصير إليك لهذه المقطعات والخرافات يروى بزلّ عاب وبازلّ وبازلّ الخ وهو الصواب ، (٥ : ١١١ / ١) .
- ١٣٦ : ٧ خبر المجلس في المجالس والزيدي وعنه الأشباه ٣ : ٢٢ قال الطوسي ٨ ب قالوا أراد خطّان وأنشد لأبي دؤاد :
- ومتّان خطّان كزحوف من الهضب
- ومثله في شرح خرائدنا ، (٥ : ١١١) .
- ١٣٦ : ١٣ الصواب : في خطّات الاضافة ، (٥ : ١١٢ / ١) .
- ١٣٦ : ١٦ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢ / ٦) .
- ١٣٧ : ١ الصواب : عيد الله ، (٥ : ١١٢ / ٩) .
- ١٣٧ : ٣ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢ / ١٣) .

١٣٧ : ٦ أخيك ، مجارة للعامة ولم يكن ثلمب يتكلف الإعراب ،
(٥ : ١١٣ / ٢) .

١٣٧ : ١٢ كذا الفهرست ٦٧ ووصفه ابن خلكان وقد وقف عليه في
ترجمة الفراء وسماء البهاء ، هذا ورأيت بخزانة نور عثمانية رقم مجموعة ٤٨٨٤
يتلوه ما تلحن فيه العوام للكسائي مرتباً وهذه مسوودة المرتب نفسه وعليه
أنه يسمى بالبي . وفي فهرست ابن خير ٣١١ ان كتاب البي في النحو
للبراء قال وهو ما تلحن فيه العوام ، (٥ : ١١٣ / ١١) .

١٣٧ : ١٣ طبع المذكر والمؤنث بحلب ١٣٤٣ هـ ولم أجد هذا الكلام فيه .
(٥ : ١١٣ / ١٣) .

١٣٧ : ١٧ الصواب : لأن لا التبرئة .

١٣٨ : ١ البيت لا يوجد في طبعة ديوانه وانظر ما أصل (وعنها)
والصواب : ييض الحدود ، (٥ : ١١٤ / ١٠) .
١٣٨ : ٥ الصواب : للشباب .

١٣٩ : ٦ (إلا من بذل الوجه) لا غبار عليه .

١٣٩ : ١٥ فنقوم له . كذا ولعله فنقوم لأن ابن فارس لم يدرك أبا العباس ،
(٥ : ١١٧ / ٩) .

١٣٩ : ١٦ ابن العلاف هو الحسن بن علي والآيات في المتظم ج ٦ رقم ١١ ،
(٥ : ١١٧ / ١١) .

١٤٠ : ٨ قال وكان ثلمب الخ هذا الكلام لم أجده في المراتب ،
(٥ : ١١٩ / ٧) .

١٤١ : ٤ وكان متبحراً الخ . لفظ الزبيدي (ولم يكن يعلم مذهب
البصريين ولا مستخرجاً الخ) . (٥ : ١٢٠ / ٦) .

١٤١ : ٦ الصواب : لم يُفترق ، (٥ : ١٢٠ / ٩) .

١٤١ : ١٧ ولو أخذ لك الخ لفظ الزيدي فلو أخذت رطلاً من لحم فأصلحت لك منه "قديرة" لكان أصلح فقال رطل لحم الخ ومنه تعرفت السقط ، (١١/١٢١ : ٥) .

١٤٢ : ٦ الصواب : الأدب وكانا . والآيات تسعة أنشدها الخطيب ، (٧/١٢٢ : ٥) .

١٤٢ : ٧ الخطيب : العلم لا "تميلن" وأراه وجه الكلام ، (٨/١٢٢ : ٥) .

١٤٢ : ١٤ من خمسة آيات في الحماسة بون ١٤٠ بولاق ١ : ١٥١ لاسحق بن خلف البهراني .

١٤٢ : ١٥ الصواب : أكرم "تزّال" .

١٤٢ : ١٧ الصواب : أمية تهوى .

١٤٣ : ١٨ الآيات في المنتظم ج ٦ رقم ٧٥ ، (٤/١٢٥ : ٥) .

١٤٤ : ١٣ الصواب : السميد .

١٤٥ : ١٠ الصواب : أبو أحمد النمكري وهذا في أصل الدار من

التصنيف ٢١ ب ومن المطبوع ص ٢٦ وبيت الأعشى في ديوانه صنعة ثعلب قصيدة ١٥ بيت ٣٢ ، (٦/١٢٨ : ٥) .

١٤٥ : ١٨ الأولان في القالي ٢ : ٩٤ وروايته يغفل ساعة وروى

الخطيب يغفل ماضى ، (٣/١٢٩ : ٥) .

١٤٦ : ٥ الخطيب : إلى أن تتكلف عنرا ، (١١/١٢٩ : ٥) .

١٤٦ : ١٤ الصواب : نذّلا .

١٤٦ : ١٤ الخبر الآتي في مجالس أبي مسلم كاتب الوزير ابن حنّزابة ،

(١/١٣١ : ٥) .

١٤٧ : ٢ الصواب : يقوم مترجماً .

- ١٤٧ : ٩ : الصواب : ثَبَّجَ بحر . عن المجالس . والخبر الآتي عن الزجاجة في أماليه ٣٨ وعنه المعاهد ١ X ١٩ ، (٥ : ١٣٢ / ٥) .
- ١٤٧ : ١٩ : الأبيات في نسخة مختصر طبقات المحدثين لابن المعتز (انظر في المطبوع الحواشي ص ٣٧) لمحمد بن أحمد الصيني ، (٥ : ١٣٣ / ٥) .
- ١٤٨ : ١ : الزجاجة : وكم كتبها .
- ١٤٨ : ٢ : الزجاجة : فراق أتاها ، (٥ : ١٣٣ / ١٠) .
- ١٤٨ : ٨ : الصواب : على تَرَح .
- ١٤٨ : ١٠ : البيت ينسب في شواهد علم المعاني (المعاهد ١ : ١٩) إلى العباس بن الأخنف وليس في ديوانه ، (٥ : ١٣٤ / ٧) .
- ١٤٨ : ١٩ : من حفطي :
- أعاذلنا أقصري أبيعَ جِدَّتِي بالثمن
أرى الناسَ أحدىة فكوني حديثاً حسن
- (٥ : ١٣٥ / ٦)
- ١٤٩ : ٢ : التنظيم : بن محمد ، (٥ : ١٣٥ / ٩) .
- ١٤٩ : ١٥ و ١٦ : الرواية وهي الصواب : شاتمتي . ولاحتقاري له .
- ١٥٠ : ١١ : الخطيب : يُعَايِشَنَ بالقُضبان ، وهو الصواب ، (٥ : ١٣٨ / ٨) .
- ١٥٠ : ١٣ : الخطيب : ولا استقبلتُ برْدَ .
- ١٥١ : ٤ : الخطيب فالحمد .
- ١٥١ : ٧ : الصواب : بن زيد بن سَيَّارٍ ثعلبٌ ، (٥ : ١٤٠ / ٤) .
- ١٥١ : ٨ : المعايير وكذا الخطيب والله أعلم .
- ١٥٢ : ٥ : الخطيب : يالعلم باعشا ، (٥ : ١٤٢ / ٣) .
- ١٥٢ : ١٨ : الصواب : ما يجري وما لا يجري ، (٥ : ١٤٣ / ١٤) .
- ١٥٣ : ٣ : الحسن بن داود الخ ، زاد البنية وقيل ليعقوب ، (٥ : ١٤٤ / ٤) .

- ١٥٣ : ٤ الصواب : وأمالى . ومجالس ثعلب هذا لا أعرف منه إلا نسخة الدار وهي مغسولة مطموسة ، (٥ : ٦ / ١٤٤) .
- ١٥٣ : ٧ كالأعشى ، هذا الديوان صنعة ثعلب ، (٥ : ٩ / ١٤٤) .
- ١٥٣ : ١٣ الصواب : أبي بكر محمد ، (٥ : ٧ / ١٤٥) .
- ١٥٣ : ١٥ الصواب : فكم تلبث . من الوفيات ، (٥ : ١٠ / ١٤٥) .
- ١٥٤ : ٧ ترجمته في الفهرست (تابع ص ١٧٢) نسخة تونك وعداده في التكلمين ومن المطبوع ١٤٣ والخطيب ٢٦٨٨ عن المرزباني .
- ١٥٤ : ١٢ في ذي الحجة . ذكر نديمه الصولي في أخبار الرازي ١٣٧ أنه توفي في ذي القعدة . وفي الخطيب وقد جاوز التسعين وأراه تصحيحاً وإذا كان مولده سنة ٢٦٢ هـ فإنه لم يزد على ٦٦ سنة ولم يجاوز السبعين ولا التسعين .
- ١٥٥ : ٤ الشافيه ١ × ٢٢٣ البنية ١٧٤ ، (٥ : ١ / ١٥٠) .
- ١٥٥ : ٥ لعله مولى كيسبة والصواب (يكنى أبا عبد الله روى عن شعيب بن الليث وعبد الله بن وهب) ، (٥ : ٢ / ١٤٩) .
- ١٥٥ : ١٠ (ذكر ابن يونس) لا غبار عليه .
- ١٥٥ : ١١ تاريخ دمشق ٢ : ١٠٩ البنية ١٧٢ وفيها (بن السري الطائي) ، (٥ : ٤ / ١٥٠) .
- ١٥٥ : ١٩ الآيات تسعة تكرر ٦ : ٢٨٩ وهناك (عندي حزينه) ، (٥ : ٤ / ١٥١) .
- ١٥٦ : ١ هناك : اجمع من عند الرواة ، (٥ : ٦ / ١٥١) .
- ١٥٦ : ٤ الصواب : أغالٍ بجذف الياء ، (٥ : ١١ / ١٥١) .
- ١٥٦ : ٩ الخطيب ٢٧٠٥ التزهة ٣٦٥ البنية ١٧٥ ، (٥ : ٨ / ١٥٢) .
- ١٥٦ : ١٣ البنية ١٧٥ .

- ١٥٧ : ٢ ثبت في التتف المجموعة بآخر بلدانه ص ٣٧٢ أنه كان
حياً سنة ٢٩٢ هـ والمطبوع من مؤلفاته التاريخ والبلدان ، (٥ : ١٥٤ / ٦) .
- ١٥٩ : ٩ الصواب : أسوة بابن الأرقط .
- ١٦٠ : ٤ الصواب : كتاب ترجمته كتاب الثمرة ، (٥ : ١٦٠ / ٤) .
- ١٦٠ : ٦ الصواب : ابن زولاق ، مؤرخ مصر المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .
- ١٦٠ : ١٢ الأغاني ٢٠ × ٥٦ كتاب بندا ٢٣٤ الخطيب ٢٦٩٢ ابن عساكر
٢ × ١٢١ الأوراق (الشعراء) ١٤٣ و ٢٠٦ لأخبار عائلته وأشعارهم ،
(٥ : ١٦١ / ١) .
- ١٦٠ : ١٣ الصواب : العجلي أبو جعفر (بالولاء) ، (٥ : ١٦١ / ٢) .
- ١٦٠ : ١٦ قول الصولي في الأوراق الشعراء ٢٣٦ ، (٥ : ١٦٢ / ٢) .
- ١٦١ : ١٢ الألف كذا وانظر .
- ١٦٢ : ٣ الصواب : كيف أنشأ من الأوراق وغيره .
- ١٦٢ : ٦ الصواب : بن نايقا . وله ترجمة في الوفيات رقم ٣١٧
وهو صاحب المقامات وطبعة صاحبنا الأستاذ رشر ، (٥ : ١٦٥ / ٣) .
- ١٦٣ : ٦ الصواب : أريد اخصراً .
- ١٦٤ : ١ الجهشيارى ٣٨٥ ، (٥ : ١٧٠ / ٥) .
- ١٦٦ : ٣ الجهشيارى ١٤٨ ، (٥ : ١٧٢ / ١١) .
- ١٦٦ : ١٤ الجهشيارى : فلما صرت إلى باب الإيوان ، (٥ : ١٧٣ / ١٣) .
- ١٦٦ : ١٦ الصواب كما في الجهشيارى أيضاً (وقريج) كما هنا لا غير .
- ١٦٦ : ١٨ الصواب عند الجهشيارى : فقال لي كاني بك يا يوسف
وأنت تقول ، (٥ : ١٧٤ / ٥) .

(يتبع)

عبد العزيز الميمني



الخراج والنظام الضرائبي

في مصر الأموية

لا بد لكل دارس لكتب الخراج أن يخرج بنظرة عميقة للأسس التي وضعها الفقهاء مسترشدين بالروايات السلفية التي تناولت النظام المتبع في فرض الخراج وغيره من ضروب الالتزامات المالية غير أن الوثائق الخراجية والسجلات التي عثر عليها تبدو متضاربة مع أسس كتب الخراج ، غير أن تلك الأسس التي وصلت إلينا من خلال كتب الخراج والأدب الفقهي لم تكن لتطبق على علتها وبخلافها ، لأنها كانت بجانب روح التشريع وعدالة الإسلام ، وهناك كثير من الشواهد التي تثبت واقع الحال هذا وتختلف الأسس الخراجية الفقهية ، لأن تطبيقها يخالف روح التشريع ومبدأه الذي وضع بدون تخصيص بل كبداً عام . ان الجباية قد اتبعت منهجاً عادلاً يطابق الغرض من روح التشريع متفهماً واقع الحياة والظروف المحيطة به ، لذلك كثيراً ما نجد أنها غير متمسكة بهذه الأسس ولا تطبقها ، لأنها تنزل الإجحاف والضرر بالعامه ، فالقول بفرض ضريبة معينة ثابتة على أرض محددة ، أمر يستحيل تطبيقه لعدم عدالته ، بل نجد هناك اعتبارات لم يتناولها المشرع عند وضعه هذا المقياس العام . لذلك كانت الضرائب تفرض حسب مقتضى الحال والظروف الملائمة ، وتجي بالتعديل وطبقاً للاصطلاح الفقهي السلفي « عفو - فضل - طاقة » .

ولما كان العرب في أول عهدهم بمصر ليست لديهم الدراية التامة بأحوال أهل البلاد التي سادتها فترة من الاقمار والسلب والنهب قبل الفتح الإسلامي ،

فقد رؤي أن يطبق ما جرى به العرف سابقاً من نظم ضرائبية إن كانت في صالح البلاد . وكلنا يذكر المحاولات التي دارت بين الفاروق عمرو رض ، وعمرو بن العاص وما كنا نقبل رضاء عمرو بن الخطاب على رد عمرو بن العاص بعد حدة في طلب خراج عال وتعلل عمرو ، لولا أن الأمر كان يهدف إلى مصلحة أهل البلاد ولا يرهق كاهلهم . ومنذ تلك الفترة وضعت الأسس التي طبقت في الجباية وأدخل في اعتبارها ما جرى به العرف من نظم ضرائبية سابقة ، مفيدة لأهل البلاد ، لذلك لم تطبق الأسس الخراجية الفقهية ، إذ لو تم ذلك لكان مجافياً لروح العدل متجاهلاً حقيقة الدور الذي يلعبه النقد وصلته بالأسعار وقيمته الواقعية وقوته الشرائية إذ أن الأسس هذه لم تكن ثابتة بل متكيفة مع الظروف ، ففرض دينار في وقت رخاء واستقرار ، أمر سهل ، بينما دافق في عسر وغلاء يعتبر عبثاً يثقل كاهل دافعه .

وتثبت الوثائق الخراجية والإدارية التي عثر عليها في مصر ، بأن الإدارة الأموية لم تنقيد بأصول فقه الخراج ، وإنما تفهمت الواقع الناشئ عن وجوب معاملة الخراج بروح المنطق والواقع ، لذلك أبقت الدولة الإسلامية الناشئة على النظم المعمول بها في الأمصار بعد أن كيّفتها بالروح العربية الخلافة العادلة . واستمر الحال بهذا النظام إلى أن عربت الدواوين في نهاية عهد الدولة الأموية . وأصبح للنظام الخراجي آدابه المعمول بها والتي استمرت إلى أوائل حكم آل عثمان .

ولقد خدمت الوثائق الخراجية الإسلامية التي عثر عليها في مصر تاريخ الإدارة الرومية لمصر أعظم الخدمات ، إذ أنها أكلت الفجوات الواسعة غير المترابطة للنظام الإداري ، لأن الوثائق الرومية لم تستطع أن تقدم الأسس التي يمكن أن تسهم في تخطيط هذا النظام .

وجلّ هذه الوثائق محرر إما باليونانية أو القبطية ونادراً ما كانت بالعربية ، ولقد حفظت لنا الاصطلاحات الإدارية الرومية بنصّها ، وهذا ما ساعد على تقديم صورة واضحة للنظام الضرائبي الرومي في مصر ، من خلال الإدارة الإسلامية ، وكما ساعد على تقديم أجل الخدمات للتاريخ الرومي ، التي لم تستطع مراجعته ومستنداته تقديمه .

ولقد بينت لنا رواية منقولة عن عمرو بن العاص المنهاج الذي اتبعه في جباية الخراج بمصر ، وهي قد أيدت الأسس التي اتبعت في الجباية متجاهلة القيود الفقهية التي تبدو في بعض الأحيان مجحفة بأهل البلاد ، كما أنها صورت النظام الرومي الضرائبي بصورة واضحة ، ولكن بعد أن كيفته بالروح الإسلامية العادلة . إذ يقول ابن عبد الحكم : « أقرّ القبط على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتمديد .. فجمع عرفاء كل قرية ومأزونها [Maizones] ورؤساء أهلها فيتناظرون في العهدة والخراب حتى إذا أقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على أحوال القرى وسعة المزارع . ثم يرجع سكان كل قرية بقسمهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة ... فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الأرض ثم يخرج منها عدد ضيافة المسلمين ونزول السلطان ، فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصنائع والأجواء فقسّموا عليهم نصيبهم بقدر احتمالهم ، فإن كانت فيهم حالة (جزية) قسّموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تشمل الجميع ما عدا الرجل الشاب أو المتزوج ، ثم ينظرون في ما بقي من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ... »

هذا هو الأساس الذي وضع إجمالاً في فرض الخراج وغيره من الإلتزامات المالية ، وهو لا يتفق مع تفاصيل الأسس التي وضعها فقهاء الخراج إلا من حيث روحه المادلة ، كما أنه لا يتفق مع تفاصيل الجباية الرومية التي لم تقسم بالعدل .

إن الضرائب التي اصطلح على تسميتها بالخراج كانت تجبي من أهل الذمة ومن هؤلاء المسلمين الذين كانوا يمتلكون أرضاً خراجية ، والتي عوملت نفس معاملة الأرض الخراجية ، وليس بالمشترية كما كان يتم في سواد العراق التي انتقلت إلى أرض عشيرة في منتصف الدولة الأموية بسبب الهبات والإقطاعات التي منحت لرجال الدولة .

والجباية في مصر كانت تجمع بنوعها النقدي واليني . وكانت بنوعها خاضعة لتقسيم آخر هو ضرائب عامة أطلق عليها Puplicus وضرائب غير عادية أطلق عليها Extraordina .

والضرائب العامة التي تقابل في اصطلاحنا الخراج كانت تجبي في شكلين أولهما نقدي وثانيها عيني أي ضريبة القمح الرومانية والمهاة Embola (١) . والضريبة العامة كانت تتضمن أيضاً ثلاثة أنواع من الضرائب . أولها : خراج الأرض ، والثاني جزية الرأس أو الجالية ، وثالثها ما يسمى باليونانية Dapani (٢) وكان النوع الأول أي خراج الأرض ذا أهمية كبرى لأنه

(١) أم للراجع المستخدمة في مجموعات أوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني ودار الكتب المصرية واختصارات الكتب هذه كالتالي :

متحف بريطاني = Greek Papyri in the British Museum

دار الكتب = Arabic Papyri in the Egyptian Library

متحف بريطاني : ١٤١٢ ، ١٤٣٠ سجل الخراج ودار الكتب : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ج ٢ ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٢) راجع متحف بريطاني سجل الخراج .

مصدر ضرائبي هام كان مخصصاً لدفع المعاشات (طعام المسلمين) ومصاريف حياة الضرائب والإدارة المحلية (١)، أما الجزية فكانت تجبي فقط من الرجال البالغين وطبقاً لشروط قدمتها لنا آداب الخراج (٢).

وخراج الأرض «Dimosia» كان يفرض فقط على كل مالك لأرض أو مستنقع بصرف النظر عن كونه رجلاً أو امرأة. وتبين لنا الوثائق الخراجية بأن هناك فئات كانت تدخل تحت هذا النوع من الضرائب التجارية إلا أنها كانت تسجل في سجلات الخراج تحت اسم ضريبة الأرض dimosia (٣) وهي لا تخضع في شكلها إلى ضريبة جزية الرأس ولكنها كانت تلحق بالخراج. إن العشور الإسلامية التي أوضحها لنا كتب الخراج، لم تكن سائدة من عهد رسول الله ﷺ إذ أن الوثائق غير كافية لكي نحكم بعكس ذلك، ولكنها بدأت تجبي بشكل واضح في عهد الخلفاء الراشدين، وقد طبقت على أهل الذمة بمقاييس تختلف عن المقاييس التي كان يخضع لها المسلم، والتي كانت تدعى بالزكاة، وهي من أركان دينه. غير أن العشور أصبحت ضريبة خراجية تجبي من المسلم والذمي والحربي، يدفعها المسلم كزكاة بنسبة ٢,٥٪ والذمي بنسبة نصف العشر ٥٪ وآخرون مثل الحربي المتردد على دار الإسلام والذمي في بعض الحالات بنسبة العشر ١٠٪ (٤) هذه الضريبة كانت تدفع في مصر تحت أسماء متعددة وطبقاً لمقتضى الحال المني وطبيعته.

(١) متحف بريطاني، ١٤١٩.

(٢) Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library.

Vol. II P. 322.

(٣) متحف بريطاني، ١٤١٩ - ١٢١٥ وابن عبد الحكم، ص ١٥٢.

دار الكتب، ٢١٤ جزء ٣ ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

(٤) أبو يوسف ص ١٣٣ كتاب الخراج والمرتدي، ج ١ ص ٤٨٨.

وتظهر لنا الوثائق الخراجية بأن ضريبة القمح Embola وهي جزء هام من خراج الأرض (Dimosia) تختلف قليلاً عن مثيلتها في العهد الرومي، وكانت في الأصل تفرض على الأرض غير أنها كانت تفرض أحياناً على بعض الأشخاص الذين لا يتلكون أرضاً^(١)، مثال ذلك الراعي الذي لا أرض له فإنه كان يدفع ضريبة القمح Embola ونظراً لأنه لا ينتج قمحاً، فإنه كان يدفع ٣ قراريط سنوياً كضريبة إن لم يستطع تقديم القمح وذلك تحت بند الخراج (Dimosion)^(٢)، ومن حالات أخرى نجد أن ضريبة خراج الأرض كانت تدفع تحت اسم Dimosion، ولما كانت الأرض لا تنتج قمحاً فإن ضريبة القمح العينية كانت تعتبر وكأنها مقابلة لنفس الضريبة التي تدفعها أرض غير مزروعة^(٣)، وبأنها تدفع عينية وليس نقدياً... ورغم أن الضريبة عينية، فإنا نجد أحياناً أنها كانت تستبدل بضريبة نقدية، غير أن الإدارة المركزية في دمشق لم تكن تشجع على هذا الاستبدال بقدر المستطاع. ومن الظن بأن الدفع النقدي قد يعتبر كضريبة القمح Embola ولكن لا يمكن اعتباره كضريبة خراج الأرض رغم أن ذلك ليس بمؤكد^(٤). ويظهر من المستندات الضرائبية بأن ضريبة القمح العينية كانت تتنوع في كميتها وتختلف من وقت لآخر، خلافاً للضريبة النقدية الذهبية التي كانت باستمرار ثابتة.

(١) ذكره ابن عبد الحكم بالصناع والأجراء.

(٢) متحف بريطاني ١٤٢٦، P. Ryland، ١٨٨، ودار الكتب، ١٩٦، ٢١٢، ٢٣٣، ٢٣٥ وقد ذكرت البرديات هذه نوع الضريبة كضريبة الراعي وكفلك كالروج تبعاً لبرديات ٩٩، ١٦٣. وقد ذكر السرقسدي ص ٤٩٧ في تحفة الفقهاء بأن الأرض للهجرة تدفع الخراج لأن السبب هو عدم الرغبة في الزراعة. هذا بينما أكد أبو يوسف على أمر جباية ضرائب الراعي والروج.

(٣) متحف بريطاني ١٤٢٨.

(٤) متحف بريطاني ١٤٣٤.

وقد اصطلحت كتب الخراج على تسمية هذا النوع باسم خراج المراعي (١). وكانت هذه الضريبة السنية تجبي من خراج الأرض من القمح والشعير غير أن الشعير كان يجبي بكميات قليلة ، وكان لهذا النوع من الضرائب موظف سمي Embolarchis (٢).

وكانت ضريبة الخراج العامة Publicus تجمع عدداً آخر من الضرائب إلى جانب خراج الأرض « Demosia » وهذه الضرائب يمكن اعتبارها ضرائب غير عادية « Extraordina » (٣)، وقد أصبحت هذه الضرائب الاستثنائية ذات شكل ثابت تكاد تجبي ، وصارت تذكر في سجلات الخراج بشكل يجعلها من ضمن الضرائب العادية (٤). وإلى جانب هذه الضريبة نجد ضريبة أخرى غير عادية أطلق عليها Tetartia وهي تشبه مثيلتها الرومية Prosdiaraphomina التي كانت تجبي كضريبة مالية قرطاسية (٥) وهي لتغطية المصاريف العامة مثل معاشات الموظفين والحامية العربية ، وكثوة للصناع وللأعمال البحرية ، ومصاريف إنشاء المباني العامة الخ (٦)، وكما

(١) أبو يوسف ص ٨٨ ، ١٠٣ .

(٢) متحف بريطاني ١٤٤١ ، دار الكتب . ج ٣ ، ص ٦٢ وعن للوظف المختص

ببذمة الضريبة راجع متحف بريطاني جزء ٤ مقدمة ص ١٦ وبردبة ١٤٥٧

(٣) متحف بريطاني ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤٧٠ .

(٤) « بريطاني ١٤١٤ و Karaback. Wzkm. XI P. 14

وبصدد اخطارات الدعم راجع Collection of the Papyrus Erzherzog

دار الكتب ١٤٥ ، ٢٣٥ Ralner, Wien, p. 3628

(٥) متحف بريطاني ١٤١٤ .

(٦) « بريطاني ١٣٦٢ حيث طالبت البردية صاحب الكورة بتقديم جنوع النخل

اللازمة للبانى العامة برديات ١٣٦٨ ، ١٣٨٠ بينما تطالب البردية ١٣٦٨

بارسال سلاسل حديدية إلى مسجد دمشق . وتطالب بردية دار الكتب رقم ١٤٨

بارسال « عن رزق الأمير وحاشيته وماله » .

يظهر فإن هذه الضريبة لم تكن محددة وثابتة ، فطوراً كانت تدفع عينياً ، وأخرى نقدياً (١) .

وإلى جانب ذلك نجد بأن السلطات المركزية كانت تطلب من دافعي الضرائب بعضاً من الخدمات الشخصية في كافة الميادين ، وتلقي طريقة تقدير وفرض هذه الخدمات الضوء على وسائل جمعها وأدائها .

ومن الواضح أن هذه الخدمات تشبه مثيلها في العهد الرومي وهي تختلف كثيراً عن الخراج والجزية ، غير أن طريقة الفرض والأداء كانت واحدة من حيث المبدأ مثل مقابلها في الدولة الرومية .

ونجد أن رجال الفقه الإسلامي لا يتفقون في الرأي مع هذا النوع من الخدمات ولا يقرون باعتبارها الحالي كخراج أو جزية ، بل هم نددوا بها وحذروا الولاة والمال من طلبها من أهل البلاد . ولكن هذا النوع لم يفرض من قبل الحكومة المركزية بدمشق بل عن طريق رجال الإدارة المحلية .

وكانت واجبات الإدارة المحلية الاحتفاظ بسجل عن كل كورة (٢) مقيد بها أسماء جميع واضي الضرائب ومساحة الأرض المملوكة ، وبالقيمة الخراجية المحملة عليهم ، وكذلك بقوائم منفصلة عن الأراضي وإنتاجها (٣) فإننا لنجد بها بياناً بأنواع الأشجار والنباتات التي تقدم محاصيل زراعية مثل النخيل والسنت (٤) بشكل دقيق ومفصل مع ذكر الإنتاج وكميته (٥)

(١) متحف بريطاني ١٤١٤ .

(٢) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ ودار الكتب ٢٠٠ - ٣١٤ .

(٣) ما سبق ووردية ١٠٢٩ .

(٤) دار الكتب ١٦٣ .

(٥) متحف بريطاني ١٦٣١

والغريب أن أرباب الحرف والصناع قد قيّدوا في هذا السجل مع ذكر أنواع مههم وعدد مساعديهم وصبيانهم^(١) وكان هناك مسئولون عن هذه السجلات كل منهم له تخصيصه في نوع العمل ، وكان على رأس هؤلاء المأزون Meizonos^(٢) . وهذه السجلات كانت تين مقدار الجباية المطلوبة ، وما قد جبي بالفعل منها على أقساط ومقدار كل قسط .

ولقد كان من حق أي دافع للضرائب أو أي كورة أن يتقدم بالشكوى مباشرة إلى الوالي ، إذا ما فرضت عليهم ضريبة باهظة . وعلى أساس سجلات الخراج فإن الحصة السنوية المحددة من الضرائب كانت تقسم إلى بنديها العادي والاستثنائي ، وبذلك يسهل عمل صاحب الكورة في جمعها ، وكانت توزع بعد ذلك أنصبة وخصص كل قرية أو أي وحدة إدارية طبقاً لهذه السجلات . وكانت عملية تقسيم الضرائب وتوزيعها إلى حصص وفرضها تتم على أيدي موظفي الخزانة المركزية بالفسطاط (بيت المال) وليس في الكورة نفسها . وتين هذه الظاهرة بأن السجلات كانت تحمل بانتظام إلى المركز الرئيسي^(٣) حيث تراجع مراجعة دقيقة ، وذلك حتى لا يقع صاحب الكورة في الأخطاء أو في عدم العدل في توزيع هذه الضرائب على السكان ، وكان موظفو الكورة مسئولين مباشرة أمام الإدارة المركزية ، وعليهم مراجعتها باستمرار^(٤) .

وكان في الإمكان تأجيل دفع الحصة المعروضة من عام إلى آخر ، إذا كانت هناك دواع وأسباب إلى ذلك ، ولكن بشرط أن تبقى هذه الحصة

(١) الهامش السابق .

(٢) متحف بريطاني ١٣٥٦ .

(٣) ، بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ .

(٤) ، بريطاني ١٢٣٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٤٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٧٠ ، ١٤٣٧ الخ .

المفروضة في حدود قيمتها وكميتها المطلوبة من قبل ورشم أن الحصص المفروضة كانت محددة ، غير أن الجباية لم تكن تلقائية وحرمة ، بل نجد أن الوالي كان هو الذي يحدد النسبة التي يجمعها الجابي ، وكانت الضرائب تجمع على دفتين سنوياً ، وكل دفعة كانت تقسط إلى قسطين أو أكثر (١) وكان متولي الخزانة المركزية يقوم سنوياً بحساب المبالغ المطلوبة من كل كورة أو جهة إدارية ، ويعتقضي هذا فإن الوالي كان يرسل بأوامر الجباية المطلوبة من كل كورة ، مبيناً لصاحب الكورة التوزيع للحصص المكلف بجمعها من كل وحدة ، أو قرية ، وذلك حسب أمر الجباية ، في الوقت الذي يوجه فيه إلى أهل المنطقة إشعاراً مبيناً فيه المبالغ المفروضة عليهم (٢) وحالاً يتلقى السكان هذا الإشعار فانه يتم اختيار بعض العرفاء Epilegomai حسب الطريقة المستخدمة في انتخاب حياة الضرائب (٣) ، فيقومون بتقسيم الحصة المطلوبة على أهل المنطقة ، وتقدير نصيب كل فرد منهم ، وهم بدون شك يعتمدون في ذلك على سجلات النفوس وحصرها Katasraphon .

أما أمر الجباية الذي يصدره الوالي فكان يشمل عادة على الضرائب المطلوبة كالتخراج وضريبة القمح ، ويبقى على فاضي الحصص هؤلاء توزيع المبلغ الإجمالي للتخراج والجزية ومصاريف الحكومة Depani على حصص صغيرة ، فيقررون من الذي سيدفع كل ضريبة ومقدار القسط المطلوب جبايته من كل واحد منهم (٤) ولهم الحق كذلك في فرض المقدار الذي يدفع عن كل نوع من الأرض المزروعة ، مع تعيين الأفراد Ovoma الذين يفرض عليهم دفع ضريبة ما .

(١) متحف بريطاني ١٥٧٠ .

(٢) « بريطاني ١٥٧٠ .

(٣) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

(٤) « بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

ومما لا شك فيه أن كل ذلك يتم على أساس سجلات حصر النفوس التي تراجع بشكل دوري (١) وفي حالة وجود بواق للضرائب لا تعرف طريقة فرضها ، فإنه يحتم الرجوع إلى الإدارة المركزية في شأنها . غير أن مصاريف الإدارة المحلية يكون الأمر في فرضها وجمعها بيد صاحب الكورة ومساعديه ، بدون الرجوع إلى تعليمات خاصة .

وتظهر الوثائق الخراجية بأن هناك أجراء مماثل لما يناه بالنسبة للضرائب غير العادية ، إذ أن الحصة المطلوبة منها لم تكن تقل بأي حال عن الحصة المفروضة في الضريبة العامة Demosia ، ومما كانت هذه الحصص قد فرضت للإيفاء بأهداف خاصة ، كتنطية مصاريف غير منظورة للإدارة المركزية ، فإنها كانت عامة تنصب للشئون البحرية وغيرها من الطوارئ العاجلة ، وكانت مبالغ محددة تقرر عندما يستدعي الحال ذلك . وفي بعض الحالات نجد بأن المصروفات قد تكون أقل من المبلغ المفروض أو أكثر منه ، ومثالاً على ذلك نجد في السجلات أن هناك مبلغ ٢٤ ديناراً و ١١ قيراطاً قد استدينت لكي تغطي مصاريف إحدى المهن التي فرضت لها حصة أقل من الواقع (٢) وهذا يشكل صعوبات كثيرة في الإيفاء بالمصروفات المطلوبة عينياً خلافاً لتلك المطلوبة الأداء نقداً .

ونجد بأن توزيع أوامر الجباية وإشعارات الدفع في الكورة الواحدة ، كان يتم بمقتضى الإجراءات المتبعة في جباية وفرض الخراج بالمركز الرئيسي . أما مطالبة الأشخاص بأنصبتهم في هذه الضريبة فإنه كان يتم محلياً (٣)

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ وفار الكتب ١٤٦ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ ، ١٤٢٠ .

(٣) « بريطاني ١٤٤٨ .

ولم يكن هناك فروق واضحة ومميزة بالنسبة للضرائب غير العادية ، وإذا كانت ستؤدَّى عينية أو نقدية ، والشيء المميز هنا بالنسبة لهذا النوع هو طلب الأشياء نفسها بسمياتها بصرف النظر عما إذا كانت قد اشترت بواسطة الإدارة المحلية ، وإنما المهم هو طلب الشيء نفسه مثل سلاسل من الحديد من منطقة لا تصنعها وهنا نرى أن الضريبة العينية هذه قد أدبت تقدماً ، بينما نجد في حالة أخرى أن أمر دفع الضريبة كان يلزم بدفعها تقدماً لفرض شراء أشياء وأدوات عينية (١) .

وإن الأمر غير واضح لنا ، لأن عملية تقدير هذه الضرائب غير العادية كانت في ذاتها غير واضحة ، ففي بعض الحالات نجد أن هناك ضريبة نقدية كانت تجمع لأداء طلبات عينية وفي بعض الحالات الأخرى كانت تجمع ضرائب عينية لوفاء ضرائب نقدية .

وكان خراج الأرض العام Demosia يدفع على أقساط إلى الخزانة المركزية في القسطنطينية (سكالات الفلال) Sakella ، غير أن هذه الأقساط لم تكن تشمل جميع الحصص المطلوبة من المنطقة . كما وإن جزءاً من المصاريف العامة Logisima والمدفوعات المفروضة (٢) المخصصة للصرف على بعض الأغراض ، كانت تدفع تقدماً إلى المسؤولين عنها مباشراً وليس عن طريق الخزانة العامة (بيت المال) (٣) وكان يتبقى عادة جزء من الحصص المفروضة بعد وضع حصة المصاريف العامة وحصة الخزانة ، كذلك خصص جزء منها للمصاريف المحلية كأجور الموظفين وغير ذلك .

(١) - متحف بريطاني ١٥٠٨ - ١٥٠٩ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ بالنسبة للضرائب العينية المدفوعة مقدماً ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٤ ، للضرائب العينية النظر برديات ١٣٥٤ و ١٣٥٣ ، ١٤٣٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٣ ، وبالنسبة للمصاريف العامة انظر ١٤١٤ .

(٣) متحف بريطاني ١٣٣٦ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ .

وعلى العموم نجد بأن جميع حصص الخراج العام Demosia والتي كانت تفرض كمصاريف عامة Dapane كانت تطلب كلها بواسطة الخزانة (١) وكانت ضريبة القمح العينية تقسم إلى قسطين تمهيداً لنقلها إلى مخازن الغلال في بابلين وإلى بند Dapane والتي هي بدون شك مصاريف إعاشة الموظفين المحليين (٢). وبالنسبة للخراج النقدي وضريبة الطعام Embola العينية فإن حصة كبيرة منها تدفع إلى شون بابلين والخزانة العامة إما في بابلين أو الاسكندرية. وكانت تخصص كمعاشات نقدية وعينية للحامية العربية، وأطلق عليها رزق أو طعام المسلمين. وكان جزء منها يذهب إلى أنحاء الدولة الإسلامية في وقت الحاجة إليه، فلقد روى لنا التاريخ بأن عمرو بن العاص أرسل بكميات ضخمة من القمح والطعام إلى المدينة في السنوات الأولى للفتح الإسلامي وذلك لانقاذ الحجاز وعاصمة الدولة الإسلامية من الجوع الذي عم البلاد في عام الرمادة (٣).

ولم يبق إلا أن نبحت أمر الخدمات الشخصية التي كانت تطلبها الإدارة المركزية من السكان، ونجد بأن نفس الاجراءات قد اتخذت بالنسبة لهذه الخدمات مثل ما تبع من قبل في فرض الضرائب. فالإدارة المركزية تخصص حصص الأعمال المطلوبة على الكور، وذلك في خطاب موجه إلى صاحب الكورة مصحوباً بأوامر فرض الضرائب وبعدد الأشخاص المطلوب منهم أداء مثل تلك الخدمات. أما أمر التكليف الشخصي لمن يقوم بها

(١) متحف بريطاني ١٣٧٠، ١٣٧٥ دار الكتب ١٤٦ ابن عبد الحكم ص ١٥٣.

(٢) « بريطاني ١٤٣٤، ١٤١٤.

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٥٩، ١٦١ ذكر ما أجراه عمرو بن العاص بمناسبة عام الرمادة وكيف أنه شق قناة تراجان إلى البحر الأحمر حتى يسهل إرسال الغلال إلى الحجاز الطر موير، تاريخ الخلافة ص ١٥٣، ١٥٤.

فانه كان يتم محلياً وطبقاً للسجلات التي أعدها فارضو الضرائب (١)، ورغم أن هذه الخدمات كانت على العموم اجبارية، فانه لا يمكننا أن نطلق عليها اسم السخرة لأن القائمين بها من بحارة ونوتية وعمال كانوا يتلقون أجوراً على أعمالهم. وهذه الخدمات كما تبدو لنا هي عبارة عن إزمات إدارية، فمثلاً نجدتها عادة تترج بما يطلق عليه العمل العيني، أي أن تطلب الإدارة المركزية أشخاصاً بعينهم، وفي بعض الحالات تطلب أجور بعض الأشخاص من منطقة، إذا لم تستطع تقديم أحد للقيام بمثل هذه الخدمات. ووجه الخلاف هنا بأن يطلب أداء بعض الخدمات المحددة بعدد من الأشخاص بصرف النظر عما إذا كانوا قد استؤجروا محلياً وأرسلوا لأداء الخدمة أم لا. (٢)

وكان هذا العمل الإلزامي يقسم إلى عدة حصص، كانت البحرية تحظى بمعظمها. وبطبيعة الحال فإن الخدمة البحرية كانت تعكس طموح الدولة العربية الفتية في دمشق للسيادة على البحر المتوسط. ولم يكن هذا النوع من الالتزام معروفاً على عهد الفاروق عمر بل بدأ في عهد عثمان بن عفان، ولا نعجب لذلك لأن موقف عمر (رض) معروف بالنسبة لركوب البحر. ولقد أطلق عثمان يد معاوية بن أبي سفيان في أمر تشييد الأسطول الإسلامي، وسرعان ما شب الأسطول الأول ووضع يده على قبرص وواجه الأساطيل الرومية في عدة معارك بحرية حاسمة واتصر عليها. لذلك لا نستغرب طلب الإدارة المركزية في القسطنطينية والحاحها في طلباتها العديدة الموجهة إلى قرى صعيد مصر البعيدة في طلب نوتية للعمل في خدمة الأساطيل البحرية العربية، أو للعمل في ترسانات (مصانع) بناء السفن ببايون والاسكندرية والقائم ورشيد. ولقد ازداد الطلب على الخدمة البحرية عندما بدأت السلطات المركزية في دمشق بتوجيه نشاطها إلى شمال إفريقيا وإسبانية.

(١) متحف بريطاني ١٢٥٦.

(٢) بريطاني ١٤٣٣، ١٥٠٨، ١٥٠٩.

وإلى جانب هذه الأنواع من الضرائب التي وصلتنا عن طريق الوثائق الضرائبية، فإننا نجد العديد من الأنواع الأخرى التي فرضتها الخزنة المركزية في القسطنطينية وهي تتفق في أنواعها مع ما جاء في كتب الخراج. ولا يجوز أن نتجاهل مثل هذه الوثائق الخراجية رغم أنها ترجع إلى عصر متأخر نوعاً ما، لأن كتب الخراج قد ذكرتها. لذلك لا يمكن أن ننفي حقيقة فرضها وجبايتها لأننا لم نثر على وثائق خراجية لهذا العصر.

فلقد فرضت ضرائب على المصايد وعلى القنص، وكانت بنفس المعايير التي اتبعت في العهد الرومي^(١) وبالنسبة لضرائب الصيد فقد قدمت لنا كتب الخراج نسبها كـ ٢٠٪ وهي لم تختلف عنها في العهد الرومي إذ كانت ٢٥٪ وبطبيعة الحال فإن كتب الخراج قد ذكرت صيد البحر في عهد متأخر لأن العرب في أول عهدهم لم يكن لهم اهتمام بالبحر، لذلك فإن الروايات المبكرة في كتب الخراج لم تتناول هذا النوع من الضرائب. وكل ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف كان عبارة عن نصين لتأجير بحيرات تستخدم لصيد السمك، وليس على الصيد نفسه^(٢). وقد ناقش الفقهاء هذه القضية التي حاولت أن تجعل فرض ضرائب على خراج البحر كإجراء غير قهبي، وحاولوا جعل هذه الضرائب في حكم العشر والزكاة بينما نجد وثائقنا قد فرضت ٢٠٪ للضريبة وهي تخالف الحدود المتعامل بها في العشر والزكاة^(٣).

(١) هذا النوع كان معروفاً في العهد الروماني والرومي وكذلك في العهد الإسلامي وقد رواه لنا أبو يوسف في رواياته وصماه الأقباس المعروفة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أبو يوسف ص ٧٠، ٨٧.

(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٧.

(٣) Tauberschlag, the Laws of Greco - Roman Egypt Warszawa. 1955 P. 663

ذكر بأن هذه الضريبة كانت ٢٥٪.

والنصوص الخراجية بينت لنا ضريبة تدعى المصايد منذ وقت مبكر ، وهي
نشابه مثيلتها في العهد اليوناني (١) وكانت هناك ضرائب تفرض على المراعى (٢)
وعلى المروج (٣) وأخرى على المكس وهي مثل الضريبة Telos الرومية (٤) .

وهناك العديد من الضرائب التي تعامل كالعشور ، ولكننا لا نملك لها
وثائق خراجية من العصر نفسه ، وهي مثل ضرائب الحطابين ، والنساجين
والفزالين وغيرهم من أهل الحرف . وهي التي وردت في وثائقنا ضمن خراج
الأرض . غير أننا لم تتمكن من معرفة ما إذا كانت من ضمن حصة أهل
القرية من خراج الأرض أو فرضت عليهم بصفة مهيبة .

ولقد قدمت لنا كتب الخراج مقاييس عديدة لفرض الخراج على الأراضي
بأنواعها ، كالأزروعة وغير المزروعة والتي تروى بالماء ، أو التي تروى بالأمطار
والآبار والمياه المنقولة .. غير أن هذه المقاييس لم تتفق مع ما جاء في وثائقنا
الخراجية ، إذ أن تلك المقاييس لم تستخدم عند فرض الخراج ... ولكن
ما بقي في وثائق الخراج هو استعمال هذه الأنواع من الضرائب وهو استعمال
لفظي فقط ، أما المقاييس في الفرض فتركت . فمثلاً وثائقنا قدمت ضرائب

(١) دار الكتب ٢٣٣ و Erzherzog برديات ٥٧١١ و ٧٢٧٧ و ٩٠٣٢ .

(٢) بين لنا البرديات بأن هناك سجلات خاصة للماشية والحيوانات اللقالية حسب أماكن
تواجدها دار الكتب ٢٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٢ وهذه الضريبة تقابل مثيلاتها في
كتب الخراج أي العشور للذي والحرف .

انظر « أبو يوسف » س ١٣٢-١٣٧ والمرقندي ٤٣٧-٤٥١ ، ٤٩٥-٤٩٩ .

(٣) دار الكتب ٢٣٨ ، أبو يوسف س ٧٠ .

(٤) دار الكتب ١٤٧ ، وراجع كتب الخراج بالنسبة « للمكس » ومبدأ فرض
المكس وأن أول متولي المكس كان ربيعة بن شرحيل بن حنة أيام
عمرو بن العاص .

ل المآله (١) خراج النخل (٢) ، خراج الخردل (٣) ، خراج الخضر (٤) ، خراج القصب (٥) خراج القرط (٦) خراج الكروم (٧) .

وقد مت لنا كتب الخراج أنواعاً أخرى من الضرائب تحبى على التعدين والركائز ودي هنا تتجاوب مع النظام الذي كان يخضع له المسلم الذي يدفع الزكاة والعشر ، وكانت تصل إلى ٢٠ ٪ (٨) .

وبالنسبة للجالية أو ضريبة الرأس أي الجزية فإن وثائقنا الخراجية قد دجت هذه الضريبة في ضريبة خراج الأرض ولم تكن تحبى طبقاً لما جاء في كتب الخراج ، بل كانت تنوع حسب حال السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، ومنهم من كانت تضاعف عليه ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة ، إذ انها كانت تحبى ضمن حصتهم من الضرائب بدون تسمية ، ولم تكن الهدف الرئيسي من الجباية مثل ما تم في سواد العراق وخراسان ، وهذا المبدأ وضه الفاروق عمر عندما عامل القبائل المسيحية العربية التي أبت أن تدفع جزية الرأس فيهاها عمر جوازاً العشر وكانت ضعف زكاة المسلم ، أي نصف العشر (٩) .

ونلاحظ بأن الضرائب الاستثنائية هذه قد استفحل أمرها في اليهود

(١) دار الكتب ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٨٢ .

(٢) « « « Rylands ، ٢٣٨ ، ج ٢ ص ٢٥١ أبو يوسف ص ٣٦ .

(٣) « « ٦٣ .

(٤) « « ٦٥ أبو يوسف ٣٦ البلاذري ص ٢٧٠ .

(٥) « « ٢٣٤ ، أبو يوسف ٣٦ .

(٦) « « ١٠٠ ، ٦٥ .

(٧) « « ١٠٠ أبو يوسف ص ٣٦ ، ٨٥ ، يحيى بن آدم ص ٤٩ - ٥٠ .

وذكر بأن ضرائب الخور هي ١٠ ٪ .

(٨) يحيى بن آدم ص ١٨ أبو يوسف ص ٧٠ .

(٩) راجع كتب الخراج والبلاذري والطبري بالنسبة للعرب المسيحيين وعن الجزية

راجع متحف برطاني ١٤٢٠ ، ١٤٢١ وسجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

التأخرة مما دعا أبا يوسف أن ينصح أولي الأمر بعدم جبايتها إذ قال : « ولا يؤخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مُدَى ولا احتفال ولا نزلة ولا حمولة طعام السلطان ، ولا يؤخذ منهم ثمن صحف ولا قراطيس ولا أجور الكيالين ولا مؤنة لأحد عليهم . ولا يضربن رجل في دراهم خراج ولا يقام على رجله ، فانه قد بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد » (١) .

ووثائق الخراج تبين لنا بأن هذه الضرائب الاستثنائية كانت تجمي كأحد فروع خراج الأرض التي كانت تجزأ إلى صنوفها وفروعها المختلفة ، مثل ما يتم في أي موازنة للدولة في العهد الحديث ، والتي تخصص جزءاً من دخلها لثل هذه الأعمال . ولكن يظهر بأنه في العصور المتقدمة أصبحت هذه الضرائب تجمي إلى جانب الخراج وبشكل يحذف بمصالح أهل العهد ، لذلك ذكره أبو يوسف في تعليقاته لأصحاب الكور والدهاقين لتجنبه .

وقد قدم لنا الأدب المسيحي الكنسي صوراً مظلمة للجباية في عهد عبد الملك بن مروان ، وقد جاء به أن أهل البلاد قيدت تحركاتهم وختم على أيديهم وأحصى الرهبان . ولكن وثائقنا قد بينت لنا وأوضحت البيانات التي جاءت في كتب التاريخ الإسلامي أن هذه الاجراءات تمت عند تعداد النفوس الذي كان يجري كل ١٤ عاماً ، وإن الفرض منه الحصر أن لا تترك القرص للهرب من القيد في سجلات حصر النفوس التي هي الأساس في جباية الضرائب ، والوثائق تبين لنا كيفية إصدار جوازات سفر محلية كانت تصدر عند عمليات حصر النفوس ، حين كان يسمح لأهل البلاد بترك الأماكن التي سجلوا في سجلاتها ، وكيف أن الجباية كانت تتم عن طريق محل الإقامة الجديد لصالح المنطقة التي كان يتبعها في الأساس (٢) .

(١) أبو يوسف ص ١٠٩ .

(٢) راجع ساويرس : الأثمنوني : تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩ . وبالنسبة لتساريح وجوازات السفر المحلية راجع دار الكتب ص ١٧٤ ،

١٧٥ للقرنزي ج ٢ ص ٤٩٢ وسويرس ٣٠٥ ، ٣١٤ .

وهذه الوثائق بينت عدم صحة اتهام الجهاز الإداري بالقسوة والظلم ، لأنها بينت وقدمت الكثير من الشكاوى التي أزيل بها التغالي في فرض الضريبة واهتمام الإدارة المركزية في القسطاط بمراجعة كل الأمور إلى حد تهديد أصحاب الكور بأقصى العقاب ، إن بدر منهم ظلم . والوثائق التي حررها قرّة بن شريك تظهر أنه لم يكن والياً قاسياً كما اتهمه التاريخ .

ورغم نقص بعض الوثائق التي لم تقدم لنا كافة أنواع الضرائب الأخرى التي كانت تحيي قبل الفتح الاسلامي ، فاننا نؤيد الحقيقة التي تقول بأن النظام المالي في مصر الأموية كان امتداداً للنظام الضرائبي الرومي الذي ترعرع في العهد الاسلامي والذي لم نثر له على وثائق كافية قبل هذا العهد . ومعرفتنا للنظام الرومي ترجع إلى الوثائق الاسلامية التي لولاها ما أمكن الاهتداء إلى هذا النظام .

وبالرغم من تعريب الدواوين فاننا نجد أن التماير والمصطلحات الرومية قد تغلغت في الأدب الخراجي ، ولم تزل إلا بزوال الإدارة العربية عند فتح آل عثمان لمصر . وقد كانت اللغة اليونانية والقبطية هي اللغة الرسمية لفترة طويلة في الإدارة الخراجية إلى جانب العربية التي رصّت بالمصطلحات اليونانية والتي سادت إلى القرن الحادي عشر ، حيث عربت الإدارة بتامها . غير أن البروتوكول الضرائبي قد استعمل بعد ذلك الصيغ الرومية الضرائبية إلى أواخر المصور الوسطى .

الدكتور عبد المنعم مختار

المحاضر بجامعة بودابست



المدرسة الظاهرية

(دار الكتب الوطنية الظاهرية)

- ١ -

مقدمة

امتدبني وزارة التربية للعمل أمانة لمخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية ،
فأتاح لي عملي الجديد الاطلاع على كنوز خلفها أجدادنا هي زبدة قرائهم ،
وذوب نفوسهم ، وتناج عمرهم .

وراعيتي الفيرة على مصالح الأمة ، والهمة الشباء اللتان بدتا من طائفة من
رجال العلم والفضل في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر ، ورعتا
هذه الكنوز ، وحمتها قبل فوات الأوان ، وصانتها من تبيد الأبدى العابثة
التي أعمى أصحابها وهج الذهب فمدوها إلى هذا التراث يستلون منه القطعة
بعد القطعة ، يدلونها بما لا يعد شيئاً مما كثر في جانبها غير مبالين بتراث
وجهود وتاريخ ..

وزادني حباً بهذه الدار أنها كانت مدرسة ترددت في جنباتها أصوات
طائفة كبيرة من العلماء الأعلام ، وتخرجت منها أعداد لا تحصى من طلبة علوم
الدين والدنيا ، كان لهم دورهم في عالم الفكر والروح خلال سبعة قرون .

نخطر لي أن أدون ما تقع عليه يدي من أخبار هذه المدرسة والعاملين فيها منذ تأسيسها حتى اليوم؛ فيكون بحثي هذا اعترافاً بفضلها لما أسدته وتسديه لأمتنا من خير وللعلم من خدمة .

عرضت الفكرة على الأخ العالم الأستاذ عمر كحالة فشجعني على ذلك وقدم لي مشكوراً الكثير من المعلومات والعون . ولاقى الأمر ترحيباً من عطوفة الأمير العلامة جعفر الحسني الجزائري الأمين العام لمجمع اللغة العربية . ورأى أن ينشر البحث تباعاً في مجلة المجمع ليصار إلى طبعه في كتاب مستقل متى تم .

فكتبت في هذا الموضوع شاكرة للأمير الأمين وللاستاذ الكريم تشجيعهما وطيب مساعدتهما ، آملة أن أكون قد فتحت الباب لمن يرغب في بحث تاريخ هذه المدرسة بحثاً ضافياً تستحقه ، لأتي واثقة أن كل ما بذلت من جهد لن يفي بحال هذه المدرسة حقها ، فقد كانت ولا تزال منارة علم لا لبلدنا فحسب ، بل لرواد العلم في العالم أجمع .

أسماء المحصي

تمهيد :

من وقف على تاريخ العرب والإسلام ، وعلى الأخص تاريخ الحضارة الإسلامية راعته تلك الوثبة الثقافية ، وأخذ بمجامع قلبه ذلك الانفتاح لشتى المعارف والفنون ، تصبّ في بحر العلوم العربية النامية باستمرار ، وأدهشته تلك الوفرة في المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب ، والتي تعطي دليلاً قاطعاً على جهود جدودنا الذين أطفؤوا نور عيونهم لينبشوا عقولنا ، وأحرقوا أعصابهم لينموا جسامنا ، وهدموا أنفسهم لينبشوا لنا مجداً خالداً على مر العصور .

ولم يكتفوا بالنظر ، بل أعمالوا أيديهم الصناعات ، واستغلوا ذوقهم الفني في بناء المعابد ودور العلم والكتب . فعرفت بغداد ، والبصرة ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، والمغرب ، وقرطبة ، وإشبيلية ، وغرناطة وسواها آلافاً من مراكز العلم ، من مساجد جوامع ، ومدارس ، وبيارات ، وخوانق ، وربط وزوايا ، وتكايا ، وحتى ترب قامت إلى جانب الكثير منها أمكنة لطلب العلم وتلاوة القرآن ، ورواية الحديث . كل هذا بشوّه ، واهتموا بزخرفته وتمويله اهتمامهم يبنائهم قصورهم الفخمة ، وحدائقهم الفناء .

ومر القرن السابع الهجري على الأمة الإسلامية ، ودالت دولة العلم في بغداد والعراق ، لما أغارت جموع التار على الامبراطورية الإسلامية كأنها الجراد المنتشر ، تقضي على كل من وما تلتقاء ، لا يردعها ضمير أو دين أو مسكة من حضارة ، وأباد «هولاكو» وجنوده الكتب والمؤلفات فيما أبادوه من معالم الرقي ، وامتلك التار هذه البلاد التي عاشت ستة قرون ونصف منارة للإسلام ، وجامعة لرواد العلم من عرب ومن عجم . . .

واستشرى خطر الوثنية والصليبية ، ورأى علماء الشام ومصر ، ومن فر منهم من المراق من خطر المغول ، رأوا أنفسهم مسؤولين عن دعم الدين وشره ، وتجديد العلم ، وجمع شتات المعارف في كتب طارفة تخلف ما أريد ، يملأونها بما وعت القرائح وحفظت الصدور .

وامتلأت نفوسهم حماسة للعمل ، وتحفزت للقيام بالواجب المقدس الذي قدر لهم الاضطلاع بمسؤوليته .

وجدت رغبتهم هذه رغبة توازيها من سلاطينهم الذين آمنوا أن لغتهم الفقيرة لن تحل محل العربية لغة القرآن المبين ، وحضارتهم القاصرة لن تعدل الحضارة الاسلامية الراسخة ، وأن عددهم لا شيء في عديد العرب وجموع المسلمين . فرأوا — وهم المسلمون — في مؤازرة الدين والعلم ، وفي الأخذ بيد العلماء قربي إلى الله وزلفى ، وترضيًا للشعب العربي المسلم ، وتمكيناً لأنفسهم في الحكم .. فراحوا ينشئون دور التعليم وينفقون عليها بجميع اليدى .

ولا شك أن دور العلم هذه تعتبر عاملاً أساسياً وحيوياً في تنشيط الحركة العلمية ، لما تتضمنه من مدرسين وطلاب ، ولما يقرر فيها من دروس ، وهي البيئة الطبيعية للعلم ينمو فيها ويزدهر .

وتتمثل دور العلم في العصر المملوكي فيما أنشئ من مساجد ومدارس للمذاهب الاسلامية الأربعة ، وما شيد من خوانق وربط ، وما أقيم من زوايا للصوفية .

وكان إلى جوار هذه الماهد التعليمية ، كتائب صغيرة متواضعة ملحقة بها ، تعنى بتعليم الصبية القراءة والكتابة وطرفاً من العلوم الأولية ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، وتعددهم للاتحاق بالمدارس الجامعة (١) .

(١) عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ج ٣/ ص ٢٥ ..

إلا أن عدداً كبيراً منها عبثت به يد البلى ، وأذى القزاة الفاتحين ، ولا سيما التار والصليبيون ، فحقاه أو ذهباً بأكثره مجددين فاجعة العرب سنة ٦٥٦ هـ .

وما تبقى لا يعدو إصباعاً من جسم العلم الضخم تشير إلى رقي المسلمين وثقافتهم الفاخرة في عصورهم الزاهرة ، وإلى مدى تفننهم في هندسة أبنيتهم وزخرفتها وتجميلها .

وتزدهي دمشق شأن غيرها من حواضر العالم الاسلامي بالمديد من المدارس البنية آنذاك . إن نظرة نلقها على مصوّر دمشق ومدارسها في القرن السابع الهجري (١) ترينا مراكز العلم قائمة هنا وهناك في كل حي من أحياء المدينة من سفح قاسيون إلى مرايع القوطة ، ومن سهول برزة إلى جداول النيرين .

وبين هذه المباني الكثيرة ما لا يزال يقارع الزمن وصروف الدهر راثياً للإنسان لضعف تفكيره ، ولأذاه نفسه بتعطيم أداة بنائه .

ومن هذه المباني المدرسة الظاهرية والتي سميت باسم الملك الظاهر الذي دفن فيها ، حسب العادة الشائعة آنذاك (٢) .

الملك الظاهر^(٣) هو ركن الدين يبرس البندقداري . ولي الملك سنة ٦٥٨ هـ . وهو أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية .

(١) كتاب « دمشق الشام » لجان سوقاجيه تعريب فؤاد أفرام البستاني ط . بيروت سنة ١٩٣٦ .

(٢) المدارس في أخبار المدارس النجيب - تحقيق الأمير جعفر الحسني الجزائري .

(٣) كلمة (ظاهر) لقب ثمانية من سلاطين المماليك . أولهم من البحرية وهو الظاهر يبرس صاحب المدرسة المذكورة ؛ والباقيون من البرجية وهم : برقوق ، وططر ، وجقق ، وخوشقدم ، والباي ، وتبرغا ، وقانصوه الأول .

وهناك للملك الظاهر صاحب حلب ، وهو ثاني أولاد صلاح الدين الأيوبي .

أصله من أرض القبجاق ، أسر وبيع ، واشتراه — وكان صغير السن — رجل يدعى العماد الضائع . ثم باعه للأمير « علاء الدين آيدكين البندقداري » ولما قبضَ الملك الصالح نجم الدين الأيوبي على البندقداري ، أخذ ركن الدين وجعله من جملة مماليكه فنسب لذلك اليه ولقب بـ « الصالحى » ثم أعتقه الصالح وضمه إلى مماليكه البحرية ورباه معهم ، فشب شجاعاً بطلاً ، لا يهاب الردى . ومرفقه الحروب ، وهو أمير ، فارساً مقداماً إنَّ في موقعة « المنصورة » التي هزم فيها الفرنجة في عهد توران شاه ، أو في موقعتي « عين جالوت » و « يسان » اللتين هزم فيها التار في عهد « قطز » .

واشترك بيرس في عدة مؤامرات آخرها مؤامرة اغتيال « قطز » بعد انتصارها على التار . واستلم الحكم بعده . وبويع سلطاناً على مصر والشام . ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لمظمة الدولة البحرية ، فقد قضى على المؤامرات ، وفتح عدداً من البلاد ، وملاً الدنيا مهابة زهاء سبعة عشر عاماً . التفت خلالها إلى إصلاح مملكته .

وكما اتصف بالشجاعة والإقدام في الحروب وحسن ترتيبها ، عرف بالدهاء والكرم وحب الخير والإحسان إلى الفقراء . وكان يكرم العلماء وينطوي تحت مشورتهم ويقربهم .

روى السيوطي^(١) أن الظاهر بيرس حضر مرة إلى دار العدل في قضية بينه وبين أحد الأمراء أمام القاضي ابن بنت الأعز ، فقام الناس له تعظيماً ، إلا القاضي فقد أشار إليه السلطان بعدم القيام .

وبعث إليه ابن مالك النحوي صاحب « الألفية » المشهورة رسالة من الشام — وكان الظاهر في القاهرة — يستعين فيها على صلاح حاله فأعانه .

(١) حسن المحاضرة ٧٤/٢ .

كما كان يتحمل مخاشنة العلماء إياه في الحديث والنصيحة ، فلا يبطش بهم لمخاشنتهم ؛ فقد وقعت بينه وبين عبد الله يحيى النووي أحد علماء الشام مكاتبات أغلظ له فيها النووي النصيحة ، لما زاد على أن نفاه من دمشق . وروي أنه كان منقهما تحت كلمة الشيخ « عز الدين بن عبد السلام » ، وأنه قال لما مات الشيخ : « ما استقر ملكي إلا الآن » (١) .

ومن أجل أعماله مكافحة الكبار ، وعقاب مرتكبيها وتشديد التكير عليهم ، وإعادة الخلافة المباسية ، والقيام بأعمال عمرانية كثيرة ، كان فيها كسب أدبي كبير لمصر والشام .

وقدم فن البناء والهندسة آنذاك لاهتمام المسؤولين بتشيد القصور والمدارس والمساجد والقباب (الترب) . والخواثق والقلاع ونحو ذلك .

ولم يك هذا البناء تلبية لداعي الحاجة فحسب ، بل كان ميدان تفاخر بين السلاطين ، لذا عني هؤلاء بزخرفته وزينته ، وطبعي أن ينبغ في جو كهذا عدد كبير من المهندسين أو « شادّي المائر » ، كما كانوا يسمون في ذلك العهد (٢) .

وشيد الظاهر المدارس كسواه من السلاطين ، وكان أبرزها « المدرسة الظاهرية » في القاهرة بخط بين القصرين سنة ٦٦٠ هـ ، ويسمى السيوطي « المدرسة الظاهرية القديمة » تمييزاً لها عن « المدرسة الظاهرية » التي أنشأها بعدئذ الملك الظاهر ، برقوق سنة ٧٨٦ هـ ، في القاهرة أيضاً .

(١) مصر سلاطين الممالك ، محمود رزق سليم ٢٣/٢

(٢) مصر سلاطين الممالك ٢٣/٢ .

وعني يبرس بظاهريته وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم . وبني بجانبها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، ورتب بها دروساً في المذاهب الأربعة ، والقراءات . وافتتحت باحتفال عظيم ، واعتبرت — كما قال القريري (١) — من أجل مدارس القاهرة .

المدرسة الظاهرية (الجوانية) أما المدرسة الظاهرية بدمشق ، والتي هي موضوع بحثنا ، فبانيها الملك السعيد أبو المعالي ناصر الدين محمد بركة قان ابن الملك الظاهر يبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٨ هـ) ولكنه لا يستبعد أن يكون أبوه الظاهر قد فكر ببناء ظاهرية دمشقية تحمل اسمه كذلك التي بناها في القاهرة إلا أن الموت عاجله قبل أن ينفذ فكرته . فقد توفي — مسموماً على ما روت الكتب — يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ٦٧٦ هـ . فأخفى الأمير بدر الدين يليك الخزندار خبر موته ، وأمر بحمله إلى قلعة دمشق ليلاً حيث غسل ، وحُط ، وكفن ، وجعل في تابوت علق هناك في بيت من بيوت البحرية .

ثم كتب الأمير « بدر الدين » إلى والده « محمد بركة قان » مطالعة يده كان من نتائجها أن أخذ له البيعة بعهد أبيه باسم « الملك السعيد » .. وتوَّجه سلطاناً لمصر والشام .

وصدر أمر السعيد ببناء الظاهرية ، — خلافاً لما أورده ابن كثير عن ابن قاضي شبة (٢) — مدرسة ودار حديث وقبة لدفن أبيه ، إذ كان الظاهر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك - للقريري ٦٤٦/١ .

(٢) الدارس للتيمي ٣٤٨/١ .

قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من دارياً خارج السور وأن يبنى عليه هناك قبة فلا يعقل والحالة هذه أن يبنى مدرسته وقبته في مكان ويوصي أن يدفن في غيره .
قرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل سور دمشق ، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي ، وكانت قصراً للأيوبيين (١) بثانية وأربعين ألف درم — وقيل بستين ألفاً وقيل بسبعين (٢) — وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، كما ذكرنا .

بدأت عمارتها يوم الأبناء الخامس من جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ .
ولما أنجز البناءون القبة ، آخر جمادى الآخرة سنة ٦٧٦ هـ ، حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي حوض ، والطواشي صني الدين جوهر الهندي المصري إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان نائباً آنذاك عز الدين ايدمر ، فعرفاه ما أمر به الملك السعيد ، فحمل تابوت الظاهر ليلاً ، وصلى عليه في الجامع الأموي ، ثم دفن في الخامس من رجب سنة ٦٧٦ هـ بالقبة من المدرسة التي أمر ببنائها باسمه .

افتتاح المدرسة : استمر عمل البناء في الظاهرية ، حتى إذا كان يوم

الأربعاء الثالث عشر من صفر سنة ٦٧٧ هـ بدىء التدريس فيها — رغم أن بناءها لم يكمل بعد — بحضور نائب السلطنة ايدمر الظاهري وقضاة دمشق .
واجتمع خلق كثير في الايوان الشرقي حيث ألقى الدرس الأول فيه الشيخ رشيد الفارقي مدرس الشافعية . وغص الايوان القبلي بالمستمعين للدرس الأول يلقيه فيه مدرس الحنفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي المز .

(١) السلوك للقريري ٦٤٦/١ . والنجوم الزاهرة ص ٢٦٣ .
(٢) قيل إن الدار كانت لعريف أحمد العقيقي ، ثم انتقلت إلى ملك الأمير قارس الدين انطاي الشرب الأتابك ، فاشترت من ورثته وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن .

وفي ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمئة قدم الملك السعيد إلى دمشق فقام ببعض الإصلاحات ، إلا أن المؤامرات كانت تحاك ضده ، فاضطر للرجوع إلى القاهرة ، ثم إلى خلع نفسه على أن تبقى له الكرك سنة ٦٧٨ هـ ، وثنى أخوه « سلامش » سلطانا ، وكان في السابعة من عمره ، إلا أن أتاكه سيف الدين قلاوون خلع واستولى على الحكم ولقب نفسه بالملك المنصور . وفي منتصف ذي القعدة من العام نفسه توفي الملك السعيد ، ووري بالتربة الظاهرية إلى جانب أبيه (١) ولم تك تلك المدرسة قد تمت بناءً فأمر الملك المنصور قلاوون بأكملها فكان ذلك . وقد سجل اسم بانيتها في السطرين الأخيرين فوق بابها الرئيسي بخط نسخي مزهر .

جاء فيها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة قان ابن السلطان الشهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين أبو الفتوح يبرس الصالحى ، أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب ، فاحتوى الضريح على ملكين ظاهر وسعيد . وأمر بأكمل عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه » .

أما سبب تسميتها بالجوانية فذلك تمييزاً لها عن المدرسة الظاهرية البرانية التي بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، خارج باب النصر بمحلة المنيع ، شرقي الخاقونية الحنفية ، وغربي الخاققاء الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان بالشرف القبلي ، وجعلها على الشافعية (٢) .

(١) سجل على قبره ان وفاته كانت سنة ٦٧٦ هـ والصحيح ما أثبتناه أعلاه .

(٢) يذكر الأستاذ صلاح الدين للتجدد في كتابه (مدارس دمشق) أنها درست . ويقول ابن بدران في منتخب النفائس أنها : « محل الشكنة » وزاوية للولوية ، وبستان الأعيان » .

أما المدرسة الظاهرية الجوانية — موضوع بحثنا هذا فتعتبر من أهم مدارس دمشق الباقية إلى اليوم رغم انه اعتورها ما اعتور سواها من عشرات المدارس التي كانت عامرة وعاشت ردها من الزمن تحت سماء دمشق مثابة للعلم وطلابه ، درسوا فيها القرآن والحديث والفقه والأصول والكلام والطب والرياضيات والطبيعات والفلك والتاريخ والأدب وسوى ذلك ، والتي لم يبق منها إلا القليل وفي حكم الخراب . فقد درست معالمها وأكلت أوقافها ، واستصفيت معاهدها ولم يبق سوى ذكرها في بطون الكتب والدفاتر .

موقع الظاهرية : تقع الظاهرية من دمشق في حي الهامة بين بابي الفرج والفراديس ، تجاه المادلية (مقر مجمع اللغة العربية اليوم) بينها طريق باب البريد المفضي إلى الجامع الأموي .

شكل البناء : لا يزال مدخل المدرسة على حاله الأولى رغم ما صاب التار على دمشق من ويلات .

ولا ريب أن تحويل قصر العقيقي إلى مدرسة ، كان من شأنه تغيير شكل البناء الأصلي فرفعت حوله الجبهتان : الجبهة الغربية وفيها الباب الرئيسي ، والجبهة الجنوبية ، وأقيمت فيها قاعة الضريح التي بنيت عليها قبة على حطتين مصلعتين .
ويظهر أن الحتام (١) الملاصق للمدرسة من جهتها الشمالية ، والايوان الشرقي كانا من أجزاء الدار القديمة . ويبدو أن مهندس المدرسة « إبراهيم بن غانم »

(١) حمام العقيقي : لا يزال حتى اليوم بحالة حسنة ، ونسبه العامة حمام « للذك الظاهر

أو « حمام الطبق » . وقد وسم على حساب للمدرسة ، ويبدو هنا واضحاً .

لاحظ نهاية الجدار الغربي للظاهرية .

استوحى تقاليد الفن الأيوبي الماضية التي كانت ماثلة في الدار نفسها ، وفي بناء المدرسة العادلية المقابلة . ولعله توخى من ذلك أن يجعل هذين البنائين المتقابلين منسجمين كل الانسجام ، وأن يؤلف منها وحدة عمرانية يكمل فيها جمال الأولى روعة الثانية .

وقد أفلح في مساعاه . فالدرستان تروعان رائيهما فيها رابضتان وجهاً لوجه ، كعملاقين جبارين تتحديان الزمن والفناء بروعة وجلال .

إلا أن واجهتي المدرسة الظاهرية الغربية والجنوبية أجمل من نظيرتيهما في العادلية بكثير ، بل تعتبران من أجمل ما بنى المهالك . وهما مشيدتان بالأحجار النحوتة التقنية . وفي أعلاها كوى مستديرة تحيط بها زخارف هندسية متألفة من دوائر متداخلة . (١) .

أما المدخل الرئيسي فمبني بأحجار بيضاء ، وأخرى وردية اللون ، تتوجه نصف قبة من المقرنصات البديعة ويعلو الباب ثلاثة صفوف عريضة من الكتابات النسخية الزهرة الجميلة ، جاء في الصفين العلويين منها ذكر وقفها وفي الصفين السفليين أسماء بناتها .

وجاءت جملة أخرى في الزاوية الشمالية أعلى الرناج « عمل إبراهيم بن غانم » المهندس رحمه الله . مما دل على أن المهندس عربي من أهل الديار . ولو لم يعف الزمن آثار هؤلاء الأسلاف ، ولو غني مؤرخونا بترجمة المهندسين عنايتهم بتراجهم المتفقيين والمتأديين والأطباء مثلاً لملأنا الحلقات الناقصة من سلسلة حضارة العرب في سورية ، لأن هذه المعاهد لم تبناها إلا أيدي أبنائها وبوحي عقولهم .

والداخل إلى المدرسة يهبط دركة إلى عتبة المدخل التي يقوم على جانبيها دكتان حجريتان ورديتا اللون ، فإذا ما جاز بابها الجميل المزخرف « بالخط

(١) مشاهد دمشق الأثرية ، سليم عادل عبد الحق ، وغالد معاذة ص ٩٠ ب . اللوحة (٤١) .

العربي وجد نفسه في رواق يمتد شمالاً جنوباً ذي ثلاث أقواس ، يحملها عمودان حجريان ضخمان ويرى البناء يأطر باحتها المربعة .

وإلى يمين الداخل في جنوب الرواق تقوم القبة الرائعة (تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد) . يصعد إليها بدرجتين . وقد نقش على بابها الخشي وقفها . والقاعة مربعة الشكل ترتفع قبتها نحو ثلاثين متراً على حطين مصلعتين . تكسو جدرانها زخارف من المرمر الملون والحجر المنحوت ، ولا نعلم فيما إذا كان قد أخذ من مقالع في سورية أو جلب من بلاد غيرها . ومحرابها آية في زخرفته بالمرمر الملون المجزع المصنف على طريقة « الموزائيك » وبالفسيفساء التي تعد نموذجاً صالحاً لزخرفة القرن السابع ، عدا نقوش دقيقة حفرت في المرمر نفسه ، وأطّرت فتحة المحراب . ويزين جانبيه الآية الكرّمية « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » . ويعلو المحراب قوس من المرمر المطعم غاية في دقة صنعه وبديع رسمه .

وفي كل من جدران القاعة الثلاثة نافذتان أحيطتا بزخارف وحول الجدران زخارف بالفسيفساء الزجاجية الملونة تمثل قصوراً وشجراً ونقوشاً عربية رائعة ، وفوق هذه الزخرفة ، في منتصف أقواس الجدران فتحت كوى أربع في كل قوس واحدة .

النربية والجنوبية منها تبدوان من الطريق مزخرفتين ، كما ذكرنا ، بدوائر متداخلة ، وثلثان داخليتان في الجدارين الشمالي والشرقي . تطل الشمالية على سطح الرواق القائم في مدخل المدرسة وتطل الشرقية على الأيوان القبلي . وقد سدنا فيما بعد لما حولت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية ، وعدل شكل البناء فيها كما سيأتي بيانه .

ويقوم على الجبهة الجنوبية إلى جانب القبة وبمحاذاتها الايوان الجنوبي الذي خصص للحنفية ولا يزال ماثلاً بهيئته السابقة ، القوس والقبة والمحراب ويصعد إليه بدرجة .

أما الايوان الشرقي فقد دثر ولم يبق من قوسه إلا ثلاثة أحجار ، تدل على مشاكلته للايوان القبلي المذكور .

وعلى يساره ينسب وبين الايوان القبلي تقوم دار الحديث والتي لا يزال مدخلها واضحاً رغم التعديل فيه .

أما داخلها والجبهتان الشرقية والشمالية فلم يبق من بنائها القديم شيء ، فقد اندثر كله وحل محله بناء آخر يبدو أنه شيد في العهد التركي . وكل ما بقي من الجهة الشمالية قوس صغير يبدو في آخر الجدار الشمالي عن يسار الداخل آخر الرواق .

وهناك أيضاً إلى جوار القوس وفي آخر الجبهة الغربية [عن يسار الباب الرئيسي] باب آخر مسدود الآن لم أستطع أن أصل إلى معرفة ما كنا يشكلان في هذا البناء . هذه الأبنية تأطر باحة مربعة الشكل تتوسطها بركة مربعة الشكل أيضاً .

على كل من الصعب علينا أن نعرف الشكل القديم للمدرسة الظاهرية كاملاً ، ولا سيما جناحها الشرقي والشمالي — كما ذكرت — اللهم إلا إذا هدم البناء الحالي وفرغت أطرافه ونبشت الأسس لتحديد البناء القديم ، وبذلك نستطيع أيضاً أن نعرف الخطة التي اختطها ابن غانم المهندس للمدرسة ؛ عندئذ تمكن من إعادة بنائها بشكله القديم بالاعتماد على المقارنة والقرينة .

ويستفاد من تراجع بعض من درّس أو درّس فيها ولا سيما في دار الحديث — انه كانت هناك غرف لهم يعيشون فيها — وكان ذلك شرطاً على من يعين شيخاً لدار الحديث على الأقل — ولكن في أية جهة منها ؟ وما شكلها ؟ وهل هي أرضية أم علوية ؟ أمور كثيرة مجهولة من المسير الوصول إليها .

واردات الظاهرية : من السهولة بمكان تقدير واردات الظاهرية الوفيرة ،

إذ أن نظرة نلقيا على الكتابات المنحوتة في أعلى بابها الخارجي ، وعلى باب قبتها تدلنا على غنى المدرسة ووفرة أوقافها ، فقد جاء في السطور العلوية المرقومة على الباب الرئيسي ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار الحديث النبوي الحصنة من قرية الطرة من عمل أفرعات ، ومبلغها أحد عشر سهماً وربع ، وثمان ستم من أصل أربعة وعشرين سهماً من قرية الصرمان بكاملها ومن أعمال الشعراء وقرية ازرع بكاملها من عمل نوى ، والحصنة من قرية بيت الرامة ، وقرية سوية وقرية الزراعة من النور ، ومبلغها سهران من أصل أربعة وعشرين سهماً ، والحصنة من الأشرافية من عمل المرج من بلاد دمشق ومبلغها تسع عشر سهماً ونصف من أربعة وعشرين ، والبساتين الثلاثة المعروفة بابن سلام ظاهر دمشق من أراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون ، وبستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي ، وطاحون السبتية الملاصقة للبستان المذكور ، وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس ، وخان بيت حنا ، وحاثوت جوار بساتين ابن سلام . وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق ، والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمئة » .

وكانت هذه الأوقاف المذكورة تمدد المدرسة والقائمين عليها ومن يحيا فيها من طلبة العلم بالخير ، وتكفيهم مؤنة العيش ، وتوفر لهم وقتهم للتعلم والتعليم . ويحدثنا ابن بدران (١) أن ركن الدين السمرقندي (٧٠١ هـ) كان مدرساً للحنفية فيها وناظراً عليها ، وكان يحيا في مجبوحة . ويبدو أنه امتلك

(١) مناداة الأطلال ومسامرة الخيال ص ١٨١ .

من المال ما أغترى بوابها « علي الحوراني » بقتله ، وإلقائه في بركتها وأخذ ماله . وقد عوقب بصلبه على بابها .

ويحدثنا النعمي (١) نقلاً عن الشيخ تاج الفزاري : أن العلامة رشيد الدين أبا حفص عمر بن اسماعيل الفارقي شيخ الشافعية وجد مخنوقاً في مسكنه بالمدرسة الظاهرية ، وقد أخذ ماله ، وذلك في شهر محرم من عام تسعة وثمانين ومستمئة للهجرة . ومن استعرض حياة طائفة ممن عمل فيها وجد أن الكل راغب في خدمتها ساع إلى الاستئثار بها أو إلى إيكال أمرها لابن له أو قريب ، وأعتقد أن وفرة ريع أوقافها كانت من جملة العوامل التي دفعتهم لأن يظلوا مجاهدين في ميدانها ، بائين حب العلم والفضل في نفوس طلابها ، مما جعلها تؤدي الخدمة الثقافية المرجوة خلال قرون .

إلا أن هذه الأوقاف بعضها درس وبعضها تناولته أيدي الطامعين ممن لا ضمير لهم ، وساءت حال المدرسة يوماً بعد يوم ، لولا أن تداركتها العناية الإلهية بطائفة من العلماء ذوي الوعي والضمير ، حولتها إلى مكتبة وطنية في أواخر القرن الثالث عشر في فترة كادت تلفظ فيها الأنفاس .

التدريس في الظاهرية :

ذكرنا أن الملك السعيد لما بنى المدرسة الظاهرية إلى جوار تربة أبيه ، جعلها على الحنفية والشافعية ، وأقام فيها دار حديث . وقد درس فيها على المذهبين علماء أعلام نذكر أسماء بعضهم لنعرف سوية الثقافة التي كانت تقدمها هذه المدرسة ، ولنقف على تطور وضعها الثقافي من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر .

(١) الدارس في تاريخ الدارس ص ٤٨ .

كان القرن السابع الهجري فترة اليمن والإقبال على المدرسة الظاهرية
الفتية . وأول العلماء الأعلام الذين شهدوا الإيوان القبلي (منبر الأحناف) :
قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي الأذرعي [٥٩٤-٦٧٧ هـ]
شيخ الحنفية في زمانه وصاحب الجامع الصغير (١) .

ثم درس بها صاحب محي الدين محمد بن يعقوب النحاس (٢) [٦١٤-٦٩٥]
كان متبحراً في المذهب وغوامضه موصوفاً بالذكاء وحسن المناظرة ، انتهت إليه
رئاسة المذهب بدمشق ، وكان — وهذا أمر يلفت الانتباه — معارفاً مهندساً
كاتباً موصوفاً بحسن الانصاف في البحث . وكان يقول : « أنا على مذهب الإمام
أبي حنيفة في الفرع ، ومذهب الإمام أحمد في الأصول . وكان يحب الحديث
والسنة ، سمع منه ابن الخباز ، وابن المطار ، والمرضي ، والمزي ، والبرزالي ،
وابن تيمية ، وابن حبيب ، والمقاتبي ، وأبو بكر الرحي ، وابن النابلسي .
وتكفينا نظرة نلقياها على تراجم طلابه هؤلاء لنعرف قيمة هذا الرجل ومن
أنجبتهم هذه الدار .

ودرس فيها بعده سنة ٦٩٨ ابنه القاضي شهاب الدين يوسف بن محي الدين
ابن النحاس (٣) وتلاها العلامة ركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي وكان إماماً
عابداً ومن كبار أئمة المذهب ، مكياً على المطالعة والتعليم وله ورد ، يصلي في
اليوم والليلة مئة ركعة ، وله حلقة بالجامع . مات مخنوقاً يد بواب الظاهرية
سنة ٧٠١ هـ طمعاً في ماله وخسرت المدرسة بذلك عقلاً مفكراً وروحاً طيبة .
وارتفع في القرن نفسه وفي الإيوان الشرقي (ركن الشافعية) أصوات
علماء عدة منهم :

(١) شذرات ابن الهاد ٣٥٧/٥ وشذرة ابن بدران ص ١٨١ ودارس النيسبي ٥١٣/١ .

(٢) الدارس : ٥٢٤/١ - ٥٢٥ .

(٣) الدارس : ٥٢٨/١ .

العلامة أبو حفص عمر بن اسماعيل الربيعي الفارقي الدمشقي (١) [٥٩٨ - ٦٨٩ هـ] وكان فقيهاً أديباً مفتياً ، أفقياً وناظراً ، وبرع في البلاغة والنظر ، وكانت له اليد الطولى في التفسير واللغة . شارك في الأصول والطب والنظر في أحكام النجوم . انتهت إليه رئاسة الأدب في عصره ، واشتغل عليه العديد من الفضلاء ومن غريب الصدف أن يمتحن (كالمعرفندي) في مسكنه في الظاهرية ويرق القاتل ماله .

ومنهم الأمير عز الدين أيمن الظاهري (٢) [٧٠٠ - ٧٠٠ هـ] نائب دمشق ، وهو الذي افتتح التدريس فيها .

ومنهم أيضاً قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين المالكي الشافعي المعروف بابن بنت الأعز (٣) [٦٩٥ - ٧٠٠ هـ] .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في تلك الحقبة من القرن السابع عدد من الفضلاء أبرزهم .

أبو إسحق اللوري (٤) [٦١٤ - ٦٨٧ هـ] . سمع من ابن رواحة ومن ابن الجيزي وطبقته ، وتقفه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيثار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة .

ومنهم عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفاروخي الواسطي (٥) [٦١٤ - ٦٩٤ هـ] قرأ القرآن على والده وعلى الحسين الطيبي ، وسمع ينداد

(١) الشفراء ٤٠٨/٥ ، والدارس ٣٥١/١ .

(٢) الشفراء ٤٠٦/٥ ، والدارس ٣٥١/١ .

(٣) الشفراء ٤٣١/٥ .

(٤) الدارس ٣٥٥/١ .

(٥) الدارس ٣٥٥/١ .

وواسط واصبهان ودمشق . وأخذ التصوف عن شهاب الدين السهروردي ، وروى الكثير بالحرمين والعراق ودمشق ، وسمع عنه كثيرون منهم البرزالي ، كما قرأ عليه القرآن جماعات ، وقال ابن كثير : إن كتبه بلغت ألفي مجلد ومشتين .

وروى الذهبي في عبره أنه كان فقيهاً شافعيّاً مدرساً فقيهاً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً واعظاً كريم الأخلاق ، جواداً محبوباً ، غادر دمشق سنة ٦٩١ هـ إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وانطلق من هناك إلى واسط حيث توفي .

ومنهم أبو اسحق إبراهيم الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي^(١) [٦٠٢ - ٦٩٢ هـ] وكان رجلاً صالحاً ، دعا إلى مذهب السلف الصالح والصدر الأول ، انفرد بعلوم الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد ولي في أواخر حياته مشيخة دار الحديث الظاهرية وكان ذلك بعد سفره الفاروقي .

وولي مشيخة الحديث بمسده سنة ٦٩٢ شرف الدين عمر ابن خواجا المعروف بالناسخ .

ويطلع القرن الثامن على العالم العربي الاسلامي بعلماء لا يقلون عن سالفهم علماً وفضلاً ، وعرفت الظاهرية من أحنافهم :

القاضي شمس الدين بن أبي العز الاذرعني الحنفي^(٢) [٦٦٣ - ٧٢٢ هـ] من أعيان الحنفية . كان بارعاً في فنون من العلوم ، درّس في الظاهرية وكان ناظر أوقافها ، وأذن له بالافتاء .

ومنهم الصدر الكبير قطب الدين موسى بن أبي عبد الله محمد اليونيني المؤرخ^(٣) [٦٤٠ - ٧٢٦ هـ] سمع من أبيه ومن ابن عبد الدايم ، وعبد العزيز ، والرشيد المطار ، واسماعيل بن صارم ، وأجاز له ابن رواج والبشيري .

(١) الدارس ٣٥٧/١ .

(٢) الدارس ٥٤٧/١ .

(٣) الثغرات ٧٣/٦ .

روى عنه الذهبي أنه كان عالماً فاضلاً مليح المحاضرة كريم النفس معظماً جليلاً حدث بدمشق وبعبك وجمع تاريخاً حسناً ذيل به على مرآة الزمان ، كما اختصر المرآة .

ومنهم كذلك العلامة شمس الدين محمد بن عثمان الأنصاري الحنفي الحريري^(١) [٦٥٣ - ٧٢٨ هـ] . كان شيخ المذهب ، سمع من أبي اليسر ، وابن عطاء ، والجمال ابن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون . وقد درس في الظاهرية عوضاً عن القاضي شمس الدين اللطفي .

درس وأفتى . كان وقوراً حسن السمعة متين الديانة . منطلق العبارة ^ثوروي عنه أنه كان يراعي الإعراب في لفظه ، حتى مع النساء في بيته .

ومنهم أيضاً نجم الدين علي بن داود بن يحيى القرشي القحفازي الحنفي^(٢) [٦٦٨ - ٧٤٥ هـ] : كان شيخ الأدب في عصره ، إماماً متفتناً وخطيباً مفوهاً ، تميز في الفقه والعريّة وغيرها ، وله ذهن جيد ومناظرة صحيحة وشعر لا بأس به . سمع من البرهان ابن الدرجي وغيره . استلم التدريس في الظاهرية يوم الأربعاء السادس من صفر سنة ٧٢٢ هـ وذلك بعد موت شمس الدين ابن أبي العز الحنفي الأنرعي .

وشهد إيوان الشافعية في هذا القرن من رؤساء المذهب كل عالم فاضل أبرزهم : العلامة صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي الأرموي الشافعي^(٣) [٦٤٤ - ٧١٥ هـ] . كان متكلماً أشعرياً كثير الأسفار . أخذ عن ابن الوكيل ،

(١) فوات الوفيات صلاح الصفدي سنة ٧٢٨ .

(٢) الدارس ٥٤٧/١ ، وذيل البر اليوناني سنة ٧٤٥ . ذكر النسيبي في دارسه :

٥٢٠/١ ما يفهم منه ان نجم الدين وزين الدين القحفازي هما لقبان لشخص واحد .

(٣) الدارس ١٢٩/١ .

وابن الفخر المصري ، وابن الرمل ، قدم دمشق سنة ٦٨٥ هـ وولي بها مشيخة الشيوخ ، وتدرّس الشافعية في الظاهرية وسواها وتصدر للافتاء والاقراء في الأصول والمقول والتصنيف . أفاد الناس وسلك تلاميذه مسلكه ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية .

ومنهم كمال الدين أبو المعالي محمد بن علاء الدين الزمלקاني الشافعي (١) [٦١٦ - ٧٢٧ هـ] : شيخ الشافعية بالشام انتهت اليه رئاسة المذهب تدريجاً وافتاءً ومناظرة ، سمع منه الكثير ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والقاضي بهاء الدين بن الزكي في الأصول ، وعلى بدر الدين بن مالك في النحو . وكان ذا ذهن وقاد ، حسن العبارة جيد الخط . روى الصفدي عنه انه كانت له خبرة بالتون وكان بصيراً بالمذهب وأصوله قوي المرية ، قد أتقنها ذكاءً وبربها ذكياً ، تلقى العلم على شهاب الدين الخوئي وشمس الدين الأيبي وصفي الدين الهندي . يقول الصفدي ولقد رأيته في الظاهرية وفي يده القائمة من الحساب وهو يساق الباشرين على المصروف فيسبقهم إلى الجمع وعقد الجملة ، ويبقى ساعة ينتظرم إلى أن يفرغوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذا وكذا . فيقول : لا ! فيميدون الجمع إلى أن يصح .

ولي عدة مناصب هامة ، وقد طلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق لما تقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى قضاء الديار المصرية ، ففرح الناس بالخبر ، ولكن النية عاجلته قبل أن يستلم مهام المنصب . له تعاليق مفيدة ، منها قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، وقيل هو أول من شرحه . ومجلد في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق .

(١) الدارس ٣٣/١ . ويذكر الصفدي انه ولد في شوال سنة ٦٦٢ هـ . م (٨)

قال ابن كثير: « وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ، ولا أحلى من عبارته وحسن تقريره ، وجودة احترازاته وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه .

ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد التميمي الدمشقي القلاني^(١) [٦٦٩ - ٧٣١ هـ] .

كان محتشماً عالماً لين الكلمة متواضعاً حسن السمعة برأ بأهل العلم والصلحاء ، اشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وتأدب على الرشيد الفارقي . ولي مناصب عالية دينية ودنيوية ، وأذن له بالإفتاء .

ومنهم الشيخ علاء الدين القلاني أخو جمال الدين السابق الذكر^(٢) [٧٣٦ - ... هـ] كان قاضي المسكر ، ووكيل بيت المال ، ومدرساً في عدة مدارس ؛ حل محل أخيه في تدريس الظاهرية .

وفي هذه الفترة من القرن الثامن تردد في أجواء الظاهرية صوت جلال الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ... بن أحمد بن دلف المعجلي القزويني الشافعي خطيب دمشق^(٣) . [٦٦٦ - ٧٣٩ هـ] .

كانت له مشاركة في شتى العلوم والمعارف فعرف فقيهاً أصولياً محدثاً ، كما عرف أديباً ، عالماً بالعربية والمعاني والبيان ، ينظم الشعر ، وكان كذلك معدوداً بين القضاة والخطباء المفوهين .

(١) الدارس ١/١٩٧ .

(٢) الدارس ١/١٩٨ .

(٣) مجمع المؤلفين لسر رضا كحالة ١٠/١٤٦ ، والفترات لابن الهادي ١/١٢٣ .

سكن بلاد الروم فترة ثم قدم إلى دمشق حيث ناب في القضاء ، وولي الخطابة بها ، انتقل إلى الديار المصرية ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها في ٢٧ جمادى الأولى . ودفن بمقابر الصوفية .

له تصانيف عديدة منها : تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي ، والايضاح في المعاني والبيان ، والشذر المرجاني من شعر الأرجاني .

وتردّد بعده صوت العلامة بقية السلف مفتي الشام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي محي الدين ، المعروف بابن قاضي الزبداني^(١) [٦٨٨-٥٧٧٦ هـ] كان أديباً ، متواضعاً ، يفيث الملّهوف ، ويقصده الناس لحل مشكلاتهم . سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين بن قاضي شبة ، وكمال الدين بن الزملكاني ، وأذن له بالفتوى ، ولم يضبط عليه فتوى أخطأ فيها ، لذا كان معظماً تخضع له الشيوخ ، وتسمع له القضاة .

وعن تولى تدريسها أيضاً من الشافعية : أبو العباس شهاب الدين الأذري الدمشقي ثم الحلبي الشافعي^(٢) [٧٠٨ - ٧٨٣ هـ] . سمع على القاسم ابن عساكر ، وأحمد ابن الشحنة ، والصدر عبد المؤمن الحارثي ، وقرأ على الحفاظين الذهبي والمزني ، وكانا يمجيان بقراءته .

أجاز له من دمشق : أبو النصر الشيرازي ، وإسحق الآمدي ، وأبو عبد الله الزرّاد ، ومن مصر : أبو الحسن بن قريش ، وأبو الحسن الواني ، وأبو الفتح الدبوسي ، وصالح الأشنهي ، ويوسف الختي ، وعمر العتي ، وعبد الله الصواف وسوام . وقد خرج له عنهم الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي جزءاً حدث به .

(١) المارس ٣١١/١ .

(٢) المارس ٥٦/١ .

تفقه الأذرعى وبرع حتى صار شيخ البلاد الشامية ، وأحفظ الناس لفروع المذهب ، من تصانيفه (قوت المحتاج) و (غنية المحتاج) وكلاهما في شرح (المنهاج) . وله (التوسط في الفتح بين الروضة والشرح) يعني (شرح الرافعي الكبير) في عشرين مجلدة ، وهو كتاب جليل ، وله مختصر « الحاوي » المأوردي .

ومنهم كذبت الفتي البارع نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان الياسوفي الدمشقي المعروف بابن الجايي^(١) [٧٣٦ - ٧٨٧ هـ] .

سمع الحديث ، وتفهمه ، وأخذ الفقه عن الغزي ، والحسباني ، وابن حجب وغيرهم . كما أخذ الأصول عن الشيخ بهاء الدين الأحميمي ، ثم درس وأفتى ، وولي تدريس الظاهرية .

وكذلك القاضي تاج الدين أحمد بن فتح الدين ابن الشهيد^(٢) [٧٥٠ - ٨٠٠ هـ] كان عالماً خبيراً بصناعة الكتابة عيياً إلى الناس . تولى تدريس الظاهرية بعد أن نزل له عنها قاضي القضاة شمس الدين الاخنائي وبقي يدرس فيها حتى مات سنة ٨٠٠ هـ .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في القرن الثامن هذا عدد من العلماء الفضلاء نذكر منهم :

شرف الدين عمر بن محمد المعروف بالناسخ^(٣) [٦١٨ - ٧٠٢ هـ] درس فيها بعد تقي الدين الواسطي . سمع من ابن الزبيدي وابن اللتي ونفر الدين

(١) الدارس ٢٤١/١ .

(٢) الدارس ٣٢٧/١ .

(٣) الدرر الكامنة ١٨٩/٣ .

ابن الشيرجي ومن غيرهم . وكان حسن الخط ينسخ الختمات والربعات ويذهبها ،
فعرف بالناسخ ، وكان ديناً كريماً حسن الشكل من بقايا الفقراء الحريرية ،
وله نصيب من ذكر ومشیخة . استلم التدريس في دار الحديث الظاهرية
سنة ٦٩٢ هـ وبقي فيه حتى نهاية حياته .

ومنهم شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد الفزاري ^(١) [٦٣٢ - ٧٠٢ هـ]
وقد باشر مشیخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس الثامن من ربيع الأول
سنة ٧٠٢ هـ عوضاً عن شرف الدين الناسخ . وكان برّاً خلوقاً . وقد حضر
دروسه عدد من الأعيان ، ولكن لم يطل عهده فيها ، إذ توفي في العام
الذي ولي فيه التدريس عن سبعين عاماً .

وأبرز من ولي مشیخة دار الحديث في القرن الثامن .

عفيف الدين اسحق بن يحيى الآمدي ثم الدمشقي الحنفي ^(٢) [٦٤٠ - ٧٢٥ هـ] :
سمع الحديث على كثيرين منهم مجد الدين بن تيمية ؛ وكان الآمدي شيخاً فاضلاً ،
حسن السمعة ، سهل الإسماع ، يحب الرواية . قال الذهبي ^(٣) عنه : « وروى
عن ابن خليل وعن عيسى الخياط والضياء صقر وغيرهم . وطلب الحديث ،
وحصل أصولاً وبروتات . وخرج له ابن المهندس مسجلاً قرأته عليه ، وكان
لا بأس به » .

ومن شيوخ دار الحديث أيضاً : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
الذهبي ^(٤) [٦٧٣ - ٧٤٨ هـ] : كان حافظاً مؤرخاً ، وعلامة محققاً ،

(١) الدارس ٣٥٧/١ .

(٢) الدارس ٣٥٧/١ .

(٣) البر سنة ٧٢٥ هـ .

(٤) الفترات ١٥٣/٦ والأعلام ٢٢٢/٦ .

ورحالة باحثاً ، له تصانيف كثيرة تقارب المئة منها : « دول الإسلام » و « المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب » و « الباب » و « تاريخ الإسلام » و « تذكرة الحفاظ » و « طبقات القراء » و « المستدرك على مستدرك الحاكم » وسوى ذلك .

ومن شيوخها أخيراً : قوام الدين لطف الله الحنفي^(١) [٦٨٥ - ٧٥٨ هـ] : كان رأساً في مذهب أبي حنيفة ، بارعاً في اللغة ، عابداً زاهداً . ولي تدريس الحديث بعد وفاة الذهبي ، وأخذ عنه الشيخ محب الدين ابن الوحيدة^(٢) .

ويطل القرن التاسع للهجرة وتشهد الظاهرية العديد من أعلامه . أبرزهم الشيخ جمال الدين الطياني^(٣) [٧٧١ - ٨١٥ هـ] : أبو محمد عبد الله بن طيمان المصري ثم الدمشقي . نشأ يتيماً فقيراً وصلّى بالقرآن وهو ابن سبع سنين . اشتغل على مذهب الإمام أحمد ، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وتفقه . لزم الشيخ برهان الدين الاسكندراني ، ثم أخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني . وعن الشيخ عز الدين بن جماعة ، أخذ الأصول والنحو والعلوم العقلية . وأقام بالشام يشتغل ، ويفتي ، ويصنف ، ويدرس في عدة مدارس منها الظاهرية . ولم يتكلم إلا معرباً ، روى ذلك عنه الشهاب ابن حجي . مات قتيلاً بمنزله في التعديل في الفتنة التي وقعت بين الناصر و غرماه ، في صفر سنة خمس عشرة وثمانمئة .

ومن مدرسي الظاهرية في هذه الحقبة وأواخر القرن السابق : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين الأخنائي الشافعي^(٤) [٧٥٧ - ٨١٦ هـ] ولي

(١) الفترات ١٦٥/٦ .

(٢) طقات النعاة للسيوطي .

(٣) الدارس ٢٥٦/١ .

(٤) الدارس ١١٤/١ - ١١٥ .

القضاء في عدة مناطق ثم درس في الظاهرية ، ونزل له عن المنصب علاء الدين الكركي كاتب السر الذي أخذه عن ابن الشهيد . كما ولي وكالة بيت المال ونظر الجيش ، ولكنه ما وفق في شيء كالتدريس والشيخة .

ودرس فيها القاضي العالم والأديب فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن محمد المعروف بابن شهيد كاتب السر بدمشق [٧٢٨ - ٨٢٣] (١) اشتغل في العلوم وتفنن وفاق أقرانه في النظم والنثر . ولي تدريس الظاهرية عوضاً عن ابن قاضي الزبداني الذي نزل له عنها .

وولي التدريس فيها أيضاً شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي الشافعي (٢) [٧٦٣ - ٨٣١ هـ] : تفقه في شبابه ، وسمع من إبراهيم بن اسحق الأمدي وعبد الرحمن بن القاري وغيرها ، كان خيراً ، متواضعاً ، مصنفاً ، ناظماً ، له ألفية في أصول الفقه ، شرحها في نحو مجلدين ، ويقول عن هذا المؤلف إنه جملة ما حصل طول عمره . كما شرح لامية ابن مالك شرحاً جيداً ، واختصر السيرة . جاور بمكة ثم انتقل الى القاهرة ومنها الى القدس حيث توفي سنة ٨٣١ هـ .

أما دار الحديث فقد عرف أن شمس الدين البهنسي ٨٣١ هـ (٣) تولّاها عصرئذ وكان ساكناً لينا ، وعرف أنه كان يقرأ البخاري بالجامع المقابل للشبلية وغيره .

ودمر القرن العاشر واستمع طلاب الظاهرية إلى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ابن شرف الدين يونس الميثاوي الشافعي (٤) [٩٢١ - ٩٥٨] ،

(١) الدارس ٣٥٣/١ .

(٢) الشذرات ١٥٦/٧ .

(٣) ذيل ابن شبة سنة ٨٣١ هـ .

(٤) الشذرات ٣٢١/٨ .

قرأ على والده ، وعلى الشيخ تقي الدين البلاطني ، وأبي اللطف المقدسي ، وأجازاه كما أجازوه مفتي بعلبك البهاء بن القصي ، والجمال الديروطي ، وسمع على التاج العرضي .

نشأ من صغره في طاعة الله متأدياً متواضعاً سليم الفطرة منور الطلعة ، درّس في الفقه والنحو والتفسير والحديث .

وسمع طلبة العلم في دمشق من أهل القرن الحادي عشر صوت الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري الدمشقي الفقيه الحنفي [٩٨٤ - ١٠٥٦ هـ]^(١) يدرس في الظاهرية ، وكان عالماً بالفقه والعربية متبحراً فيها ، وكان غاية في جودة التعليم وحسن التفهيم . وله اطلاع زائد على فروع المذهب .

كما عرفت الظاهرية الشيخ زكريا بن حسين بن مسيح البوسنوي الدمشقي^(٢) [٩٢٥ - ١٠٧٣ هـ] كان يحسن اللغات الفارسية والتركية والبوسنوية والعربية وكان يكتب الخط المليح . وله فضيلة وجسن ومنادمة . مات سنة ١٠٧٣ هـ . ودفن في مقبرة الفراديس .

أما القرن الثاني عشر فقد شهد فيه إيوان الأحناف في المدرسة الظاهرية الشيخ عبد الرحمن بن أحمد القاري^(٣) الحنفي الدمشقي ، أحد الصدور من أعيان دمشق ، تولى أمر تدريس الظاهرية حتى إنه درس بها حين أمر والي دمشق مراد قزك بأن يلزم المدرسون في كل مكان الدروس والإقراء ، وقبله

(١) خلاصة الأثر ١٦٢/٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سلك الدرر ٢٨١/٢ .

كان واليا دمشق نصوح باشا ثم حسين باشا قد أمرا بذلك . فصار مدرس كل مدرسة يباشر الإقراء ويوكل عنه من يقوم بالتدريس . واستقام ذلك قليلاً ثم عاد الأمر إلى سابق عهده . وكان الشيخ عبد الرحمن حين يقرأ ، يسرد العبارة فإذا صدر منه خلل في بعض المسائل أو غلط لا يقدر أحد على رده ؛ وكلهم من الأفاضل ، أجلاء صامتون ناصتون . وكانوا أحياناً يصصحون له أماليه قبل أن يقرأها ثم يعلوها هو سرداً .

وشهد إيوان الشافعية فيها علي بن الحسين الشافعي المصري (١) نزيل دمشق . كان عالماً فاضلاً ملازماً للتقوى والصلاح حافظاً لكتاب الله . فطن أولاً بالمدرسة الاخنائية الكائنة قرب الجامع الأموي جانب السمساطية ، ثم تحول إلى المدرسة الجقمقية ، ثم إلى الظاهرية ، حيث أقرأ الأولاد القرآن الكريم ، كما أقرأ النحو وغيره .

أما كتب التراجم للقرن الثالث عشر (٢) فلم تضع يدنا في يد شيخ واحد درس أو سمع في الظاهرية لنفهم منه ما آلت إليه هذه المدرسة ، مما يدل على تضائل شأنها بعد عز وبُعْد صيت ، واقتصار شيوخها على تعليم الصبية وكأنها آلت إلى كتاب ، ولم يكن لها ذلك المركز الممتاز الذي تمت به قبل اندثار أوقافها على أيدي مختلسيها وذرائعهم على مر الزمان .

(١) سلك الدرر ٢/٢١٣ .

(٢) كحلية البصر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار تحقيق خبيد العالم الشيخ محمد عجة .

والحق أن المدرسة الظاهرية كانت في هذا القرن تحتضر كمدرسة المذهبين ودار حديث ، وأقامت الحكومة التركية فيها مدرسة ابتدائية رسمية تشرف عليها وزارة المعارف .

حتى إذا ما أشرف هذا القرن على نهايته ، وكادت ظاهريتنا تلفظ أنفاسها ، أعادها الله إلى الحياة بروح جديدة وثوب جديد ، على يد طائفة من العلماء الأجلاء ، أبرزهم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، ومنذئذ عرفت بدار الكتب الظاهرية . ونابت مسيرها عبر الزمن لتؤدي الرسالة التي أخذت على نفسها أداؤها على خير وجه .

أسماء المحمدي

(يتبع)



التعريف والنقد

التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ٢ -

الكتاب الأول

الرسول القائد

الطبعة الثالثة ، مطابع دار القلم — القاهرة ١٩٦٤ م

هذا كتاب جليل ، فيه تاريخ وفيه علم وفيه متعة ، يجدر بكل عربي ومسلم أن يقرأه ، كما يجدر بكل مؤرخ وعسكري أن يضمه إلى مكتبته ، حلل مؤلفه بعمق ، ودرس باخلاص ، الجانب العسكري من سيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، مثبتاً فيه مواهب الرسول العسكرية والإدارية ، كاشفاً عن عبقريته الفذة التي حققت النصر لجيوش المسلمين بتأييد من الله عز وجل .

أخرجت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٨ م المطبعة الإسلامية في بغداد في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط ، وتولى مؤلفه تقديمه إلى القراء قائلًا :

« لقد تحدث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول ﷺ بأسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها

ووقائعها ودوافعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ وما هي اللروس التي نستفيدها من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الحيوية الملحة . إن وصف معارك القواد المسلمين ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ بهذا الأسلوب الذي لا يقنع باحثاً ولا يشفي غلة دارس ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعمال القواد غير المسلمين ... ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين ... بينما يدرس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين ! .

ومحيط اللواء خطاب اللثام عما كشفه في سيرة الرسول الأعظم قائلاً : « لقد قرأت أكثر كتب السيرة في تدبر وإمعان ، وحاولت أن أستشف منها كل فواحي العظمة التي تتسم بها شخصية الرسول ﷺ ، ولكنني وجدت أن عبقرية العسكرية التي لا تتناول إليها أية عبقرية أخرى لأي قائد في القديم أو الحديث ، تكاد تكون متوارية محجوبة لم يتح لها من يكشف أسرارها ويجلي عظمها بأسلوب حديث يمنح إلى الكشف والتحليل وإبراز المواهب النادرة ، وخاصة من عسكري يستطيع أن يلم بنواحي العظمة العسكرية التي تكن فيها ويظهرها جليلة للبيان . » .

وأخذ اللواء خطاب يعمل جاهداً لتأليف كتاب ، متوخياً فيه تنسيق المعلومات التاريخية وكل ما يتصل بالشؤون الحربية الواردة في كتب السيرة ، وعرضها من جديد بأسلوب بسيط ، فكان كتابه القيم « الرسول القائد » : وفي هذا الكتاب سجل المؤلف جميع المارك التي خاضها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ ، عارضاً على قرائه الموقف العام لكل من المسلمين وخصومهم قبل كل معركة ، مبيناً عدد قوات كل منها وأهدافها الحربية ، متحدثاً عن سير الحوادث قبل القتال وأثناءه وبعده ، ومن ثم عن نتائج كل معركة

والدروس التي يمكن أن تستخلص منها من الناحية العسكرية ، ولقد أغفل المؤلف بعض الظواهر الخارقة والمعجزات النبوية التي لا يمكن أن تحدث في الحروب العادية بين فريقين متطاحنين من البشر ، وهي المعجزات والخوارق التي أيد الله بها نبيه الكريم ، أغفلها المؤلف لا لأنه لا يؤمن بها ، فهو رجل مسلم ، وتلك المعجزات والخوارق - كما يقول - « أمر يؤمن به كل مسلم ، وقد أثبتته القرآن بما لا يدع فيه مجالاً لشك أوربية ، ولكن لأن « الخوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذي غلب به الرسول ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته كقائد ، وكيف يحتذي المسلمون سيرته ويتبعون في الحروب نهجه وسنته ، إذا لم يكن لفنه الحربي الأصيل ومواهبه العسكرية النادرة ، الأثر العظيم في ظفريه ونصره . إن الخوارق كانت إيذاناً للنبي بأن الله معه لا يتخلى عنه ، حتى يشجذ همته ويشير عزيمته وينبئه بكل ما فيه من حواس اليقظة إلى أعدائه المحاربيين . »

ويتهيء اللواء خطاب في مقدمته إلى القول : « إن المسلم الصحيح هو الذي يقدر الرسول ﷺ حق قدره ، فيعترف بأن كفاءته ﷺ قائداً ممتازاً وكفاءة أصحابه جنوداً ممتازين ، هي التي أمنت لهم النصر . »

وخرج كتاب « الرسول القائد » من المطبعة ، قريء في العراق وبعض البلاد العربية ، غير أن ظروف طبعه عام ١٩٥٨ م لم تسمح للكتاب بأن ينتشر في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، مما دفع مؤلفه لإعادة طبعه ثانية فكتب مقدمة لهذه الطبعة قال فيها : « الله يعلم أنني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم . وأن أقضي واجباً كنت ولا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد بإظهار ناحية الجهاد في الإسلام مبسطة في جهاد النبي العربي العظيم ، لهذا واقتت على إعادة طبعه ليتيسر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد المسلمين . »

واشتد الطلب على هذا الكتاب ، بعد أن نفذت طبعته الثانية أيضاً ، فقامت « دار العلم » بإعادة طبعه طبعة جديدة متقنة على ورق صقيل ، بعد أن أعاد المؤلف النظر في الطبعة السابقة فتقحّجها وزاد عليها بعض الشيء ، فأضحى الكتاب في نحو من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مزين بعدد من الخرائط والمخططات والرسوم التي توضح موضوعات الكتاب المتضمنة التاريخ الحربي للمسلمين منذ ظهور الإسلام حتى انقضاء عهد الرسول الكريم ﷺ .



ثم المؤلف كتابه إلى خمسة عشر فصلاً ، اختار لها من آي القرآن الكريم أو من وقائع التاريخ العناوين التالية :

١ - الحرب العادلة : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن معنى القتال في الإسلام ، وأنه ما شرع فيه إلا لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد السلام ، كما تكلم عن أهداف هذا القتال وأنواعه ، وكيفية تنظيمه ، وشروط التجنيد من أجله ، وما أشار إليه المؤلف ، أن التجنيد في الإسلام كان يشمل النساء البالغات ، إلى أن قامت الدولة العباسية ، فأضاف الفقهاء « المذكورة » إلى شروط التجنيد ، ويطلق المؤلف على هذا الشرط قائلاً إنه : « انحراف لا يقوّ الإجماع » ، ولما ذكر « الإسلام » شرطاً آخر من تلك الشروط ، علّق هذا الشرط قائلاً : « ليدافع - المجنّد - عن بلاد المسلمين عن عقيدة وإخلاص » ، ونرى أنه كان من المستحسن أن يشير المؤلف في تعليقه هذا إلى إمكان الاستثناء من هذا الشرط في ظروف معينة ، إذا ما رأى الإمام مصلحة للمسلمين تدعو إلى هذا الاستثناء ، وأتم هذه الظروف حالة

تطوع الذميين التي أشار المؤلف إليها في الفصل نفسه من الكتاب قائلاً :
« إن الإسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش ، والذي الذي
يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية » (١) .

ومما لفت نظرنا في هذا الفصل تعريف الحرب العادلة بأنها : « هي
التي توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ،
ويشترط فيها : أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية ... » ولو أبدل المؤلف
- كما نرى - بكلمة « شعب » الأولى كلمة « دولة » ، لكان التعريف أرحم
بالشعوب والأمم فالظلم ليس من شيمها بمقدار ما هو من شيم « الدول »
التي تضمنها ، أعني ملوكها وحكامها من الطغاة والمستبدين .

٢ - قبل نشوب القتال : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن الموقف
العسكري للمسلمين مذ قامت الدعوة إلى الإسلام سرّاً ، إلى أن تمّ تنظيم
صفوف المسلمين بعد هجرتهم إلى يثرب ، وأعطى القارىء فكرة واضحة
عن الموقف العسكري للمسلمين من جهة ولكل من المشركين والفرس والروم
من جهة ثانية ، وأجاب المؤلف ، في توضيحه الموقف العسكري للطرفين ،
كل من يتساءل عن هذه السرعة الفائقة التي تم بها الفتح الإسلامي وإقامة
دولة الإسلام العظيمة ، فقد كانت غلبة المسلمين - كما يرى المؤلف - أمراً
مبجته ذلك الموقف .

٣ - الدفاع عن العقيدة : خصّ المؤلف هذا الفصل بالكلام عن
دوريات القتال التي كان الرسول ﷺ يبعث بها من المدينة للنواحي بناية
إشمار المشركين واليهود بقوة المسلمين ، كي يتاح لهم القيام بنشر دعوتهم

والدفاع عن عقيدتهم باطمئنان ، وألحق المؤلف بهذا الفصل جدولاً مفيداً ذكر فيه بجانب اسم كل غزوة أو سرية بعثها الرسول الكريم اسم قائدها وقائد المشركين ، وتاريخ وقوعها ، والنتائج العسكرية التي أسفرت عنها .

٤ - الصراع الحام بين عقيدتين في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن غزوة بدر الكبرى ، المعركة الحاسمة الأولى في تاريخ الإسلام ، وعن كل ما يتصل بها . فتحدث عن قوات الطرفين قبل المعركة وبعدها ، وعن غاية كل طرف منها ، وعن سير القتال وخسائرها ، وعن أسباب انتصار المسلمين المتمثلة في قيادة موحدة وتبئة جديدة وعقيدة راسخة ومعنويات عالية ، وختم المؤلف الفصل ببيان الدروس المستفادة من هذه المعركة ، وبقائمة بأسماء شهداء بدر ومن شهدها من المسلمين على اختلاف قبائلهم .

٥ - القاعدة الأمنية : ويقصد المؤلف بها مدينة الرسول الكريم « يثرب » ، وقد بين في هذا الفصل كيف قام الرسول ﷺ بتطهير المدينة من اليهود بمحاصر بني قينقاع ، بعد أن أظهروا عداوتهم للإسلام ، ثم بين كيف فرض الحصار الاقتصادي على قريش بعدد من الغزوات ، وفي نهاية الفصل بين الدروس المستفادة من حركات التطهير هذه التي كانت « حروباً باردة » كما تسمى في المصطلح العسكري الحديث ، وبها تم للمسلمين جعل المدينة « قاعدة أمنية » للإسلام ، قم لهم بعدئذ الفوز والنصر المبين .

وكم سيصبح عمل المؤلف جليلاً بالغ القيمة لو استطاع - من أجل طبعة قادمة - القيام بزيارة الأماكن التي جرت فيها معارك المسلمين الهامة ، ثم وصفها لنا بدقة القائد الخبير بأرض المعركة ، على أنه يجدر به - على الأقل - القيام بتحقيق مواضع وأسماء الأماكن التي وردت في أبحاثه دون الاكتفاء في تحديد مواقعها بما ورد في معجم البلدان أو في كتاب الطبقات

لابن سعد ، أو في غيرها من المعاجم غير الموثوقة في المعلومات الجغرافية ، خاصة في مثل هذا العصر الذي تغيّرت فيه معالم كثير من البلدان والأماكن أو بدلت أسمائها ، أو اختلفت تسميتها السياسية ، ولنضرب أمثلة على بعض أسماء الأماكن الواردة في ثنايا الكتاب تقتطفاً من هذا الفصل ومن غيره من الفصول :

أ — في الصفحة ١٤٣ ورد ذكر بني قَيْنُقَاع ، الذين تركوا المدينة وساروا نحو بلاد الشام حتى بلغوا « أذريعات » ، وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين أجنادين والشام » ، وفي الصفحة ٢٣٦ في معرض الكلام على غزوة بني قُرَيْظَةَ ورد أن اليهود عرضوا على النبي ﷺ الخروج إلى « أذريعات » ، وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان : انظر معجم البلدان » .

إن البلدتين المذكورتين في العبارتين السابقتين مقصود بهما مدينة واحدة والصياغة الثانية أصح ، على ما ورد في أمهات العربية (١) ، وأذريعات ، بكسر الراء وقد تفتح ، مدينة سورية اليوم ، وهي مركز إحدى محافظات الجمهورية العربية السورية المجاورة للملكة الأردنية ، واسمها المشهور الآن هو « درعا » بتسكين الراء .

ب — في الصفحة ٢٤٣ ورد ذكر سرّية زيد بن حارثة إلى « حِمْصَى » ، وعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « حِمْصَى : أرض يادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وبين وادي القرى والمدينة ست ليال : انظر التفاصيل

(١) في تاج العروس : أذريعات بلد بالشام قرب البقاء من أرض عمان تنب إليه الحر .. وقال يعقوب في البداء : يفرعات : م (٩)

معجم البلدان ، . وأرض حسمى واضحة على خريطة المملكة العربية السعودية اليوم ، وهي واقعة غربي تبوك بينها وبين مدين على ساحل البحر الأحمر ، وقد أثبت اسمها على الخريطة بصيغة « حسم » (١) .

هـ — في الصفحة ٢٩٥ عند الكلام على غزوة « مؤتة » قال المؤلف في الهامش : « مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان . وهي بأدى — أدنى — البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . انظر طبقات ابن سعد . ومؤتة : موضع في الجنوب الشرقي من البحر الميت ، وهو اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية .

ز — في الصفحة ٣٨٧ ورد ذكر غزوة تبوك فعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . أنظر التفاصيل في معجم البلدان ، وكان من حق هذا الموضع الهام أن يشار إلى أن مدينة هامة تقوم فيه اليوم ، وهي من البلدان المروفة في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية ، واقعة على الخط الحديدي الذي كان يصل دمشق بالمدينة .

ح — في الصفحة ٣٩٢ ورد ذكر البلقاء فنقل المؤلف عن معجم البلدان تعريفها قائلاً : « كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان ، والبلقاء اليوم أم محافظات المملكة الأردنية الهاشمية ، وأم مدنها عاصمة المملكة « عمان » . تليها السلط ثم مادبا .

(١) هذه الخريطة من أحدث وأدق للمعومات للمملكة العربية السعودية وقد طبعها حديثاً « شركة الزيت العربية السعودية » وفي تاج العروس : حسمى بالكسر مفصورة : أرض بالبادية بها جبال شواحق ملى الجوانب لا يكاد الغمام يفارقها ... وإليها كانت سرية زيد بن حارثة ..

ط — في الصفحة ٣٩٣ ورد ذكر مصالحة المسلمين لصاحب «أيلة» ونقل المؤلف في الهامش عن معجم البلدان تعريف هذه المدينة فقال : «أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام ، وكان من الواجب بيان أن هذه المدينة تقع في شمالي ما يسمى اليوم بخليج العقبة وهي ميناء في أرض فلسطين المحتلة جنوبي النقب ، وكثّاب العصر أصبحوا يرسمون اسمها تقليداً بصيغة «إيلات» .

ج — في الصفحة ٢٩٠ ورد ذكر يهود تيماء ، وعرف المؤلف هذه البلدة قائلاً : « تيماء : بلد في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى . انظر التفاصيل في معجم البلدان ، وبلدة تيماء معروفة اليوم في جنوبي الحفرة في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية ، وهي واقعة على الطريق الرئيسة بين المدينة وتبوك .

د — في الصفحة ٢٩١ عند الكلام على سريّة أبي بكر الصديق إلى بني كلاب في نجد ورد ذكر ناحية ضمرية ، فرفها المؤلف قائلاً : « ضرية : قرية في نجد غامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان ، القرية المذكورة من قرى نجد المعروفة حتى اليوم وهي واضحة في خريطة المملكة العربية السعودية وتقع في الجنوب الغربي للقسم شمالي الطريق الكبرى التي تصل الرياض بمكة .

و — في الصفحة ٢٩٦ عند الكلام على غزوة مؤتة ذكر وصول قوات المسلمين معان من أرض الشام ، وعرف المؤلف هذه البلدة قائلاً : « معان : مدينة في طرف يادية الشام تلقاء الحجاز من فواحي البلقاء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ، ومعان اليوم مدينة أردنية وهي مركز إحدى محافظات

المملكة الأردنية الهامة ، وتقع على الطريق الرئيسة الواصلة بين عمان وتبوك من جهة ، وبين عمان والمقبة من جهة ثانية .

٦ — النصر للعقوب : خص المؤلف هذا الفصل بنزوة أحد ، فتكلم فيه عن الموقف العام الذي كان عليه المسلمون والمشركون على السواء ، ثم تحدث عن سير القتال ونهاية المعركة مع بيان دقيق عن خسائر الطرفين ، وأسباب نكبة المسلمين ، والدروس المستفادة من هذه المعركة مع دراسة عميقة لتأثيراتها ، وهل كانت في حقيقتها انتصاراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، أم أنها كانت شيئاً آخر؟ وأعلن المؤلف رأيه صريحاً بقوله : أنا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (أحد) نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم القادحة في المعركة ، ثم ناقش هذا الرأي مناقشة عسكرية رائعة انتهت فيها إلى إثبات أن معركة أحد وإن كانت « نصراً تعبويّاً » للمشركين فإنها كانت « فشلاً سوقيّاً » لهم ، قائلاً : « ولا يُعَدُّ النصر التعبويّ شيئاً يذكر إلى جانب الفشل السوقي » .

٧ — إعادة النظام : في هذا الفصل تكلم المؤلف عن التطهير الجديد الذي اضطر المسلمون إليه بعد معركة أحد ، لكي يستعيدوا سمعتهم الممتازة لدى مختلف القبائل العربية ، وذلك بعد أن تكشفت لهم عيوب وعقبات ومشاكل داخلية وخارجية بسبب وجود مناققين بينهم وقيام يهود بالقرب منهم ، وبسبب ما قامت به قريش من تأليب العرب عليهم ، وقد بين المؤلف النزوات التي قام بها المسلمون في سبيل إعادة النظام إلى صفوفهم ، مع تمسّد الدروس المستفادة من تلك النزوات ، وفي أولها ما أسماه « الابداع » المتمثل بسرعة الخاطر في إعطاء القرار الحازم الصحيح في المواقف الحرجة ، وذلك من أجل سبق العدو في العمل وإرغامه على تبديل الخطة التي رسمها لنفسه ، وهو الأمر

الذي قام به الرسول ﷺ في هذه الفترة التي خصَّ المؤلف هذا الفصل بها ، مما يدل مزية من أعظم مزايا القائد الكفؤ .

٨ - هازم الأحزاب : خصَّ المؤلف هذا الفصل بـ « غزوة الخندق » وسير القتال فيها وأسباب فشل الأحزاب ، والدروس العسكرية المستفادة من هذه الغزوة ، وكيف انتقل المسلمون ، في اليوم الذي انتهت فيه ، من دور الدفاع إلى دور الهجوم ، مصداقاً لما قاله الرسول ﷺ يومئذ لأصحابه : « الآن نفزوم ولا يفزوننا » .

٩ - الفصاح العادل : وهذا فصل خصَّه المؤلف بحاسبة الغادرين من يهود ومشركين ، فتكلم فيه عن « غزوة بني قريظة » وغيرها من الغزوات ، والسرايا التي أمر بها الرسول ﷺ من أجل توطيد الأمن ونشديد الحصار الاقتصادي على المشركين ، ثم بين المؤلف الدروس المستفادة من كل تلك الغزوات والسرايا ومن أهمها ما يسمى بالمصطلح العسكري « المباينة » وهي من « أهم مبادئ الحرب قديماً وحديثاً » ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر .

١٠ - الفتح القوي : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن « غزوة الحديبية » وعن الموقف الحربي العام بين المسلمين والمشركين ، وعن المفاوضات التي جرت بين هؤلاء وبين النبي ﷺ وانتهت بهدنة انبثق عنها « عهد الحديبية » ثم يثن المؤلف على الدروس المستفادة من تلك الهدنة ، ومن أهمها ما أسماه في المصطلح العسكري « الضبط » وعنى به انجاز العمل المطلوب على أحسن وجه مع حبس الانفعالات الناجمة عن أي ظرف أو حالة من الحالات الصعبة التي تواجهها القوات المحاربة ، وأوضح المؤلف بعدئذ المزايا القيادية التي تحملها بها الرسول ﷺ ، والتي مهدت لفتح العظيم ومن ثم لانتشار الإسلام بالسرعة العظيمة التي انتشر بها .

١١ — **فترة الهدنة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن الثمرات التي جناها المسلمون من « عهد الحُدَيْبِيَّة » ، وعن « غزوة خيبر » التي أثمرت نهاية يهود من الجزيرة العربية ، كما تكلم عن سرايا تأديب الأعراب الذين كانوا يعيشون بالأمن فساداً ، يغيرون على المدن وينفدرون بالناس ؛ وأخيراً تكلم المؤلف عن الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون في هذه الفترة والدروس التي يمكن استخلاصها من كل واحدة منها ، ومن أم ما تم في الفترة المذكورة قيام النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه **كتب إلى ملوك الدول المجاورة** يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام ، ومنها أيضاً شروق شمس الإسلام على جميع أرجاء الجزيرة العربية .

١٢ — **مودعة المستضعفين** : في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن أولئك المسلمين الذين زلت بحقهم الآية الكريمة : « وزيدُ أن نغنَّ على الذين استضعِفُوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، كيف منَّ الله عليهم بفتح مكة ، وكيف دخلوها أعزة بالإسلام بعد أن أخرجهم قومهم منها أذلة ، ثم يتن لنا الدروس المستفادة من معركة الفتح التي وصفها بقوله أنها كانت « معركة معنويات وتخطيط سليم ، أكثر منها « معركة ميدان وقتال » ، معركة انتهت بانتصار عقيدة التوحيد وتبسيط الأصنام التي كانت تعبد من دون الله .

١٣ — **استثمار الفوز** : وخصَّ المؤلف هذا الفصل بالحديث عن « غزوة حنين » وبحصار الطائف وسرايا الدعوة ، والدروس المستفادة من كل ذلك .

١٤ — **مولد امبراطورية** : خصَّ المؤلف الفصل الرابع عشر من كتابه بالكلام على « غزوة تبوك » ، الغزوة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش

الروم وأذنت بقيام « دولة الاسلام » وقد عالج المؤلف الأسباب المباشرة للغزوة وأسبابها غير المباشرة ، مينا أهمية الإستعدادات العسكرية والمصالحات التي قام بها الرسول ﷺ في سبيلها ، ثم تكلم عن « سرايا الدعوة » التي بثت بها إلى اليمن والشام ، وعن الدروس المستفادة من كل ذلك ، وفي طليعتها تطبيق مبدأ من أهم مبادئ الحرب الحديثة والمسمى « الحرب الجماعية » ، ذلك المبدأ الذي أوضحه قائد ألماني كبير من المعاصرين بقوله عن الحروب الحديثة : « إنها تقوم على حرب الأمم ضد الأمم ، ولهذا يجب أن تضع الأمة كل قواها الفعلية والأدوية والمادية في خدمة الحرب ، وأن تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية » .

١٥ — **التطبيق العملي :** واختتم اللواء خطاب كتابه « القائد الرسول » يبحث مقارن عن المبادئ المثالية التي جاء بها القرآن الكريم والخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم ما يسمى بمصرنا الحديث بـ « الحرب العادلة » .

لقد رده المؤلف جميع الانتصارات العظيمة التي حققها جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ إلى عوامل عسكرية محضة ، وهي إلى جانب تأييد الله عز وجل لمن اتبع دينه القويم ، تلخص في الأسباب الأربعة التالية :

أ — قيادة عبقرية .

ب — جنود ممتازون .

ج — حرب عادلة .

د — تردي الموقف العسكري لدى أعداء الإسلام .

وقد شرح المؤلف الكريم كل سبب من هذه الأسباب شرحاً وافياً ، مقارناً كل العوامل التي رافقت معارك الرسول ﷺ بأحداث الأساليب العسكرية ، مينا معنى كل مصطلح عسكري حديث استعمله في بحثه كالمباغتة ، والاقتصاد

بالمجهود ، وتوفير الأمن ، والمرونة ، وسبق النظر ، والتعرض ، وإدامة المعنويات ، وحسن الإدارة وغيرها ، وكل ذلك بلغة مبسطة سهلة جديرة بالإعجاب والتقدير .

وهكذا انتهى اللواء خطاب إلى القول بأن الأرض إنما يرثها عباد الله الصالحون .



يوم بدأت في قراءة كتاب « الرسول القائد » وقفت طويلاً عند قول المؤلف في مقدمته للطبعة الثانية : « .. وسيجد القراء الكرام ، أن الحروب في الاسلام حروب دفاعية بكل ما في الكلمة من معنى ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد .. » ، وتَدَاعَتْ عليَّ الأفكار أمام هذه الجملة التي اعتدنا قراءة ما تضمنته من معنى ، في كثير من الكتب والمقالات ، أو سماع مثلها في كثير من الخطب والمحاضرات ، وهي ترد عادة في معرض الدفاع عن سمعة الاسلام ونقي ما يزعمه أعداؤه من أنه دين قام على الإكراه وإجبار الناس على الدخول فيه ، أو ترد في معرض الرد على من يزعم بأن دولة الاسلام ما قامت إلا على سواعد رجال بُدِءَتْ أُنْقِنُوا صناعة الموت فحملوا السيف واجتاحوا البلاد المجاورة لهم ، فلما خضعت لقوتهم بعض الشعوب والدول ، أقاموا دولتهم على أنقاض ما هدموه من ممالك .



إن فكرة « القتال في الاسلام حروب دفاعية لا هجوم فيها » فكرة تهزّ مشاعر السامعين وتطرب لها نفوسهم وتسكن إليها ، كلما سمعوها أو قرأوها رداً على هجمات أعداء الاسلام وخصومه ، إذ أن فيها تأكيداً على أن الدولة الاسلامية دولة إنسانية ، لا تحارب إلا حروباً عادلة دفاعاً عن نفسها ،

كما أن فيها إظهاراً لحقيقة الاسلام ، وأنه دين الرحمة والسلام ، لا إكراه فيه ولا اعتداء على أحد ، والله عز وجل يقول في محكم كتابه : « لا إكراه في الدين » ، كما يقول : « وقَاتِلُوا الَّذِينَ يَغَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

ولكن هل الآيتان المذكورتان وآيات كثيرة ورد فيها النهي عن الاعتداء أو الأمر بالجنوح للسلثم ما جنع أعداء الإسلام إليها ، توقف حكم آيات أخرى تأمر بـ « الجهاد » وتحث المسلمين عليه كقوله وهو أعز قائل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ؟ وهل حكم - الجهاد - الذي يدعو الإسلام إليه منسوخ بحكم الآيات التي تحرم الاعتداء ؟ أو هل أن الجهاد في الاسلام يتمثل في دفع المعتدين فقط ، ولا يشمل هجوماً على عدو لم يبدأ المسلمين بقتال أو ما في حكمه ؟

يكاد الاتفاق بين علماء المسلمين يكون تاماً على أن آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ليس فيها حكم منسوخ ، بل كلها محكم يجب العمل به ، خاصة وأن أكثر آيات الجهاد وردت في سورة التوبة وهي من آخر سور القرآن نزولاً ، كما أنه ليس في أسباب نزول أو في نصوص آيات الأمر بالامتناع عن الاعتداء أو الإكراه في الدين ، ما يستفاد منه أي تخصيص أو تقييد لعموم وإطلاق تلك الآيات ، أي لا يمكن الاستدلال من النصوص بأن آيات الجهاد في القرآن الكريم مخصصة أو مقيدة بآيات أخرى ، وبالتالي

لا يمكن القول اعتماداً على النصوص بأن القتال في الاسلام لا يكون إلا دفاعاً لردّ اعتداء بُدئ فيه ، أو بتعبير آخر لا يمكن القول اعتماداً على النصوص القرآنية بأن الحروب الهجومية محرمة في الاسلام .

حقاً إن الإسلام — كما هو صريح النصوص القرآنية — يدعو للسلام ويأمر بالجنوح للسلام كلما جنح الأعداء لها ، وحقاً إن الإسلام يحرم الاعتداء ويأمر بعدم مقاتلة غير المقاتلين ، كما أنه ينهى عن تجاوز حدود القتال بقتل غير المحاربين أطفالاً كانوا أو نساءً أو شيوخاً أو رجال دين ، ولكن هل الجهاد في سبيل الله الذي وصفه الرسول ﷺ : بأنه إحدى شعب الإيمان الثلاث ، ينحصر في دفع الاعتداء فقط ، ولا يباح فيه قتال من لم يبدأ القتال الفعلي ؟

، يرى فريق كبير من علماء المسلمين ، الذين عالجوا هذا الموضوع في هذا العصر ، أن الجهاد هو الدعوة إلى الاسلام والقتال في سبيل هذه الدعوة حتى تنزل الأمم والشعوب على حكم الاسلام ، فإذا نزلت ، فالناس لا يكرهون على الدخول في الاسلام ولكل امرئ عندئذ الدين الذي يرتضيه ، وبعبارة أخرى : الجهاد لا يكون لإكراه الناس على أن يكونوا مسلمين ، بل هو إعلاء لكلمة الله ودعم لدولة الاسلام ، لذلك فالجهاد كما يكون حرباً دفاعية يكون حرباً وقائية ، وقد يكون حرباً هجومية يبدأ المسلمون فيها بالقتال كما اضطروا لها أو وجدوا مصلحة للاسلام فيها .

كما يرى هؤلاء العلماء أنفسهم ، أن فكرة « الحروب الدفاعية » وصفاً للقتال الذي شرعه الاسلام ، ليست فكرة إسلامية أصيلة ، بل هي فكرة حديثة طارئة نجمت عن احتكاك المسلمين بالإفرنج ، يمد عصور طويلة من الانحطاط والضعف ، فلما بدأ المسلمون نهضتهم الحديثة في القرن

الماضي ، وأخذوا يقرأون ما كتبه الأوربيون عنهم ورأوا المستشرقين منهم خاصة يخوضون في أحكام الجهاد في الاسلام ، وبعضهم يني على الاسلام تلك الأحكام ، ويصمه بالوحشية مفترياً عليه بأنه قام على إكراه الناس حتى يكونوا مسلمين ، قام المتتورون من علماء المسلمين يدافعون عن دينهم بتنزيه الجهاد عن أن يكون غير حرب دفاعية لا هجوم فيها ولا اعتداء ، غافلين عما قد ينجم عن هذا الدفاع من إضفاف لمعنى الجهاد وحط من شأنه في دعم دولة الاسلام .

وقد وصل الشك بالمستشرقين ، عند بعض أولئك العلماء ، إلى اتهامهم بدس فكرة « الجهاد حرب دفاعية » على المسلمين ليقولوا بها ، حتى يفقدوا الجهاد سلطانه على المسلمين ويبطل سحره في جماهيرهم ، لأن بعض ملوك المسلمين بعد أن تجزأت دولة الإسلام إلى ممالك وإمارات لا تجمع بين شعوبها إلا رابطة الدين ، كانوا يحتمون بسلاح التهديد بـ « إعلان الجهاد » تجاه مطامع الدول الأوربية في بلادهم ، كما كان بعضهم يلجأ إلى إعلان هذا الجهاد كما اشتبك بحرب مع دولة من الدول الأجنبية . والشاكتون بكون المستشرقين أول من قال بالفكرة المذكورة ، لا يفرقون بين أن يكون أول من جرت على قلمه الفكرة ، إن كان من المستشرقين ، حسن النية كتبها وهو يعتقد بأنه ينصف الإسلام بها تجاه اقتراء علماء قومه ، أو أنه كان « سيء النية » دس الفكرة لتنتشر بين المسلمين فينفل سلاح ملوكهم ويفقدوا قوة كامنة في العالم الإسلامي كانت ترهب أصحاب المطامع الصليبية .

لقد كان من حق التاريخ أن يتفرغ متخصص للدراسة حقيقة منشأ الفكرة المشار إليها ، لتعرف وجه الصواب في الدافع إليها ، غير أن أكثر العلماء المسلمين المعاصرين الذين تعرضوا لدراسة موضوع الجهاد في الإسلام ،

أخذوا فكرة « القتال في الإسلام حروب دفاعية » ، وكأنها فكرة مسلم بها ، استناداً إلى الآيات القرآنية التي تحرم الاعتداء ، وتنهى عن قتال من لم يبدأ المسلمين بالقتال ، حتى إذا ما صدر الجزء الأول من أضخم كتاب في الفقه الإسلامي يبحث فيما يسمى « العلاقات الدولية » تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني^(١) ، قام الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة ، الذي كتب مقدمة قيمة لهذا الكتاب ، بترييد فكرة « الحرب الدفاعية » محاولاً تفسيرها بتوسيع مفهومها حتى يتلاءم مع مفهوم « الجهاد » فقال^(٢) : [.. ومن أجل ذلك شرع القتال في الإسلام ، فقد شرع على أنه أساس لدفع الاعتداء ، قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، ونرى في هذا النص الكريم دلالة على أمرين جليين : أحدهما — أن القتال في الإسلام إنما أيسح لرد الاعتداء بمثله ، فهو لا يقاتل إلا الذين يستدون على أهله ويقاتلونهم . الأمر الثاني — أن يلاحظ من يرد الاعتداء أنه أيسح له القدر الضروري للدفاع ، فلا يصح له أن يعتدي فلا يتجاوز حد الدفاع ...] ومن ثم يستقرى الأستاذ أبو زهرة حروب النبي ﷺ فيجدها كانت لأحد أمرين :

(١) كتاب « السير الكبير » للإمام الشيباني للتوفى سنة ١٨٩ هـ بفرح الإمام السرخسي التوفى سنة ٤٩٠ هـ . وقد بدأت جامعة القاهرة بطبعه بطلب من « الجمعية الشيبانية » التي ألفت في أوربة لإحياء ذكرى الإمام الشيباني باعتباره أول من خص القانون الدولي العام بكتاب مستقل ، وقد مهد لطبعة جامعة القاهرة وعاق عليها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وحقق فصوصه الأستاذ مصطفى زيد ، وقد صدر الجزء الأول من الكتاب سنة ١٩٥٨ م . هذا وإن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية قام أيضاً بنشر ثلاثة أجزاء من الكتاب نفسه بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢) انظر الصفحات ٤٤ - ٦١ من طبة جامعة القاهرة من الجزء الأول لكتاب « السير الكبير » .

[أولها : اعتداء بالفعل من الذين قاتلهم ... وليس من اللازم أن يقع الاعتداء بالفعل ، بل قد يكون السبب هو العمل على الاعتداء ... الأمر الثاني : .. أن يقف الملوك والأمراء محاجزين دون الدعوة الإسلامية ، فإنه لا بد للحق من دعاية إليه وأن يكون الناس أحراراً في اعتناقه ..] إلى أن يقول : [يقرر الجمهور الأعظم من الفقهاء أن القتال في الإسلام ما أيسر للغلبة ولا للمخالفة في الدين ، إنما أيسر لدفع الاعتداء ...] على أن الأستاذ أبا زهرة ينتهي في كلامه على مفهوم القتال في الإسلام ؛ إلى القول : [وإنه بمقتضى القواعد المقررة في الإسلام : لا يمكن أن تكون الحرب فيه لنير الدفاع وإن لبس الدفاع لبوس المجهوم ..] .



كانت كل هذه الأفكار حول فكرة « القتال في الإسلام لا يكون إلا دفاعاً » تدور في ذهني وأنا أقرأ مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الرسول القائد » ورجوت في نفسي أن يكون المؤلف موقفاً في معالجة الفكرة المذكورة ، فينتهي بنا إلى ما يتفق وحقيقة أحكام الجهاد في الإسلام . إن اللواء خطاب ، وهو العسكري الذي يدون تاريخ الحرب في الإسلام ، تبنى في مقدمة كتابه المذكور فكرة « القتال في الإسلام حرب دفاعية » من وجهة عسكرية بحتة ، موضحاً إياها بقوله إن المسلمين لا يبدأون في حروبهم « بالإعتداء على أحد ، ولا يريدون من وراثتها إلا حماية نشر الدعوة » وبعد أن درس « أهداف القتال في الإسلام » ردّ على الغلاة الذين يرون أن من غايات الجهاد في الإسلام نشر الدعوة قائلاً : « إن القول بأن غرض القتال في الإسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غرض القتال

هو حماية حرية نشر الدعوة ، وشتان بين الفرضين ! ومع أن الحرب الإسلامية دفاعية ، لأنها بعيدة عن الظلم والمدوان ، إلا أن هذا الدفاع غير مُستَكِن ، بل هو دفاع تمرّضي ، كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين (١) .

وهكذا يكون اللواء خطاب ، في تفسيره معنى « الحرب الدفاعية » أول من يعطي هذه الحرب أقرب معاني « الجهاد في الإسلام » ، فإنها كما عرفناها تشمل الغايات التي شرع القتال في الإسلام من أجلها ، وإن ظلت في ظاهرها دون « الجهاد » في حقيقته .

(يتبع)

عبد الله الخطيب



Description de l'Afrique Septentrional

Traduite par Mac Guckin de Slane

Édition revue et corrigée

Paris 1965

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : تأليف أبي عبيد عبد الله
ابن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ . طبع في باريس طبعة
ثانية منقحة سنة ١٩٦٥ مع ترجمة فرنسية .

هذا الكتاب هو قطعة من كتاب المسالك والممالك للبكري جمع فيه
المؤلف أخبار بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه . والمؤلف هو شاعر
وأديب ، ومؤرخ ثقة وجغرافي نابغ جمع فيه من أوثق مصادر زمانه أخبار
بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه ، وله كتب جليلة ومنزلة علمية
محترمة . كان ملوك الأندلس يهادون كتبه ويتنازعون صحبته . وأهم مؤلفاته
كتاب (المسالك والممالك) الذي أفرد منه هذا الجزء . وصف فيه بلاد طرابلس
وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغانة ، ذكر منها الشهورة ، والمسافات
فيما بينها ، وأتى على ذكر سيرة أهلها وعاداتهم ، ودون كل طريف عن
أحوال هذه البلاد .

وكان المستشرق الفرنسي كترمير (Quatremère) أول من فطن إلى قيمة هذا
الكتاب العلمية واهتدى إلى مؤلفه ، ونبه إليه أنظار المستشرقين والجغرافيين
إلى أهمية المعلومات والأخبار التي تضمنها الكتاب عن البلاد التي وصفها .

نشر المستشرق المذكور في سنة ١٨٣١ ترجمة موجزة لهذا الجزء ،
فاشتهر بعدها الكتاب وتطلعت اليه الأنظار . ثم قام دوسلان de Slane بترجمة
ثانية كاملة لهذا الجزء ، بعد أن ظفر بمدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب
واهتم إلى مراجع ساعدته على تصحيح الأخطاء وتدارك النقص فيها وتوضيح
غوامضها ، وقد وفق في محاولته على الوجه الأكمل واستحق على ذلك
الثناء والتقدير .

ج . ع .



الشهداء المحمديون العرب ، في الوثائق السريانية

تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، طبع سنة ١٩٦٦ م

هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين
استشهدوا في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها ، وبذل الأرواح دونها
وقد حقق فيه المؤلف العلامة أرثوذكسية النصارى الممريين ورد على الأب
أنطون صالحاني اليسوعي (ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبري) القائل
ان نصارى نجران لذلك العصر ، كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي
منتهى الاستمساك ، ناقلاً تحقيقه هذا عن كتابه (تاريخ الكنيسة السريانية
الانطاكية) (ج ٢ ص ١٩٥) وعن غيره من المؤلفين .

وقد ذكر المؤلف في الفصل الرابع من الباب الأول (ص ١٣) وفي غيره من فصول الكتاب ، الحوار المدني دواوين الشهداء من رجال ونساء ، وبين مروق اليهودي الذي تملك على اليمن فقد كان يضطهد مسيحي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بالوهمية المسيح ويقولوا انه إنسان لا إله ، قائلاً : إنكم إنما تسجدون لشخص مائت ، ادعى أنه ابن الله الرحمن في حين انه إنسان ... ها ان الروم قد أدركوا الآن ان المسيح كان إنساناً بحتاً ، فما بالكم أتم الآن تذلون وراءه ؟ ألمكم أفضل من الروم ؟ إنما لسنا نسألكم أن تكفروا بالله خالق السماء والأرض ، ولا أن تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات ، أو لإحدى المخلوقات ، بل أن تكفروا بالمسيح الذي حسب نفسه إلهاً ، وتقولوا انه إنسان فقط ، لا إله ، ولم يريدوا أن يكفروا بالمسيح وأن يقولوا انه إنسان ولكنهم قالوا في جنونهم انه الإله وابن الرحمن (ص ١٣) .

وإن من يقرأ بتدبر وإيمان قول مروق الملك اليهودي ، ومخالفة النصراني له ، يعلم أن لا خلاف في الحقيقة بينهم ، إذ ان مروقاً لم يدعهم إلى عبادة نفسه ولا عبادة غيره من المخلوقات ، بل دعاهم إلى عبادة خالق الأرض والسموات رب العالمين ، حيث ان نسطور الرياني الذي جلس على كرسي بطريركية القسطنطينية في سنة ٤٢٨ ز وما عثم أن صرح — خلافاً للتقليد الكنسي بأن المذراء مريم لن تلد كلمة الله ، بل إنساناً بحتاً هو المسيح ، لذلك لا يجوز أن تدعى والدة الإله ، أما المسيح فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله ، بل إنساناً (ص ١٠) .

وقد كان عدد الأحياء الذين قتلهم الملك اليهودي نحو خمسمائة رجل دعاهم إلى الكفر بالوهمية الإنسان فلم يقبلوا . م (١٠)

وقد أحرق الملك اليهودي في نجران الكنيسة ومن دخلها من النصارى
وكانوا نحو الألفين ، وأحرقوا النساء ، كما فعل بالأشباع من الرجال (ص ٢٦)
منه ثم قتل الراهبات والشابات المتزوجات بعد قتل الرجال ، وكان ذلك كله
في سبيل دعوى ألوهية المسيح وصلبه ، لا في سبيل المسيح نفسه . وقد دعا
مسروق أحد قواده ذابرن ، وأمره بجمع نساء نجران اللاتي قتل أزواجهن
فبلغن (١٧٧) امرأة ، وأخذ ذابرن ينصحن ويحذرهن وينذرهن لكيلا
يقمن بالمعصيان كأزواجهن فيكون مصيرهن كمصيرهم ، فأجبن بصوت واحد
قائلات : حاشا لنا أن نكفر بربنا وإلهنا يسوع المسيح لأنه الإله والخالق
الكل وعقيدة الاسلام بالسيد المسيح معروفة .

ولنبطه البطريك الشكر على هديته وعلى الوثائق التاريخية التي عالج
محتوياتها في كفاية .

محمد بركات البطاركة



أعلام العرب في العلوم والفنون

تأليف : عبد الصاحب عمران الدجيلي

الجزء الأول - عدد صفحاته ٣١٦

الطبعة الثانية - بمطبعة النعمان - النجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

هذا كتاب في التراجم ، مرتب على التأريخ الزمني ، فقد بدأ المؤلف بحثه بمقدمة ، ذكر فيها لمحة عن العرب قبل الإسلام ، والجاهلية والإسلام ، فتدوين القرآن والحديث فالفقه والكلام والتفسير ، فاللغة العربية ، فالآداب والفنون ، فالأنساب والتاريخ والجغرافية والموسوعات ، فالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية .

ثم ترجم لئمة وستة وثلاثين من الأعلام العرب ، المختلفة الثقافات ، والمتشعبة النواحي والاختصاصات ، مرتبة على قدم الوفاة ، فبدأ بأبي الأسود ظالم بن عمر الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، و انتهى بمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١ هـ .

والمطالع لهؤلاء المترجمين يجد كثيراً منهم مشاركين في أنواع من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصورهم ، ومنهم من برز في ناحية معينة من المعارف بالرغم من مشاركتهم في كثير من فروع العلم .

فتجد من هؤلاء في هذا الجزء المؤرخ والجغرافي والنسابة واللغوي والفقيه والمتكلم والمحدث والمفسر والحكيم والرياضي والفلكي والطبيعي والكياوي والطبيب الخ ...

والطريقة التي اتبها المصنف في ترجمة الملتزم ، فقد ذكر في صدر الترجمة اسم العلم أو لقبه أو كنيته بحسب ما اشتهر به ، مع تأريخ ولادته ووفاته

بالتاريخ الهجري ، ثم أورد مصنفاته المطبوعة والمخطوطة ، وأبان بعض ما غمض من البحث ، فشرحه في حواشي الكتاب ، ثم أورد المصادر والمراجع التي اعتمدها في طلب الترجمة .

وقد اعتذر المؤلف على اقتصاره على ذكر الأعلام العرب المصنفين بقوله : وإذا كان الكتاب قد اقتصر على العرب ، فليس معنى ذلك تجاهل الآخرين أو الغض منهم ، ذلك لأننا ننظر باكبار إلى كل من خدم العلم والفكر أو اللغة . ونرى من الفائدة قبل أن نتم هذه الكلمة أن نبدي بعض الملاحظات على هذا الكتاب فنقول : إن عنوان الكتاب « أعلام العرب في العلوم والفنون » لا ينطبق تمام الانطباق على ما حواه من أبحاث ، فلو استبدل ذلك بعنوان « من أعلام العرب في الشريعة والعلوم والآداب » لكان أقرب مطابقة لموضوعه .

وأما ترتيب المؤلف كتابه على التاريخ الزمني حرصاً على ما ظهر فيه من رجالات ومؤلفات بحسب أعصارها وأدوارها ، فهذا ينطبق على التراجم ذات الموضوع الواحد كتراجم رجال الطب أو الفلك أو الفقه الخ فنستطيع بترتيب التراجم على التاريخ الزمني أن نلمس تطور العلم الذي نريد تأريخه وبخه ، وأما موضوع كالموضوع الذي نحن في صددده ، متشعب النواحي ، متباين الاختصاصات ، فأحسن ترتيب له هو الترتيب المعجمي .

كما نستحسن أن يضاف إلى التاريخ الهجري التاريخ الميلادي تسهيلاً للباحث . وبإلتزام شكر الأستاذ الصنف على ما بذل من جهود في تأليف ونشر هذا الكتاب القيم .

دمشق : عمر رضا كحالة



تاريخ المغرب

تأليف : عبد العزيز بتعيد الله

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٣٦ — ٨٠

نشر : مكتبة السلام ومكتبة المعارف بالمغرب

يتألف هذا الجزء من ١٦ فصلاً وهي :

- (١) قيام الدولة العلوية (١) وتجديد وحدة المغرب .
- (٢) تطور المغرب في العهد الإسماعيلي (٢) ، وقد ذكر المؤلف فيه الجيش ومحاربة الأجانب ، وبدء حركة التحرير ، ووحدة المغرب وجمع أشتاته ، وظل هذا الملك يكافح في سبيل ذلك أكثر من ربع قرن (١٠٨٣-١١١١ هـ) فكان من أبرز الملوك الذين حظي بهم المغرب .
- ٣ — عهد الفترة وفيه ظهرت القلاقل والاضطرابات فقد تولى فيه ثلاثة من الأمراء على العرش الذي اعتلاه المولى عبد الله ست مرات (٣) .
- (٤) عهد الاستقرار والازدهار (١١٧١ — ١٢٠٤ هـ) وفي هذا العهد عرف المغرب شيئاً غير يسير من الاستقرار والازدهار ، فقد تمكنت البلاد من تثبيت وحدتها وتحرير عدد من المراكز الأجنبية في ربوعها ، وأضحت

(١) هي من أصل حسني من ينسب النخل بالحجاز ، وأول من دخل منهم إلى المغرب هو حسن بن قاسم ، أواخر القرن السابع الهجري ، وأول قائد سياسي من حفدة الحسن المذكور هو مولاي علي الفريفي الذي ألام بغاس وجامد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) نسبة لمولاي اسماعيل أحد ملوك هذه الدولة .

(٣) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٢٠ — ٢٢ .

جيوشها وأساطيلها حاجزاً منيعاً في وجهه الغزو الأجنبي ، ونظمت الدولة والجيش وساد الأمن ، وانتشر العمران .

(٥) ثورة العبيد وأزمة ولاية العهد^(١) ، فلم يكن يبرغ فجر سنة ١١٨٩ هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد ، وقد استمرت هذه الفتنة سبع سنوات (١١٩٠ - ١١٩٦ هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة .

(٦) المغرب والاستعمار الفرنسي بالجزائر .

(٧) محمد الرابع فذكر سياسته الخارجية والداخلية .

(٨) الحسن الأول الذي بويع بمراكش في رجب ١٢٩٠ هـ ، وذكر اعتناؤه بالجيش وسياسته الخارجية .

(٩) النظام السياسي والإداري قبل الحماية الفرنسية ، فذكر الهيئات والهيئة الوزارية والمحكام والقضاة والحسبة .

(١٠) الصحراء المغربية ، ذكر حدودها ، وتاريخها القديم والحديث .

(١١) الثقافة والفن ، ذكر المدارس والتعليم والأبنية المدنية والعسكرية .

(١٢) أسباب الحماية الفرنسية .

(١٣) المقاومة المسلحة . ذكر تلك المقاومة في الأطلس والصحراء

والشمال والجنوب وفي الريف المغربي الخ ...

(١٤) الحماية الفرنسية (١٩١٢ - ١٩٣٥ م) ذكر في هذا العهد

التنظيم البلدي وموارد الدولة والعملة والمدنية والقضاء الأوربي والتعليم والصحة العمومية والتطور الاقتصادي .

(١٥) الكفاح السياسي ، ذكر تأسيس بعض الأحزاب السياسية كحزب الكتلة الوطنية الذي كان يؤجج الحماس في الشعب كما ينور الفكر العام في أوروبا والشرق عن طريق طلبة فرنسا ، ولجنة الدفاع عن المغرب بالقاهرة .

(١٦) ثورة الملك والشعب .. وختمه بقوله : وانصاعت باريز إلى مطالب الملك (محمد الخامس) والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الطاهر يوم ١٦^٢ يونية (حزيران) ١٩٥٥ م إلى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب .

وقد ألحق الأستاذ المصنف كتابه تاريخ المغرب ، بمعجم تاريخي في ٨٠ صفحة ذكر فيه أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة على حروف المعجم ، وهي معلومات إضافية لم تذكر في كتابيه « معطيات الحضارة المغربية » ، وتاريخ المغرب ، وبذلك قد قدم خدمة جلى للعاملين في التاريخ جزاء الله كل خير .

ع . ك .



رحلة الشتاء والصيف

تأليف: محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الشهير بـ «بكبريت»

حققه وقدمه وفهرسه الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي

كتاب من القطع المتوسط في « ٣٦٢ » صفحة نشره المكتب الاسلامي

للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ

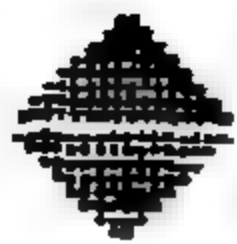
الأستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف من كرام العلماء الحجازيين وهو من خيرة رجال العرب هذه الأيام لكثرة ما أتخف العالم العربي من خدمات علمية جليلة في طباعة الكتب ونشرها والإتفاق عليها ؛ وهذا الكتاب مأثرة من مآثر هذا الرجل الكبير ، وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ الأديب محمد سعيد الطنطاوي الذي قال في وصفه « وهذا الكتاب الذي بين يديك من هذا النمط يصلح للعلماء ويسهل على العامة يستسيغه ابن الخامسة عشرة ويحتاج اليه خريج الجامعة » ، وهو يقصد بهذا الرأي إلى أن الكتاب يتضمن العلم ، إلى جانب اللذة والإيناس ، فهو من الكتب النادرة التي تعين القارئ على إنجاز بلذته وهدوء دونه ملل أو إرهاق ، وهو في الحقيقة من كتب الرحلات التي تنتقل بالقارئ من مكان إلى آخر يبحث لا يجد الملل اليه سبيلاً ، لتتبع مناظر الكتاب واختلاف ألوانه وفصوله . فانت تسير بين صفحاته من شعر إلى نثر إلى قصة إلى وصف ، والكتاب في رأيي أشبه بالقصص لأن ما فيه من حوادث توحى إليك بعدها عن الواقع والحقيقة مما يجعلنا نعتقد بأن الخيال قد عمل عمله في الرد ، وأن الاختراع قد تدخل في الموضوع ، كما رأينا في قصة روبنسن كروزو وغيرها من القصص التي يقصد فيها إلى اللذة

والحقيقة في آن واحد . وقد كتبها في وصف رحلة قام بها إلى بلاد الروم وذكر فيها ماوقع له في سفرته هذه من العجائب كما قال صاحب المقدمة .

ويلي المقدمة ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للمحبي الدمشقي وفيها يصل نسب المؤلف إلى علي ابن أبي طالب « رض » كما أورد فيها طائفة من شعر المؤلف ونثره ، وينتهي الكتاب بعدد من الفهارس : للآيات والأحاديث والكتب والأمكنة والأعلام وأبجدي للشعر وأبجدي عام لمراحل الرحلة .

ولكن الذي لفت نظرنا حقاً هو الشروح التي وردت في ذيل كل صفحة من الكتاب فهي شروح وافية دقيقة تستحق الإعجاب والاطمئنان إلى ماورد فيها من معلومات وهي بقلم المحقق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي . وإنا لنشارك صاحب المقدمة الرأي بجِدوى قراءة هذا الكتاب الطريف لما فيه من معرفة ولذة قد لا توجدان إلا مصادفة ، وفي عدد نادر من الكتب المطبوعة هذه الأيام .

أحمد الجندبي



ديوان الناصري

« الجزء الثاني »

جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته (٣١٠) من القطع المتوسط

من مطبوعات مطبعة الماني - بغداد عام ١٩٦٦

هذا هو الجزء الثاني من ديوان الشاعر العراقي الشاب المرحوم عبد القادر رشيد الناصري ، ولقد سبق أن صدر الجزء الأول من الديوان صديق الشاعر الأديب السيد كامل خميس ، وهو يشتمل على نصف شعر الشاعر ، أما هذا الجزء الثاني فأنيق الشكل والطباعة وقد زين بصورة الشاعر وبموضوع من خطه مما يجعل الديوان ويضيف إليه ما يغري باقتنائه وقراءته . وقد كتب المقدمة أحد الناشرين الأستاذ هلال ناجي وهي كلمة جمع فيها آراء الأدباء العرب بالشاعر ، كما تعرض فيها لنقد طريقة الأستاذ كامل خميس في جمع وإصدار الجزء الأول من الديوان ، وبين منهجه الجديد في ترتيب هذا الجزء الثاني . ولقد كنا نتمنى أن لاتكتب الملاحظات النقدية التي وردت في هذه المقدمة ، والتي يمكن أن تؤذي سمعة الشاعر في هدااته الأبدية ، من مثل تحويره القصائد وتقل الموضوع من وصف البصرة إلى وصف دمشق . والسرقات التي اتهم بها الشاعر في هجومه على شعر السيد سالم أحمد الأعظمي فقد كان أولى لكاتب المقدمة أن يؤجل هذه الملاحظات ليثبتها في دراسة خاصة يترجم فيها الشاعر ويدرس أدبه دراسة واقعية تاريخية يمكن أن يقال فيها كل شيء وبصراحة تفيد التاريخ الأدبي بدل أن تكون تقدماً في مقدمة ديوانه خاصة وإن كاتب المقدمة قد ساءم في اتهام الشاعر بالسرقة الشعرية كما جاء في الصفحة (١٢) من المقدمة .

والشاعر الناصري من شعراء الشباب الذين حافظوا على طريقة النظم العربية كما تقلت عن القدماء فهو محافظ على الوزن والأسلوب العربيين وهو ينظم شعره مضبوطاً من ناحية اللغة والنحو على قدر ما يستطيع ، وبيني هذا أن تجديده ، إن كان له جديد ، قد استقر على المعاني التي تناسب العصر ولم يصل رأيه في التجديد إلى محاولة تحويل القوالب والقواعد اللغوية والصرفية والنحوية والعروضية ، وقد رأى كاتب المقدمة أن الشاعر قد تأثر بالأدب الغربي عن طريق شعراء مصر المجددين كالدكتور ناجي وعلي محمود طه وبعض الشعراء اللبنانيين المستغربين - من الغرب - كإلياس أبي شبكة ولكنني لا أعتقد بصحة التأثير بالواسطة ، والشاعر الذي يتأثر حقيقة هو الذي يقرأ الأدب المؤثر ، بلسنته الأصلية ، ولا بد أن يكون ذا قابلية للتأثير فإن من الشعراء من لا يتأثرون إلا بذاتهم ، والتأثر الذي عناء صاحب المقدمة أقرب عندي إلى ما يسمى بالتقليد . ولعل هذا التقليد لم يتجاوز العناوين كما في : نهم ، والهيكल المستباح ، إشتهاء ، والشباب الدامي ، وغير هذه من القصائد . ولم ينس الشاعر الناحية السياسية فقد تحدث في الاجتماع والسياسة وبخاصة فلسطين والجزائر .

على أن شعر الناصري يتحل بصفة السهولة والموسيقى اللفظية ، وربما وجد فيه قارئه لذة فنية قد لا يجد منها كثيراً في الشعر العربي الحديث .

أ.ج.



المنتخب من شعر ابن زاكور

عمل عبد الله كنون الحسني

طبع دار المعارف بمصر من سلسلة « ذخائر العرب » عام ١٩٦٦
عدد صفحاته (١٤٦)

الأستاذ عبد الله كنون الحسني عضو مجمع اللغة العربية بدمشق عالم كبير وعلامة شهير خدم اللغة العربية خدمات لا تنسى ، وقد جمع ، حفظه الله ، إلى العلم الغزير ، دقة النظر والقدرة على التمييز والتثبت مما يقرأ ويكتب ومن أعماله الكثيرة الأخيرة إصداره هذا الكتاب الذي جمع طائفة من شعر ابن زاكور الشاعر المغربي المعروف ، وقد أوضح في المقدمة التي وضعها لهذه المنتخبات الشعرية أن سبب طبع الكتاب هو المشاركة في إحياء الآداب المغربية التي « ظلت منسية طيلة الثلاثة عشر قرناً الماضية » على حد قوله . وقد قدم لنا العلامة ترجمة مفيدة للشاعر ابن زاكور ، وصفه فيها بأنه « مفخرة عصره وجيله ، ونابغة بلده وقيله » وأنه « كان كاتباً وشاعراً ولنوياً ومؤلفاً » وينتهي الكتاب بخاتمة صغيرة ثم بفهرس للموضوعات وآخر للقصائد والأبيات .

وابن زاكور فاسي المولد والنشأة أخذ العلم عن مشايخها ومشايخ مراكش وتطوان والجزائر ، وقد بدأت حياته في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة فكان تاريخ ولادته بعام ١٠٧٥ هـ تقديراً ، كما كانت وفاته عام ١١٢٠ هـ فهو كما ترى لم يعيش طويلاً بل مات في عنفوان شبابه .

وقد كان كثير الرحلات في طلب العلم والثقافة مما كان له الأثر الأكبر في اتساع ثقافته واكتمال معارفه . وترك رغم اختصار حياته ، ستة عشر

مؤلفاً في الأدب والشعر واللغة ثراً وشعراً، وقد قسم واضع الكتاب ثرا ابن زاكور إلى ثر علمي وثر فني حسب الموضوعات التي طرقها في كتاباته ، كما كان شعره على قسمين : الموشح والقصائد هذا من حيث الشكل ، وأما من حيث القيمة الفنية فشعر الشاعر نوعان أيضاً : (الرقيق الجميل السلس العذب) ومنه (البدائي الساذج الشبيه بالأنظام المالية والقريب من أشعار الفقهاء) . ورتب هذا المنتخب حسب الموضوعات الشعرية : المديح والريعات والزهرات ، والفزل والثناء والنصائح والخوانيات .

ويشير الأستاذ كنون إلى أنه « تخير » من هذا الشعر ، وربما في القصيدة الواحدة بعض الآيات وترك بعضها الآخر « حرصاً على ما في بعض الآيات من سحر وجمال يكونان مضمورين بنثاءة بعض الآيات الأخرى وفسولتها » ، وهذا ما جعل اسم الكتاب « المنتخب » وكنا نتمنى لو اطلعنا على الديوان كاملاً كيلا تكون صورة الشاعر ناقصة إذا عرضت على الدرس والبحث ، وهذا رأينا في جمع آثار الشعراء ، فإن من الواجب أن يستقصى كل ما قاله الشاعر فيما إذا أريد وضع ديوانه دون اختيار أو اصطفاء .

وقد قدم ابن زاكور نفسه لديوانه هذا بخطبة مسجوعة افتتحها بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ وتدل الخطبة على إثار ابن زاكور التكلف في ثره على طريقة أهل عصره في القرن الحادي عشر للهجرة .

أما شعر الشاعر فأول ما يلفت النظر فيه أن العلم قد جنى عليه ولعل القارئ يجد غرابة في هذا القول ، وأقصد بقولي هذا أن الشاعر إذا لجأ إلى الاصطلاحات العلمية والتعيرات الفقية ، أو النحوية ، أو الطبيعية ، فإن الشعر يصبح أقرب إلى البحث العلمي وهذا مما يعوق خيال الشاعر عن السمو والتحليق ، أو يكون قيداً لهذا الخيال يقعد به عن الارتفاع للوصول إلى المعاني الشعرية والصور الفنية ، وقد لجأ ابن زاكور إلى كثير من

القوافي التي تجنبها الشعراء الكبار من قبله وكأنه أراد بذلك أن يدلنا على كثرة محصوله اللغوي ، على حين أن الشاعر إنما يحتاج للألفاظ التي تكفيه للتعبير عما يمتلج في صدره من نوازع وعواطف وأحاسيس ، ولا يحتاج إلى ما في المعاجم كلها من ألفاظ قد لا تفيد إلا قليلاً . فالشاعر يأتينا بقصائد من قافية « الزاي » كقوله :

تمززت بذني المزّ من الشيطان ذي الأزّ

ومما ينسب فكري إلى الشخز أو الأز

ولا أرى فائدة في مثل هذا الشعر إلا إذا قصد فيه إلى طرح هذه القوافي أمام القارئ ليحفظها وليعرف بعض معانيها وهو قصد لا يمت إلى الفن بصلة ؛ أو يأتينا بقصيدة من قافية « الصاد » يقول فيها :

أما رضاك عمومه وخصوصه فمناخة* بذري المنيب قلوصه

وهذا كجل هداك يلزم كلّ من لزيم الضلال محيصه وجبوصه

وجداك منسجم النائم عندّ من لزم اصفراراً من جلالك بوصه

ومما لا شك فيه أن القارئ يحتاج إلى المعجم عند قراءة هذه الأبيات ، مما تكن قدرته اللغوية كبيرة وحصيلته في الألفاظ الغريبة وافرة .

ومما يلفت النظر عنه الشاعر أيضاً أنه لا يتوقى السيوب المعروفة التي يتوقاها الشعراء ويهربون منها ولا يلجئون إليها إلا في الضرورة المبرمة ، وفي القصيدة الأولى من باب المديح ، وهي همزية ، أخطاء عروضية يمكن أن نعتبرها من باب « الزحاف » ولكننا في يومنا هذا نعتبرها كسراً لا يجوز لشاعر أن يأتي به أبداً فمطلع القصيدة هو :

ديوان جبك بالتوفيق مبتداً .

والبيت كما يُرى من البحر البسيط ، وقد جاءت في هذه المقطوعة
الآيات التالية .

وبهداك جذى الأفهام موقدة يامن به غضب الجبار منطوى
رقت سجايا بنات الفكر واتعشت مذ علّها من ثديّ مجدّم لباً
ومنذ حليتها بدر مدحكم لم يبق في القلب لارين ولا صدأ
وقد أشرت إلى الكلمات التي ورد فيها الخطأ العروضي ليطلع عليها القارئ .
ومن الغريب أيضاً أن يخطئ هذا الشاعر في القوافي فقد وضع كلمة
« منطقي » وهي مكسورة الفاء قبل الهمزة ، على حين أن قوافي القصيدة
كلها مفتوحة ما قبل الهمزة كما هو ظاهر .

ولكن ما مرّ كله لا يمنعنا من القول أن ابن زاكور يملك شاعرية
لم تواتها الأيام والظروف وطبيعة العصر لتفتح وتكشف فيظهر ما وراءها
من نبوغ وسموّ ، فالشاعر لم يستطع التخلص من مستلزمات عصره المتكلف
الذي انحط فيه الفن الأدبي كله كما لا يمنعنا ما مرّ من تذوق مثل هذه
الآيات الجميلة :

بروحي من أودى بعقلي حبه ولم تسليني عنه كثوس رحيق
يواصلني حتى أفيق من الجوى ويهجرني حتى أغصّ برقي
غدوت به من وصله وصدوده بدار نعيم أو عذاب حريق



آراء وأنباء

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٩ -

(١١٥)

مادة جمع : الجمعة .

قال : وزعم ثعلب أن أوّل من سمّى يومَ المَروبة يومَ الجمعة كعب بن لؤيَّ جدّ الرسول [لا يعني أبا أيه بل أحد الجدود] وذكر السبيلي أن كعب بن لؤي أوّل من جمّع يومَ المَروبة . ولم تسم المَروبة الجمعة إلّا مَذا جاء الإسلام وهو (كعب) أوّل من سمّاه الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويذكرهم ببيت النبيّ ويأمرهم باتّباعه وينشد :

يا ليتني شاهد خواءَ دعويّه إذا قريشٌ تُبَتّي الحقَّ خيلاً

فما هذا التناقض ؟ البيت يفهم منه أن كعب بن لؤي لم يش إلى زمان الرسول وقول المعجم يفيد أنه مرّ أكثر من مئة سنة من جمع كعب للناس وتسميته المَروبة الجمعة إلى مجيء الإسلام فكيف يوافق هذا قوله ولم تسم المَروبة الجمعة إلّا مَذا جاء الإسلام ؟ وبعد هذا أيّد التناقض بنقيض لا حاجة إلى علم الحساب فيه - قال : « وقال ثعلب إنما سمّي يوم الجمعة لأنّ قريشاً كانت تجتمع إلى قصي في دار الندوة » . أفكعب أم قصي ؟ ولولا اعتقاد البعض أن جدالاً كهذا من الإحتلّغيات (الفيلولوجيا) لقلنا أن

لا محلّ له في المعاجم . [الأصوليات منحوتة من علم أصول اللغات كما سمّاه جلال الدين السيوطي - والأصلي هو الفيلولوجي والتسمية العربية أصحّ لأن معنى اليونانية الحرفي « حبة الألفاظ أو الكلمات » [ولفظة تبني التي في البيت لا يذكرها في بغي .

★ ★ ★

(١١٦)

مادّة جمع :

أورد بيتاً للضبي :

في قتيبة كلّما تجمّعت البيداء لم يهلموا ولم يخيموا
وعلّق على إخطاء الشاعر تعليق من يميل إلى غضّ النظر - قال
« ولم يحفل » [بفتح الفاء والفعل من باب ضرب فقط وهو يقول هذا أيضاً في
ح ف ل - أمن الذين طبعوا الخطأ ؟ ولكن الضرر واحد] بالحركة (ضمة
الميم في يخيموا) التي من شأنها أن ترد المحذوف - وهذا لا يوجبه القياس
إنّما هو شاذّ ، [ولكن على الرحب والسعة فنثبته في قاموسنا ، !!]
التعبير غير صالح لأنّ الذي أوجب حذف الياء في لم يخيم هو
التقاء الساكنين . ولكن في لم يخيموا لم يجمع ساكنات فلم يكن داعياً
إلى الحذف . فليست الضمّة على الميم التي أرجحت الياء المحذوفة - الياء محذوفة
في الفرد وأما كلمة الشاعر يخيمون فجمع ولا علاقة بين هذه وتلك . تدخل
لم فتجزم بحذف النون . وسائر الكلمة يبقى كما كان فلم يحدث حذف وردّ محذوف .
ثم قال « وهذا لا يوجبه القياس » . فماذا يعني بكلمة « هذا » ؟
ما هو الذي لا يوجبه القياس ؟ أردّ المحذوف أم عدم ردّه كما فعل الشاعر ؟
على أنّنا نستنتج من قوله إنّما هو شاذّ أنّه يعني عدم الردّ لأنّ الشاعر
لم يردّ الياء . ولكن المعجم يجب أن يكون واضحاً من غير استتاج ممّا يلي :

★ ★ ★

م (١١)

(١١٧)

مادة ق ف ف .

قال : القفآن معرَّب قبان الذي يوزن به ... قال الأصمعي قفآن قبان (مثلثة تحمية) بالباء التي بين الباء والفاء أعربت بإخلاصها فاء وقد يجوز إخلاصها باء لأن سيويه قد أطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء . هذا مظهر من عبادة الفرد . وعبادة الفرد مثل عبادة الأوثان . الآن سيويه أطلقها (الباء (P) الأعجمية) إلى فاء أو باء ؟ أم لأن P متوسطة بين صوتي B و F قلنا الخيار في تحويلها إلى إحداها . هذا المبدأ هو الذي حمل سيويه على إطلاقها ولا شك لأنه كان مفكراً . ولكن الأمة العربية أطلقتها فقالت مال القبان (بالوحدة) ليس لأن سيويه أطلقها بل لأن المبدأ الذي عمل في سيويه لم يُلغَ بل عمل في الأمة كما عمل في سيويه .

★ ★ ★

(١١٨)

مادة س ف ر - سفير .

قال : قال أوس بن حجر :
وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنشيم سيفير ،
وفي مادة ق ر ف يقول : قال النابغة :
وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنشيم سيفير ،
فلن اليت ؟ أأوس قائله أم النابغة ؟ وما هو الفعل في أوّل اليت ،
فارقت بمعنى رحلت أو فارقت بمعنى أوشكت أن ؟

شارح ديوان الديباني ، « أحد أفاضل العصر مستعيناً بكتب اللغة »
أثبتته في ديوان النابغة ولكنه رواه « وفارقت ، لكي يصير البيت بلا معنى
ولم يشرح .

★ ★ ★

(١١٩)

مادة ركن - يركن - يركن .

قال « ركنَ يركنُ وركينَ يركنُ » - « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » -
« قرئ » بفتح الكاف من ركين (بكسر الكاف) يركنُ ركوناً .
هذا صحيح ففعل ركن يأتي من باب نصر وعليم - وهو كافٍ تفسيراً
وهدايةً . ولكنه لم يكتب بل شوه ما قاله بدخوله في محاحلات المتباحكين
فقال : « وقال بعضهم ركنَ يركنُ بفتح الكاف في الماضي والمضارع
وهو نادر » . فمن هو ذلك « البعض » ، أو من هم الذين قالوا بخالفين المبدأ
الأساسي « المفتوح العين في الماضي الصحيح إن لم تكن عينه أو لامه
حرفاً حلقياً لا تفتح عين مضارعه » .

قال « وهو نادر » - كان عليه أن يقول « وهو خطأ » وهو قول
فاسد . ثم امتدَّ إلى قول كراع : « ركين يركن » وهو نادر أيضاً -
كنسُرُ العين في الماضي وضمها في المضارع ليس من أبواب اللغة - فقال
الذين ادَّعوا صحة الرواية إنه من « تداخل اللغتين » وهذا معناه خلط
باب في باب - فالادعاء والمخالفة والتخليط وقبول الشواذ لأنه هكذا
رُوي أمور تفرقت الطلائع من لغة لا تدانيها لغة أخرى في سلامة
النظام القائم على أحكام العقل ولا في اتساق المنطق . ومتى ساد النظام
طاب الدرس .

(١٢٠)

مادّة نوز - نيروز

قال : « والنَّيروز والنُّوروز أصله بالفارسيّة نيع روز وتفسيره »
« جديد يوم » .

وقال المصحح على الهامش « وقد عرضناه على « متّقين » من علماء
اللغة الفارسية فيم يرقّه » [لم يعرف « نيع » . هذا مقبول ولكن من
هو ذلك المتّقن الذي لم يعرف « نيروز »] والغريب أن صاحب اللسان
بعد تفسيره نيع روز بجديد يوم (وفاته أن التمت في الفارسية يتقدم على
المنعوت فلم يقل يوم جديد على الترتيب العربي) لم يذكر معنى النيروز .

قال الفيروزآبادي « النيروز أوّل يوم من السنّة مُعرَّب نوروز » .
روز معناها يوم ، وُنو جديد مثل Neu - neuf - néos - new - Novo ،
لأن الفارسيّة آريّة في قوامها . ولأنهم كانوا يتدثّون السنة في « نيسان »
صار النيروز عندنا نزهة أوّل الربيع (طلعوا إلى النيروز — عملوا نيروزاً) .

★ ★ ★

(١٢١)

مادّة أرق :

كتب طالب في مثالة مطلوبة منه : « وما بين حديث لطيف وموسيقى
وطعام وشراب أرقنا في بيت فلان إلى نصف الليل » . فلما سُئِلَ عن أرقنا
قال « هكذا وجلتها للأستاذ فلان في الكتاب الذي جمعه وفيرَ الفاظه
لتلاميذه ففيه أرق أو سنهر » . وصدق في قوله لأن ذلك الأستاذ تقل

عن محيط المحيط : أرق سهر بالليل (تميزاً عن سهر بالنهار) ومحيط المحيط نقل عن القاموس والفيروزابادي يقول الأرق السهر بالليل . ولسان العرب يقول الأرق السهر . وإذا أنصفنا فلينا أن نصحح ونقول إن الأستاذ أخذ عن اللسان، ولا يفهم لماذا قال اللسان الأرق السهر وبعد قليل روى عن الأزهري « ذهاب النوم بالليل » [هنا بالليل كلام صحيح لأنه لا يقال أرق لمن لم يستطع النوم في النهار] وروى أيضاً عن ابن سيده « ذهاب النوم ليلة » .

★ ★ ★

(١٢٢)

مادة فرش : فرّاش .

لا يذكر كلمة فرّاش - وذلك على ما يجب أن يرجح لأنها لم ترد في ما نقل عنه . ولكنها وردت في كتب الأدب . جاء في الأغاني « وخرج الأخطل فلقى فرّاشاً لعبد الملك » . وورد أيضاً : قال ابن عباس تغدينا يوماً عند الوليد بن عتبة فأقبل الفرّاش بصحفة الخ ...

★ ★ ★

(١٢٣)

عرف أبو البقاء التفسير بقوله : هو العبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . أما ابن منظور ففسّر « المفرّش » بقوله شيء كالشاذكونه . فأبي الكلمتين أكثر وضوحاً لمن يحلها ؟ قد يحزر المفرش حزرًا وأما الشاذكونه وما أدراك ما الشاذكونه ، فلتبحث عن تفسيرها في اللسان .

في شذن ، شكن ، ذكن ، شوذ - غير موجودة ، على أن الطالب العربي يجدها في المعجم الفارسي شاذگونه (بالبدال المهملة والكاف الفارسية) ومعناها الدثار أو اللحاف أو (في اللغة الدارجة) المضرب أو الجودة أو الطرّاحة .

★ ★ ★

(١٢٤)

مادة غمس - الغموس .

قال : « اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي اليمين الكاذبة الفاجرة ، هي أن يحلف الرجل وهو يعلم أنه كاذب ، والفيروزآبادي قال القول ذاته » - وكل ما قالاه مغاير للحقيقة - أما الزمخشري فإنه أصاب رغم الاختصار . قال اليمين الغموس لشدها . وقال المتني : أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم خاب سائلي القسم فهل مدحهم بأنهم يكذبون في اليمين ؟ والذي عرّض نفسه لنقمة المنصور برفضه تسليم من أجاره وقال : « إني حلفت يمينا غموسا فاحتمل ليميني يا أمير المؤمنين ، هل تمتد الكذب لما أقم ؟ فاليمين الغموس هي اليمين المؤكدة المغلظة التي تغمس صاحبها في الإثم إن حثت فيها .

★ ★ ★

(١٢٥)

مادة درع .

قال : « الدرع لبوس الحديد تذكر وتوثث - حكى الأحياني درع سابة ودرع سابع ، وقال أبو الأخرز مقلّصاً بالدرع ذي التفضن (أكد

قوله ' انها تذكر) وتصغير درع دُرُج بغير هاء على غير قياس لأن
قياسه ' بالهاء وهو أحد ما شذ من هذا الضرب .

ولكن لماذا على غير قياس ؟ إذا كان درع مذكراً كما قال فتصغيره
دُرُج على القياس ! .

★ ★ ★

(١٢٦)

مادة وسع .

تقرأ المادة كلها — وهي تملأ صفحتين فلا تعثر على جمع للصفات المشتقة
من وسع : فلا جمع واسع ولا جمع وسيع ، وضبط الجمع في المنزلة الأولى
مثل ضبط التفسير ! .

★ ★ ★

(١٢٧)

قال : « النقص قطع النقص ، والنقص رأس الحلقوم » ومع هذا
وضع لفظة غلصمة في مادة غليم أي هاجت شهوته الجنسية أي الانسائية .
وسبب هذا الحيود عن المعقول أنه تصور أن الحرف الزائد في
الرابعي إنما هو الحرف الثالث ، مع أن الزائد قد يكون الأول مثل ترمس
(من رَمَسَ) أو الثاني مثل جرثم (من جثم) أو الثالث مثل قعور
(من قعر) أو الرابع مثل برهن (من بره) . وإذا كان الأصل والزيادة غير
محققين فالأفضل أن تورد الكلمة على ترتيب أحرفها كما فعل غيره .

★ ~ ★ . ★ .

(١٢٨)

نظرة إلى اختلاط الضمائر وعدم الضبط في التعبير :
 في وثار قال : وفي الحديث أنه ' نهى عن ميثره الأرجوان وهي
 وطاء محشوة يترك على رحل البعير تحت الراكب والميثة مفعلة من الوثارة
 والأرجوان صبغ أحمر يتخذ كالفراش الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها
 الراكب تحته على الرحال فوق الجمال [على كم من الجمال يركب ؟] .

* * *

(١٢٩)

مادة ت ق ن .

قال : و اتقن الشيء أحكه ، وإتقانه ' إحكامه ' والاتقان الإحكام
 للأشياء . [هذا تكرير لا فائدة منه] ورجل يقن ' وتقن ' متقن للأشياء
 - حاذق - ويقن ' لم رجل كان جيد الرمي ' يضرب به المثل . وابن يقن
 (كعب بن يقن) اسم رجل يحسن الرماية - أرمى من ابن تقن - ، انتهى
 تفسير الألفاظ ، وما يأتي تعليلاً ' أصلني ' : قال : ' قال أبو منصور
 (الأزهري في تهذيب اللغة) : الأصل في التيقن ابن يقن هذا ثم قيل
 لكل حاذق بالأشياء يقن ' ومنه ' يقال أتقن فلان عمله ' إذا أحكه ' وأنشد
 شمر لسليمان بن ربيعة بن دباب (وفي نسخة ابن ريتان) .

أهلكن طمأ وبدم ' غدي ' بهم وذا جُدُون
 وأهل جاش وأهل مَارِب وحي ' لقن والتشقون
 واليسر كاليسر والفنى كالعدم والحياة كالنون

(قال المصحح : ' كذا في الأصل وحرر الوزن ، وأما نحن فلا نفهمون !) .

فجمعه على تقون لأنه أراد يقناً ومن انتسب إليه والتقون من بني
 يقن بن عاد منهم كعب بن يقن وبه ضرب المثل فقيل أرمى من ابن تقن .
 انتهى التعليق ؟ هذا تقطيع : جعل الأزهري اسم الرجل أصلاً [من غير
 استناد بل لإمكان التصور] وجعل الصفة والفعل 'مخرجين منه' . أي أن
 عاد سمى ابنه 'يقناً' ويقن سمى ابنه كعباً فبرع في الرواية فقالوا أرمى
 من ابن يقن ثم توسعوا فقالوا لكل حاذق تقناً ثم أخرجوا فعل اتقن
 [من باب دحرج أي بالزيادة المطلقة لا بالاشتقاق النظامي مثل أكرم لأنه
 لا ثلاثي منه] بمعنى عمله بحذق كحذق ابن يقن في الرماية .

خيال أبي منصور رسم صورة بديعة كبداعة الأسطورة التي اخترعها
 الفرنسي الذي أراد أن يبين علّة تسمية الجبل القريب من مكة جبل
 الفرخ (جبل قُرَح بالزدلفة - قرأ الفرنسي اسمه من غير نقط فأخذ
 يتردد بين فرح وقرج وقرج وفرخ وقرح فرجّح الفرخ) ولكن
 جمال التصور لا يثبت الصحة ، والآيات التي استشهد بها أبو منصور ونقلها
 ابن منظور « لكسار نظم » ليس من أهل الثقة شهادة على من رضي بها .

في العربية واليونانية ألفاظ لم يأخذها اليونان عن العرب ولا العرب
 أخذوها عن اليونان - هي ألفاظ (على ما زجّج) ورتها العربية من الأم
 الشامية ودخلت في أصول لغة الإغريق وفق امتزاجهم بالمهاجرين الفينيقيين
 واليونانية في طور التكوّن : مثل آفة ، أفى وأوفس ؛ وقرن وخرونش ،
 وجامع وغامياً إلخ - ومن ذلك كحني (تكني) وتقن - فاللفظة العربية
 مثل مدّ وأب وبنو (ابن) وأخو وأخت وأمة وبيت ودن وديان وأدنى
 وشمت وأقيل إلخ موروثه ، والذي يفضل عدم التنقيب الدقيق يقول ان
 تقن مأخوذة عن اليونانية ، وعلاقة اليونان بالعرب قبل الإسلام كانت قوية

فبلاد الشام كانت لفتحها الغالبة اليونانية وتجار اليونان كانوا يرتادون مرافئ البحر الأحمر وكانت لهم مستعمرة عامرة في سقطرة من أيام المكdonي، وكان اليمينيون يقولون للفتح إقليد وهو في اليونانية كليدي وقس عليه (هذا بحث طويل ليس هنا موضعه) ، وورود لفظة آتقن في الآية « صُنِعَ الله الذي آتقن كل شيء » ، لا يبنى شيئاً مما تقدم .

(١٣٠)

مادة ق ر ش .

قال : « قال عدي بن الرقاع » .

وإذا تَشَرَّتْ لَهُ الشاءَ وجدته ورث المكارم طُرُقَهَا وتِلَادَهَا (طُرْف جمع طريف) أراد طُرُقَهَا بضم الراء فأُسْكَنَ الرَاء تخفيفاً وإقامة للوزن ، - أخطأ في قوله تخفيفاً - فالشاعر سَكَنَ الرَاء محافظة على الوزن فقط - وأيَّ ثِقَلٍ في قولنا وأنسى شَتَّ يَطُرُقِي فكوني ؟ وفي قولنا ليس من يقطع طرقاً بطلاً أتخفيف أم إقامة وزن ؟

(١٣١)

مادة ر و ح .

في تفسيره الروح قال : الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه ... وهو بالفارسية چان (جيم ثلاث يقط) .

هذه حذقة إذ لا مسوغ للتفسير بمرادف فارسي - وعلاوة على هذا
أخطأ - فالكلمة الفارسية مقلوطة فيها وقد يكون الغلط من المصنف أو
من الناشر - روح بالفارسية جان (بنقطة واحدة) ولفظها دَجَان - أما
جان بثلاث نقط فلفظها تشان ولم أرَ في القاموس الفارسي بهذا الحرف إلا
جانه ومعناه الفك الأسفل .

* * *

(١٣٢)

مادة أخ و .

قال : « وجائز أن يكون أحد الأنبياء أخام سنه من قومهم فيكون
أقدم لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم » هذه العبارة للزجاج نقلها
واضع المعجم ولم يعترض على استعماله التفضيل أفهم من الرباعي أو من
المفعول والباء في بأن ؟

* * *

(١٣٣)

مادة أخ و .

قال : والأخت أتى الأخ ، صيغة على غير بناء المذكر والتاء بدل
من الواو وزنها (وزن أخت لا التاء) فَعَلَّة فنقلوها إلى فَعَل وفَعَلَتْ وأَحَقَّتْهَا
التاء المبدلة من لامها بوزن فَعَل فقالوا أخت [لا يذكر موجياً ولا مسوغاً
فلينأمل القارئ في قوله] وليست التاء علامة التأنيث كما ظن من لا خبرة
له بهذا الشأن قال الخليل تأنيث الأخ أخت وتأوها هاء . أتى

التعليل الذي لا أساس له ولا معنى فاللفظة موروثه مثل أخو وأبو وبنو والموروث لا تعليل ولا جدال في أصله إلا عند الذين وضعوه من ألوف السنين ونحن لم نقف بعد على أحوال السلف القديم .

★ ★ ★

(١٣٤)

مادة خ ر ش - ب ص ر - أ ب س .

يروي بيتا لابن مرداس على ثلاث صور :

إن تك جلمود بصر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع
إن تك جلمود بصر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع
إن تك جلمود صخر لا أويسه أوقد عليه فأحميه فينصدع

(١) بصر بفتح الباء وبكرها (بمعنى واحد) وصخر . ولكن ما الذي قاله الشاعر ؟

(٢) في أبس حيث يقول « صخر » قال : ورواها ابن برقي « بصر »

فلماذا لم يذكر الراوي في خرش وبصر ؟

(٣) في بصر قال أويسه بفتح الواو بلا همزة - فحول الفعل من أبس إلى وبس وفعل وبس غير وارد في اللسان -

(٤) في خ ر ش قال أحميه بضم الهمزة أي أن الماضي أحمي (رباعي) .

وفي بصر وأبس قال أحميه بفتح الهمزة أي أن الماضي حمي (ثلاثي) .

وهو القائل في ح م ي أحمي الحديد في النار ولا تقول حميتها .

وكم دعوت إلى الله أن يفلط المنضد (عند إعادة الطبع) في تنضيد

الغلط فيعود تنضيد . صحيحاً .

★ ★ ★

(١٣٥)

مادة ث غ و .

نقل مثلاً ورد على صورة واحدة عند الجميع أي حيث وثبتت القرارة الأولى وثب القرار كلّه . قال « ماله » ثاغية ولا راغية الثاغية الشاة والراغية الناقة ، وهذا مثل قولنا لامعه دينار ولا مئة دينار وقول أحدهم « عندنا من كرم الولي ما يضمن لنا رفاهية العيش ويسد الرمق » في النفي يُقدّم الكثير وفي الإيجاب يُقدّم القليل - لراغية ولا ثاغية .

★ ★ ★

(١٣٦)

مادة ص ب ع .

قال : « الأصبع واحدة الأصابع تذكر وتؤنث وفيه لغات : إصبع إصبع إصبع أصبع أصبع أصبع أصبع أصبع أصبع [كان يكفيه القول حرّ كما تشاء] الأغلة ، - أطال الشرح في اللغات المشر وحرّ كما كلّها وفترها بأغلة ولم يحرك أغلة وأخطأ في تفسيره فالأغلة ليست الأصبع إنما هي الفصل المتطرف الذي فيه الظفر وهو أيضاً قال هذا في ن م ل .

نوفيس داود قربان

(سنپولو)

يتبع :



نسخة ثالثة من كتاب
(ما بنته العرب على فعال)
لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق هذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته سنة ١٩٦٤ وكنت قد قمت بتحقيقه عن نسختين مخطوطتين له وقفت عليها ، هما نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخة خزانة (أولو جامع) في بروسه بتركية . وقد وصفت النسختين في المقدمة التي قدمت بها للكتاب . وفي رحلتي إلى استانبول في صيف سنة ١٩٦٥ اطلعت على نسخة مخطوطة ثالثة للكتاب ما كنت رأيها قبل طبعه . وقد دلتني عليها الأخ السيد رمضان ششن من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في استانبول . فله الشكر والفضل .

هذه النسخة محفوظة في خزانة الشهيد علي باشا ضمن مجموعة برقم ٢٧١٩ ، في الأوراق [١٠٨ - ١٢٤ ب] منها . وهي نسخة قيمة مقروءة على المؤلف ، ومقابلة على أصله المكتوب بخطه ، بسماع عبد المؤمن ابن خلف بن أبي الحسن الديماطي . وقد صحح المؤلف ذلك وكتب بخطه في آخر السماع . وتساوي هذه النسخة بذلك النسخة الظاهرية في قيمتها وجلالة قدرها . ولكنها لا تختلف عنها في شيء يذكر . وقد ثبت لي ذلك بمقابلة الكتاب المطبوع بها .

الدكتور عزة مسي



وفاة عالم جليل

نمى مجمع اللغة العربية بالقاهرة المغفور له الأستاذ الكبير حسام
عبد القادر وهو أحد أعضائه العاملين الذين شاركوا بنصيب وافر في أعماله
وأبحاثه . والفقيه ركن من أركان اللغة العربية وعلومها المتوارثة ، كان عالماً
باللغات السامية وعلاقتها بالعربية بالإضافة إلى تمكنه في علوم التربية والتعليم .
خلف مؤلفات عديدة في اللغة والتربية والأدب والتاريخ ، وكانت حياته
طرازاً رفيعاً لجهد الأستاذ المربي والباحث المجتهد . حصنه الله بنفس زكية
أوتيت الدعة والتواضع الذين يتحلى بها العلماء الأصلاء .

وإن مجمع اللغة العربية بدمشق ليعرب بهذه الكلمة عن عميق حزنه
لهذا المصاب الأليم ويقدم إلى مجمع القاهرة وإلى زملائه وعائلة الفقيه أصدق
التعازي ويسأل المولى تعالى أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن خدماته للغة
وعروبه أوفى الجزاء .



شكر

ورد إلى رئاسة مجمع اللغة العربية عدد كبير من البرقيات والرسائل من
المجامع العلمية واللغوية والأعضاء المجمعين في مختلف الأقطار الشقيقة وغيرها
وهي تتضمن التعزية بالفقيد الكبير المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي نائب
رئيس المجمع، والمجمع الذي كان الفقيد عضواً من أبرز أعضائه حقبة طويلة
من الزمن ثم نائباً لرئيسه، يشكر السادة الذين تفضلوا بمواساتنا وتمزيقنا
بالفقيد الكبير، سائلين الله تعالى أن يعوض الأمة العربية عنه خير العوض.



تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٥٠	٩	ينظر	تنظر
٢٥٠	١٤	الكتاني	الكتاني
٢٥١	١٤	احيت	احيت
٢٥٢	٨	الشمس	النفس
٢٥٥	٢١	ليلي	ليلى



فهرس المجلد الأربعين

الجزء الأول

صفحة

٣	قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث	الأستاذ عز الدين التنوخي
٢١	حياة الألفاظ	الأستاذ شفيق جبري
٢٦	أدب الفقهاء (٥)	الأستاذ عبد الله كنوت
٤٠	نظرات في المعجم الوسيط (١٢)	الدكتور عدنان الخطيب
٥٨	محمد بن سلام (١)	الدكتور علي جواد الطاهر
٧٦	نظرة في معجم المصطلحات الطبية، استدراك وتعقيب (١١)	الدكتور حسني سبيح
٩٩	القرالي في دمشق والقدس	الأستاذ عبد اللطيف الطياوي
١١٢	الاصطلاحات الفلسفية (٢٤)	الدكتور جميل صليبا
١٢٩	كلمات من الغرب الأنصبي (٢)	الأستاذ عبد القادر زمامة
١٣٥	من تراثنا الضائع ، قائمة دعبل الثانية	الدكتور عبد الكريم الأشتر
١٤٣	مدرسة سالفو الطبية (١)	الدكتور فيصل دبدوب
١٥٠	طرر على معجم الأدياء (٣)	الأستاذ عبد العزيز الميمني
١٥٦	أغلاط المنجد (٣)	الأستاذ منير المهادي

التعريف والنقد

١٦٣	رسوم دار الخلافة	{ الأستاذ عارف النكدي
١٦٧	الوزراء والكتاب	
١٦٨	الكاظمي في ذكراه الثلاثين	{ الأستاذ محمد يهجة البطار
١٧٠	سنة الترمذي	
١٧٢	عروبة المدن الإسلامية	الأستاذ نظير زيتون
١٨٢	حسان بن ثابت ، حياته وشعره	الأستاذ أحمد الجندبي
١٨٤	سالم وأعلام في بلاد الرب (الجزء الأول)	{ الأستاذ عمر رضا كحالة
١٨٧	المستدرك على الكشاف	
١٨٩	الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة	الأستاذ عز الدين التنوخي

آراء وأنباء

١٩٠	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥/١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م
١٩٣	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون
١٩٧	ملاحظات شفيق لثوية وعلمية الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
٢٠٣	أشلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٦) الأستاذ توفيق داود قربان
٢٠٩	بيان عن أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٤-١٩٦٥) الأستاذ جعفر الحسني
٢١٥	إهداء كتب ، أغلاط مطبعية وتصويبات

الجزء الثاني

صفحة	
٢١٧	تأويلات الأستاذ شفيق جبيري . .
٢٢٢	الاصطلاحات الفلسفية (٢٥) الدكتور جيل صليبا . .
٢٤٥	أدب الفقهاء (٦) الأستاذ عبد الله كتون . .
٢٥٩	نظرات في المعجم الوسيط (١٣) الدكتور عدنان الخطيب . .
٢٧٥	محمد بن سلام (٢) الدكتور علي جواد الطاهري . .
٢٩٠	طرر على معجم الأدباء (٤) الأستاذ عبد العزيز الميعني . .
٣٠٢	الشهاب الشاغوري الدكتور عمر موسى باشا . .
٣١٣	أبو عبد الله القرني الأستاذ عبد القادر زمامة . .
٣٢٥	أضواء على ماهية معركة ذات الصواري الأستاذ عبد النعم مختار . .
٣٢٧	مدرسة سالرنو الطبية (٢) الدكتور فيصل دبدوب . .

التعريف والتقدير

٣٥٢	من كنوز السنة ، رسائل أربع الأستاذ محمد بهجة اليطار . .
٣٥٩	مع صيدح في كتابه عن أدب المهجر الأستاذ سامي الكيالي . .
٣٦٨	الوراق في الشعر العربي والمهجري الأستاذ أحمد الجندي . .

آراء وأنباء

٣٧١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر الأستاذ محمد بهجة اليطار . .
٣٧٤	ظهور نسخة ثانية من كتاب الإنباع لأبي الطيب الأستاذ عز الدين التنوخي . .
٣٧٧	آراء واستفتاء الأستاذ عارف النكدي . .
٣٨٢	تحقيق حول لفظي : المراند والمثاد الأستاذ محمد عبد النبي حسن . .
٣٨٨	أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٧) الأستاذ توفيق داود قربان . .
٣٩٢	تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)

الجزء الثالث

صفحة

٣٩٣	دعوى الصعوبة في تعلّم العربية	الأستاذ عز الدين التنوخي
٤٠٥	الأسلوب هو الرجل	الأستاذ شفيق جبري
٤١٢	الاصطلاحات الفلسفية (٢٦)	الدكتور جميل صليبا
٤٢٥	أدب الفقهاء (٧)	الأستاذ عبد الله كنون
٤٣٣	نظرات في المعجم الوسيط (١٤)	الدكتور عدنان الخطيب
٤٤٨	أبو يقوب الحرّمي (١)	الدكتور علي جواد الطاهر
٤٧٠	طرر على معجم الأدباء (٥)	الأستاذ عبد العزيز الميني
٤٨٧	ابن الرومي (شاعر لم ينصفه التاريخ)	الأستاذ أحمد الجندي
٤٩٥	مدرسة سالرغو الطيبة (٣)	الدكتور فيصل دبدوب

التعريف والنقد

٥١٠	كتاب المعتمد في أصول الفقه	الأستاذ محمد بهجة البيطار
٥١٧	تفسير القرآن الكريم	
٥٢١	[النسائيات] من الأحاديث النبوية الفرقة	
٥٢٤	التاريخ الحربي الإسلامي (١)	الدكتور عدنان الخطيب
٥٣١	الشذرات تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	الأستاذ أحمد الجندي
٥٣٣	فن الترجمة في الأدب العربي	
٥٣٥	صور قروية	
٥٣٦	البيت في حياة العرب	

آراء وأنباء

٥٣٨	وفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي (قائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق)
٥٤٣	وفاة للمرحوم الشيخ محمد رضا الشيبلي
٥٤٤	الطائف والأضخمة
٥٤٦	أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٨)
٥٦٨	تصحيح تاريخ وفاة النضر بن شميل

الجزء الرابع

صفحة

٥٦٩	للسوعة العربية لليسرة	الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
٥٧٩	لكل عصر لغة	الأستاذ شفيق جبري . . .
٥٨٦	أدب الفقهاء (٨)	الأستاذ عبد الله كنون . . .
٦٠٠	نظرات في المعجم الوسيط (١٥)	الدكتور عدنان الخطيب . . .
٦٠٧	أبويقوب الحريري (٢)	الدكتور علي جواد الطاهر . .
٦٣١	طرر على معجم الأدباء (٦)	الأستاذ عبد العزيز اليميني . .
٦٤٢	الخراج والنظام الحضائري في مصر الأموية	الدكتور عبد النعم مختار . . .
٦٦١	للدرسة الظاهرية (١)	السيدة أسماء المحصي . . .

التعريف والتقد

٦٩١	التاريخ الحربي الإسلامي (٢)	الدكتور عدنان الخطيب . . .
٧١١	كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب	الأستاذ جعفر الحسني . . .
٧١٢	الشهداء المحيرون العرب، في الوثائق السريانية	الأستاذ محمد مجة الطيار . . .
٧١٥	أعلام العرب في العلوم والفنون	{ الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
٧١٧	تاريخ المغرب	
٧٢٠	رحلة الشتاء والصيف	{ الأستاذ أحمد الجندي . . .
٧٢٢	ديوان الناصري (الجزء الثاني)	
٧٢٤	المنتخب من شعر ابن زكور	

آراء وأنباء

٧٢٨	أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٩)	الأستاذ توفيق داود قربان . .
٧٤٢	نسخة قالة من كتاب (ما بنته العرب على قتال)	الدكتور عزة حسن . . .
٧٤٣	وفاة عالم جليل (الأستاذ حلمد عبد القادر)
٧٤٤	شكر . . . تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)



Bibliotheca Alexandrina



0652738